# كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي عشر

دار صادر

بيروت

الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعَة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعَة الثالثة

1429هـ - 2008م






تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

**Fax:** (961) 4.910270
**e-mail:** dsp@darsader.com
**http:** www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
*(Abu al-Faraj al-Isphahānī)*

ISBN 9953-13-045-0

# [ 173 ] ـ أخبار النابغة ونسبه[1]

[ نسبه ]

النابغة اسمه زيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جَنابٌ بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّةَ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر . ويُكنى أبا أُمامة . وذكر أهل الرِّواية أنّه إنّما لُقِّب النابغة لقوله : [من الوافر]

فقـد نَبغتْ لهـم منّا شؤونُ

[من الطبقة الأولى]

وهو أحد الأشراف الذين غَضّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

[سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو نُعَيم قال حدَّثنا شرِيكٌ عن مُجاهِد عن الشَّعبيّ عن رِبْعِيّ بن حِراش قال : قال عمر : يا معشر غَطَفانَ ، مَن الذي يقول : [من الوافر]

أَتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثِيابي على خَوْفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا عُبَيد بن جَنّاد قال حدَّثنا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبيّ قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قـال : مَنِ الذي يقول : [من البسيط]

إلاّ سليمانَ إذ قـال الإلـه لـه قُمْ في البَرِيّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ[2]

وخيِّسِ الجنَّ أنّي قـد أذِنتُ لهم يبنُون تَدْمُـرَ بالصُّفّاح والعمدِ[3]

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أَتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظنونُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/157–173 وفي طبقات فحول الشعراء 1 : 51 والمؤتلف : 191 ، والخزانة 1 : 287 والكامل 2 : 67 وجمهرة ابن حزم : 241 ومختصر الجمهرة : 119 والموشح : 38 ، 39 وشرح نهج البلاغة 4 : 503 والمزهر 2 : 483 .

2 فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

3 الصفّاح : حجارة دقاق عراض ، واحدها : صفاحة .

قالوا : النابغة . قال : فَمَنِ الذي يقول : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبةً ... وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً ... لَمُبْلِغُك الواشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ[1] ... على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أَشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدَّثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعْبيّ قال : ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر ؛ ثم ذكَر مثلَه .

[سئل ابن عبّاس عن أشعر النّاس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُباب عن أبي المؤمّل قال : قام رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : أيُّ النّاس أشعر ؟ فقال ابن عبّاس : أخبِرْه يا أبا الأسود الدُّؤَليّ ؛ قال الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللّيـــلِ الذي هو مُدْرِكي ... وإنّ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنك واسِعُ

[تذاكروا شعره في مجلس الجنيد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي عن جرير بن شَرِيك بن جَرِير بن عبد الله البَجَليّ قال : كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس ، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا[2] قوله : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هـــو مدركي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فقال شيخٌ من بني مرّة : ما الذي رأى في النُّعمان حيث يقول له هذا ! وهل كان النُّعمان إلاّ على مَنْظَرةٍ من مَناظر الحِيرة ؟ وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا . فنظر إليّ الجُنَيْد وقال : يا أبا خالد ؛ لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعاريب ! فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر ممّا قال ، ولكنّهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

[يحكم بين الشعراء في عكاظ]

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثني عبد الملك بن قُرَيْب[3] قال : كان يُضْرَب للنابغة قُبّةٌ من أَدَم بسوق عُكاظَ ، فتأتيه الشعراء فتَعْرِض عليه أشعارَها . قال : وأوّل مَن أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم

---

1 لم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث : انتشار الأمر وفساده .
2 ل : أنشدوه .
3 اسم الأصمعيّ

أنشدتْه الشعراء ، ثم أنشدتْه الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشَّريد : [من البسيط]

وإنّ صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به ... كأنّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدني آنِفاً لقلتُ إنّكِ أشعر الجنّ والإنس . فقام حسّان فقال : والله لأنا أشعرُ منكَ ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا ابنَ أخي ، أنت لا تُحسن أن تقول : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هو مُدْركي ... وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتِينةٍ ... تَمُدُّ بها أيدٍ إليك نَوازِعُ[1]

قال : فخَنَس[2] حسّان لقوله .

[جني يرى أنّ النابغة أشعر الناس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدَّثنا أبو عمرو بن العَلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأُنْسيتُه : بينا نحن نسير بين أنْقاءٍ[3] من الأرض تذاكرنا الشعرَ ، فإذا راكبُ أُطَيْلِس[4] يقول : أشعرُ النّاسِ زِياد بن مُعاوية ؛ ثم تملَّس[5] فلم نَرَه .

[فضله أبو عمرو على زهير]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان ينبغي للنابغة إلاّ أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له .

[تفضيل عبد الملك له]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتَشِر المُراديّ : وفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ماكنتَ حَرِيّاً أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيُّكم يَروي من اعتذار النابغة إلى النُّعمان : [من الطويل]

حلفتُ فلَم أترك لنفسِك رِيبةً ... وليس وراء الله للمرءِ مذهبُ

فلم يجد فيهم مَن يَرْويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أتَرْوِيه ؟ قلت نعم ؛ فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها ؛ فقال : هذا أشعر العرب .

---

1 الخطاطيف : جمع خُطّاف . خطاف البئر : حديدة ، تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .

2 خنس : انقبض ، أو رجع وتنحّى .

3 الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

4 أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد .

5 تملّس : تملّص وأفلت .

[رأي حماد في شعره]

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال معاوية بن بكر الباهليّ قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تَقَدَّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : «أيّ الرّجال المهذَّبُ» ربع بيت يُغنيك عن غيره] .

وهذه القصيدة العينيّة يقولها في النُّعْمان بن المُنْذِر يعتذر إليه بها وبعدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ في مواضعها . ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك .

[وصفه لزوجة النعمان]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيدة وغيره من علمائهم : إنّ النابغة كان كبيراً عند النُّعمان خاصّاً به وكان من نُدَمائه وأهل أُنسه ؛ فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً بالفُجاءة ، فسقط نَصيفُها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدتَه التي أوّلها : [من الكامل]

أمِنَ آلِ مَيّـةَ رائحٌ أو مُغْتَدِي عجـلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ
زعَمَ البوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غداً وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ
لا مرحباً بغَـدٍ ولا أهلاً بِـهِ إن كان تفريقُ الأحِبّةِ في غَدِ
أزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا لَمّا تَـزُلْ برِحالنا وكأنْ قَدِ
في إثْرِ غانيـةٍ رمتْك بسَهْمِها فأصاب قلبَك غير أنْ لَم تُقْصِدِ[1]
بالدُّرِّ والياقـوتِ زُيِّـن نحرُها ومُفَصَّلٍ مِـن لُـؤلُـؤ وزَبَرْجَدِ

عروضه من الكامل . وغنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبَشٍ ثقيلاً أوّل بالبنصر . وغنّاه الغَريض من روايته ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّاه ابن سُرَيج من رواية إسحاق ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

قوله : أمن آل مَيّةَ : يخاطب نفسه كالمُسْتَثْبِت . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . والزّاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم وردّ تحيّة . والبوارح : ما جاء من مَيامِنِك إلى مَياسِرِك فولاّك مَياسِره . والسانح ما جاء من مياسرك فولاّك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عُبيدة عن رُؤبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بالبوارح ، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح

1 تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

وتتيمَّن بالبارح ؛ ومنهم مَن لا يرى ذلك شيئاً ؛ قال بعضهم : [من مجزوء الكامل]

ولقـد غدوتُ وكنتُ لا أَغـدو على واقٍ وحـاتِمْ[1]

فـإذا الأَشائـمُ كالأَيـا مِن والأَيامِـنُ كالأَشائمْ

وتنعابُ الغراب : صياحه ؛ يقال : نَعَب الغراب[2] يَنْعِب نَعِيباً ونَعَباناً ، والتنعاب تَفْعالٌ من هذا . وكان النابغة قال في هذا البيت : «وبذاك خبَّرنا الغُرابُ الأسودُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعه يُغَنَّى فيه ، فبان له الإقواءُ ، فغيَّره في مواضع من شعره .

[إقواء النابغة]

وأَخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أَبي : قال أَبو عبيدة : كان فَحْلانِ من الشعراء يُقْوِيان : النابغة وبِشْرُ بن أَبي خازِمٍ . فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنتَ وأَكفأتَ[3] ، فَدَعَوْا قَيْنةً وأَمروها أن تغنّي في شعره ففعلتْ . فلمّا سمِع الغناء و«غير مزوَّد» و«الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ . وأمّا بِشْر بن أَبي خازمٍ فقال له أَخوه سَوادةُ : إنّك تُقْوِي . قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك : [من الوافر]

ويُنْسِي مثلَ مـا نُسِيتْ جُذامُ[4]

ثم قلت بعده «إلى البلد الشآمِ» . ففطن فلَم يَعُدْ .

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد الأَرقط وغيره من علمائنا قالوا : كان النّابغة يقول : إنّ في شعري لعاهةً ما أَقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنِّي في شعره ؛ فلمّا سَمِع قولَـه : «واتَّقَتْنا باليد» و«يكاد مـن اللَّطافـةِ يُعْقَدُ» تبيّن له لَمّا مُدّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدّتْ «يُعْقَدُ» فصارت الضمّة كالواو ؛ ففَطِن فغيّره وجعله : [من الكامل]

عَنَـمٌ على أَغصانِـهِ لَـمْ يُعْقَدِ

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة[5] ، فصدَرتُ عنها وأَنا أَشْعَرُ النّاس .

وقوله لا مَرْحَباً : لا سعةً ؛ ونصبُه هاهنا شبيهٌ بالمصدر ؛ كأنّه قال لا رَحُبَ رُحْباً ولا أَهَلَ أَهْلاً . وأَزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرِّدة وسَتْرِها وجهَها

---

1 الواقي هنا : الصُرَد وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته . والحاتم هنا : الغراب الأسود .

2 ل : الغداف .

3 الإكفاء والإقواء من عيوب القافية .

4 وصدر البيت : ألم تر أن طول الدهر يسلي .

5 ل : الفهدة .

بذراعها : [من الكامل]

## صوت

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْـه واتَّقَتْنـا باليَـدِ
بمُخَضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنانَـه عَنَـمٌ على أغصانِـهِ لَم يُعْقَدِ
ويفاحمٍ رَجْـلٍ أثيـث نبتُـه كالكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المُسْنَدِ
نظرت إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقيم إلى وُجـوه العُوَّدِ

غنّاه ابن سُرَيْج ، ولحنُه مِن خَفيفِ الثّقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . والنَّصيف : الخِمار ، والجمع أنْصِفَةٌ ونُصُفٌ . والعَنَمُ ، فيما ذكر أبو عُبيدة ، يَسارِيعُ[1] حُمْرٌ تكون في البقل في الربيع . وقال الأصمعيّ : العَنَم : شجر يَحْمَرّ ويَنْعَم[2] نبتُه . والفاحم : الشديد السواد . والرَّجِلْ : الذي ليس بجَعْد . والأثيثُ : المتكاثِف ؛ قال امرؤ القيس : [من الطويل]

أثيثٍ كقِنْوِ النخلة المُتَعَثْكِلِ[3]

ويقال : شَعْرٌ رَجْلٌ ورَجِلٌ . ويُروى : [من الطويل]

ورنتْ إليَّ بمقلتَيْ مكحولةٍ

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضِها : يعني المرأة أي لم تقدِر على الكلام من مخافة أهلها ، فهي كالسَّقيم الذي ينظر إلى مَن يعوده .

غنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[قال صالح بن حسان إنّه كان مخنّثاً]

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال : قال الهَيْثم بن عَدِيّ قال لِي صالح بن حَسّان : كان والله النابغةُ مُخَنَّثاً . قلت : وما عِلْمُك به ؟ أرأيتَه قطّ ؟ قال : لا والله ! . قلت : أفأُخْبِرتَ عنه ؟ قال لا .

قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه : [من الكامل]

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْـه واتَّقتْنـا باليـدِ

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلاّ مُخَنَّثٌ .

[هروبه من النُّعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرّواة في سببه]

قال : فأنشدها النّابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِيّ ، فأنشدها مُرّةُ النُّعمانَ ، فامتلأ غضباً فأوعد

1 اليساريع : جمع يُسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل .
2 نَعِم العود : اخضرّ ونضر .
3 القنو : العذق . والمتعثكل : ذو العثاكيل (الشماريخ) .

النّابغةَ وتهدّده ؛ فهَرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخَص إلى ملوك غَسّان بالشام فامتدحهم . وقيل : إنّ عِصامَ بن شَهْبَرٍ الجَرْمِيّ حاجبَ النُّعمان أنذره[1] وعرّفه ما يُرِيده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرَب . وعِصامٌ الذي يقول فيه الراجز : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاما وعَلَّمتْـه الكَـرَّ والإقْداما[2]

وجعلتـه مَلِكـاً هُماما

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة : إنّ السببَ في هَرَبه من النُّعمان أنّ عبد القيس بن خُفاف التَّميميّ ومُرّة بن سَعْد بن قُرَيْع السَّعْدِيّ عمِلا هجاءً في النُّعمان على لسانه ، وأنشدا النُّعمانَ منه أبياتاً يقال فيها : [من الكامل]

مَلِكٌ يُلاعِـبُ أُمَّـه وقَطِينَه رِخْوُ المَفاصِلِ أَيْـرُهُ كالمِرْوَدِ

ومنه : [من الخفيف]

قَبَّح اللهُ ثـم ثَنَّـى بِلَعْـنٍ وارثَ الصائغ الجَبانَ الجَهُولا

مَنْ يَضُرُّ الأدنى ويَعْجِزُ عن ضَـ ـرِّ الأَقاصي ومَنْ يَخُون الخليلا

يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ثـم لا يَـرْزَأُ العَـدُوَّ فَتيلا

يعني بوارث الصائغ النُّعمان ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغاً بفَدَكَ[3] يقال له عطيّة . وأُمّ النُّعمان سَلْمى بنت عَطِيّة .

فأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيْد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعْد القُرَيعيّ الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرِّيقة من كثرة فِرِنْده وجوهره ، فذكره النابغةُ للنُّعمان ، فأخذه . فاضطغن ذلك القُرَيعيّ حتى وشَى به إلى النُّعمان وحرّضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس بن حَبيب عن أبي عمرو بن العَلاء ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة ، قالوا جميعاً : إنّ الذي من أجله هـرَب النّابغـةُ من النُّعمان أنّـه كان والمُنَخَّـلُ بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُرِيّ جالسين عنـده ، وكان النُّعمـان دميماً أَبْـرَشَ[4] قبيح

---

1 أنذره : أعلمه .

2 مثل يضرب في نباهة الذكر من غير قديم كما في سيرة عصام هذا فكل من ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي ؛ فصل المقال : 137 .

3 فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

4 الأبرش : الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

المَنْظَر ، وكان المنخَّل بن عُبَيْد من أجمل العرب ، وكان يُرْمي بالمتجرِّدة زوجةِ النُّعمان ، ويتحدَّث العربُ أنّ ابني النُّعمان منها كانا من المنخّل . فقال النُّعمان للنابغة : يا أَبا أُمامةَ ، صِفِ المتجرِّدةَ في شعرك ؛ فقال قصيدتَه التي وَصَفَها فيها ووصَف بطنَها وروادفها وفَرْجَها . فلحِقتِ المنخَّلَ من ذلك غَيْرةٌ ، فقال للنُّعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلاّ مَنْ جرّبه . فوقَر ذلك في نفس النُّعمان . وبلغ النابغة فخافه فهربَ فصار في غَسّان .

[كان المنخّل اليشكريّ يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزّل فيها فقتله]

قالوا : وكان المنخَّل يهوى هنداً بنت عَمرو بن هند ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

### صوت

ولقـــد دخلتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليومِ المَطِيرِ

الكاعـــب الحسناءِ تَـــرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحريرِ

فدفعتُهــــا فتدافعـــتْ ... مَشْيَ القَطـاةِ إلى الغَديرِ

ولَثَمْتُهـــــا فتنفَّستْ ... كتنــفُّس الظَّبْـي البَهِيرِ[1]

غنّاه إبراهيم المَوصِليّ من رواية عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق :

وبَدَتْ وقالت يا مُنَخَّـ ... ـلُ ما بجسمك من فُتورِ ؟[2]

مـا مَسَّ جِسْمِي غيرُ حُبِّـ ... ـكِ فاهْدَئي عنّي وسِيرِي[3]

ولقد شَرِبتُ من المُدا ... مةِ بـالكبيرِ وبـالصغيرِ[4]

فـإذا سَكِـرتُ فإنّنـي ... رَبُّ الخَوَرْنَـقِ والسَّدِيرِ[5]

وإذا صحـوتُ فإنّنـي ... ربُّ الشُّوَيْهـــةِ والبعيرِ

يـا هِنْـدُ هَل مـن نائلٍ ... يـا هنـدُ للعـاني الأَسِيرِ

وأُحِبُّهـــا وتُحِبُّنِـــي ... ويُحِـبّ ناقتَهـا بعيري

وقال حمّاد بن إسحاق عن أَبيه في كتاب أَغاني ابن مِسْجَح : في هذا الصوت لمالك ومَعْبَدٍ وابنِ سُرَيج وابن مُحْرِز والغَرِيض وابن مِسْجَح لكلهم فيه ألحانٌ . قال : فبلغ عمراً

---

1 البهير : الذي تتابع نفسه من الإعياء ، والتعب ؛ وفي الشعر والشعراء 404/1 :

وعطفتهـا فتعطفـت ... كتعطّف الظبي الغرير

2 وبدت : في الشعر والشعراء : 404/1 فترت .

3 مس : في الشعر والشعراء : 404/1 ما شفّ .

4 في الشعر والشعراء : 405/1 بالصغير وبالكبير .

5 الخورنق والسدير : قصران ، وقيل هما نهران .

خبرُ المنخَّل فأخذه فقتله . وقال المنخَّل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به : [من الخفيف]

طُلَّ وَسْطَ العِراقِ قَتْلِي بِلا جُرْمٍ وقَوْمِـــي يُنَتِّجـون السِّخالا

رجع الخبر إلى سِياقِهِ . قالوا جميعاً : فلمّا صار النابغة إلى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر ، وأُمّ الحارث الأعرج مارِيَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بنِ مُعاويةَ بن ثَوْر بن مُرتع الكِنْدِيّة وهي ذات القُرْطين اللّذين يُضْرَب بهما المثل فيقال لِما يُغْلى به الثمن «[خُذْه ولو][1] بقُرْطَيْ مارِيَةَ» . وأُختها هند هنود امرأة حُجْرٍ آكِلِ المُرار . وإيّاها عَنى حَسّان بقوله في جَبَلة بن الأَيْهَم : [من الكامل]

أَولادُ جَفْنَةَ حـولَ قبرِ أَبيهـمُ قبر ابن مارِيَـةَ الجَوادِ المُفْضِلِ

[مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغسّانيّ]

ولذلك خبر يأتي في موضعه ، فمدحه النابغةُ ومدح أَخاه النُّعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أَخوه النُّعمان ؛ فصار معه إلى أن استطلعه[2] النُّعمان فعاد إليه . فمِمّا مدَح بع عمراً قوله : [من الطويل]

**صوت**

كِليني لِهَمٍّ يـــا أُمَيْمَـةَ ناصِبِ ولَيْـلٍ أُقاسِيهِ بَطِـيء الكواكِبِ

وصَدْرٍ أَراحَ الليـلُ عازِبَ هَمِّهِ تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانِبِ

تَقاعَسَ حتّـى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ وليس الذي يَهْدِي النجومَ بِآئبِ

عليّ لِعَمْرٍو نِعْمَـةٌ بعـد نعمـةٍ لوالـــده ليست بـذاتِ عَقارِبِ

عروضه من الطويل . غنّى في البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو . وغنّى فيه الأَبْجَر من رواية حَبَشٍ ثاني ثقيل بالوسطى . وغنّى مالِكٌ في البيت الرابع ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات . وغنّى في الأربعةِ الأبياتِ عبد الله بن العبّاس الرَّبِيعِيّ ماخُورِيّاً عن حَبَشٍ ، وغنّى فيها طُوَيْس رَمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش .

هكذا رُوِي قولُه «يا أُمَيْمَةَ» مفتوحَ الهاء . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنّث

---

1 مثل : في باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها . هي مارية بنت الأرقم بن عمرو بن ثعلبة بن جفنة ، أو هي مارية بنت ظالم وهي أم ملك غسان الحارث بن الأعرج بن الحارث الأكبر بن عمرو بن عدي بن حجر . فصل المقال : 335 .

2 استطلعه : طلب طلوعه إليه .

بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلْمَ ؛ فلمّا لم يُرَخِّم لحاجته إلى الترخيم أَجراها على لفظها مُرَخَّمةً وأَتى بها بالفتح . وكِلِيني أي دَعِيني . ووكَلْتُهُ إلى كذا أَكِلُهُ وِكالة[1] . وناصب : مُتْعِب . وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إنّ كواكبه لا تجري ولا تَغُور . أَراح : ردّ . يقال أَراح الرجلُ إبلَه أي ردّها : فيقول : ردّ هذا الليلُ إليّ ما عزَب من هَمِّي بالنّهار ؛ لأَنّه يتعلّل نهاراً بمحادثة النّاس والتشاغل بغير الفكر ، فإذا خلا بالليل راح إليه همُّه . وتقاعس تأخّر ؛ وأَصلُ التقاعس الرجوعُ إلى خَلْفٍ القَهْقَرى ، فشبّه الليلَ في طوله بالمُتقاعِس . والذي يَهْدي النجومَ أوّلُها ، شبّهها بهواديها[2] . وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدِّرها ولا يَمُنُّها .

ومّما يَغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

حلفـتُ يمينـاً غيرَ ذي مَثْنَوِيَّـةٍ ... ولا عِلْمَ إلاّ حسنَ ظَنّي بصاحبِ[3]

لئـن كان للقَبْرَيـنِ قَبْرٍ بِجلَّقٍ ... وقَبْرٍ بصَيْداءَ الذي عنـد حاربِ

وللحارثِ الجَفْنيِّ سَيِّـدِ قومِـهِ ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيشِ دارَ المُحارِبِ[4]

غنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حَبَش . وغنّاه ابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . يقول : ليس لِي علمٌ بما يكون من صاحبي إلاّ أنّي أحْسِن الظنَّ به . وقوله «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَيْن في هذين القبرين ، يعني قبر أَبيه وجدّه وهما الحارث الأَكبر والحارث الأَعرج ، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشُه دارَ المُحارِبِ له ؛ يحرِّضه بذلك . ويُرْوى «أَرْضَ المحارب» : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهـم غير أنّ سيوفَهم ... بهـنّ فُلولٌ مـن قِراعِ الكتائبِ

إذا استُنْزِلوا عنهـنّ للطّعن أَرْقَلوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ

## صوت

[من الطويل]

لهـم شِيمةٌ لم يُعْطِهـا اللهُ غيرَهم ... مـن النَّاسِ والأَحلامُ غيرُ عَوازِبِ

على عارفـاتٍ للطِّعـانِ عَوابِسٍ ... بهـنّ كلـومٌ بـين دامٍ وجالِبِ

1 الوكالة : اسم من التوكيل .

2 إن الذي يهدي النجوم ما يتقدمها ؛ إذ هادي كل شيء ما يتقدمه . فقيل المراد به أول النجوم ، ومعنى كونه غير آئب : غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادي النجوم الشمس .

3 غير ذي مثنوية : لم أستثن فيها . في الديوان : حُسن ظنٍّ بصاحب .

4 الحارث الجفني : هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني .

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفهم  بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ
إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطّعنِ أرْقَلوا  إلى الموتِ إرقالَ الجمال المصاعبِ
حَبَوْتُ بها غسّان إذ كنتُ لاحقاً  بقومي وإذْ أُعيتْ عليَّ مَذاهِبِي

وجدْت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبَد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المكّيّ . الشِّيمة : الطبيعة ، وجمعها شِيَمٌ . غير عوازب أي لا تعزب أحلامهم فتنفذ عنهم . وعارفات للطّعان أي صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحارَبَ عليها . وعوابس كوالح . وجالب أي عليه جُلْبة وهي قِشْرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجْلِب جلوباً وأجلب إجلاباً . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمْسَسْه الحبل وإنّما يُقْتنى للفِحْلَة ، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ . وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة . وروى أبو عُبيدة «إذ كنت لاحقاً بقومٍ» وقال : يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين ، فكنتم أحقَّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر إلى النُّعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال : [من السريع]

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهُهُ  مُقتبِلُ الخيرِ سريعُ التَّمامْ
للحارث الأكبرِ والحارثِ الْـ  ـأصغرِ والحارث خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ فقد  أسرع في الخيراتِ منه إمامْ[1]
خمسةُ آباءٍ وهُمْ ما هُمُ  هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغَمامْ[2]

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

[فضّله الشعبيّ على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا هارون بن عبد الله الزُّبيريّ قال حدَّثنا شيخ يُكْنى أبا داود عن الشعبيّ قال : دخلت على عبد الملك بن مَروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَراحيل الشَّعبيّ . فقال : على علمٍ ما أذِنّا لك . فقلت في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطلَ : مَن أشعرُ النّاس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خُذْها ثِنْتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول : [من السريع]

1 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : يُنجع في الرّوضات ماء الغمام .
2 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : هم خير من يشرب صفو المدام .

هـذا غـلامٌ حسن وجْهُهُ    مُسْتَقْبِلُ الخيرِ سريـع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الْـ    ـأصغرِ والحـارث خير الأنامْ
خمسةُ آبـاءٍ وهُـمْ ما هُمُ    هم خير مَن يشرب ماء الغمامْ

والشعر للنابغة ، فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنّما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنتُ حَرِيّاً أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنّه أخطأ ثلاث مرّات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أحد ، ووجدته أتمّ ممّا رأيتُ في كلّ موضع ، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصّ خبر النابغة لأنّه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدَّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال : كتب عبدُ الملك إلى الحجّاج : إنّه ليس شيءٌ من لَـذَّة الدُّنيا إلاّ وقد أصبتُ منه ، ولَم يبقَ عندي شيء ألَذُّه إلاّ مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَلَـك عامرٌ الشَّعْبيّ ، فابعَثْ به إليّ يحدّثني . فدَعا الحجّاج الشعبيَّ فجهّزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذِنْ لِي . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبيّ . قال : حيّاك الله ؛ ثم نَهض فأجلسني على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخُلْ يرحمُك الله . فدخلت ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللِّحية على كرسيّ ، فسلّمتُ فردّ عليّ السلام ، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقـال : وَيْحَكَ ! مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبيّ : فأظْلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ، فلم أصبِر أن قلتُ : ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنّـه أشعر النّاس ؟! قال : فعجب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي . قال : هذا الأخطل . فقلـت . يـا أخطل ! أشعرُ والله منك الذي يقول : [من السريع]

هـذا غـلامٌ حسنٌ وجهُـه    مستقبِلُ الخير سريـع التَّمامْ
للحـارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ    ـأصغر والحـارث خير الأنامْ
ثـم لهنـدٍ ولهنـدٍ فقـد    أسرع في الخيرات منـه إمامْ
خمسة آباءٍ وهُـمْ مـا هُـم    هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغمامْ

فردّدتها حتى حفِظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ . قال فقال : صدَق واللهِ يا أمير المؤمنين ، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّي . فقال الشعبيّ : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنتَ يا شعبيّ ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضَعَ مَعاذيرِي لما كان من خلافي على الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث ؛ فقال : مَهْ !

إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا في قول ولا فعل حتى تُفارقَنا . ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غَطَفانَ فقال : يا معشر غطفان ، أيُّ شعرائكم الذي يقول : [من الطويل]

حلَفتُ فلَم أُترِكْ لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّي خِيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أغَشُّ واكْذَبُ

ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرّجالِ المهذَّبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللّيل الذي هو مُدْرِكِي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ متينةٍ ... تَمُدّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ

قالوا : النابغةُ . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الوافر]

إلى ابن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسي ... وراحلتي وقد هَدَتِ العيونُ[1]

أتيتك عارياً خَلَقاً ثِيابِي ... على خوفٍ تُظَنُّ بِيَ الظُّنونُ

فألفيْتُ الأمانةَ لم تَخُنْها ... كذلك كان نُوحٌ لا يخونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطلِ فقال : أتُحِبّ أنّ لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنّك قلتَه ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدْتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتاً قالَها رجل منّا ، كان والله ما علِمتُ مُغْدَفَ[2] القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذِّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته : [من البسيط]

إنّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإن بَلِيتَ وإن طالَت بِكَ الطِّيَلُ[3]

ليس الجديدُ به تبقى بَشاشتُهُ ... إلاّ قليلاً ولا ذو خُلَّةٍ يصِلُ

والعيشُ لا عيشَ إلاّ ما تَقَرُّ بِهِ ... عينٌ ولا حالَ إلاّ سوف تنتقلُ

إن تَرْجِعِي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يَهُون على المُسْتَنْجِحْ العملُ[4]

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأُمِّ المخطىء الهَبَلُ

---

1 هدت ، أصله : (هدأت) بالهمز .

2 إغداف القناع : إرساله على الوجه .

3 الطِّيل : جمع طيلة وهو الدهر .

4 منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

قد يُدْرِكُ المُتَأنّي بعضَ حاجتِهِ ... وقد يكون مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

حتى أتى على آخرها . قال الشعبيّ : فقلت : قد قال القَطاميّ أفضلَ من هذا قال : وما قال ؟ قلت قال : [من الكامل]

طرَقَتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنت أحسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[1]

قطعتَ إليك بمثلِ جِيدِ جَدايةٍ ... حَسَنٍ مُعَلَّقُ تُومَتَيْهِ مُطَوَّقِ[2]

ومُصَرَّعِين من الكَلالِ كأنّما ... شَرِبُوا الغَبُوقَ من الرَّحيقِ المُعْرَقِ[3]

متوسِّدين ذراعَ كلِّ نَجيبةٍ ... ومُفَرَّجٍ عَرِقِ المَقَذِّ مُنَوَّقِ[4]

وجَثَتْ على رُكَبٍ تَهُدّ بها الصَّفا ... وعلى كَلاكِلَ كالنَّقِيلِ المُطْرَقِ[5]

وإذا سَمِعْنَ إلى هَماهِمِ رُفْقَةٍ ... ومن النجومِ غوابِرٌ لم تَخْفِقِ[6]

جعلتْ تُميلُ خدودَها آذانُها ... طَرَباً بهنّ إلى حُداء السُّوَّقِ

كالمُنْصِتاتِ إلى الغناءِ سمعنَه ... من رائعٍ لقلوبهنّ مُشَوِّقِ

وإذا نظَرنَ إلى الطريقِ رأينَه ... لَهِقاً كشاكلة الحِصانِ الأبلقِ[7]

وإذا تخلَّف بعدهنّ لحاجةٍ ... حادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَه لم يَلْحَقِ[8]

وإذا يصيبك والحوادثُ جَمَّةٌ ... حَدَثٌ حَدَاكَ إلى أخيكَ الأوثقِ

لئن الهمومُ عن الفؤادِ تفرّقت ... وخَلا التَّكَلُّمُ للّسانِ المُطْلَقِ[9]

قال : فقال عبد الملك : هذا والله أشعرُ ، ثَكِلتِ القَطاميَّ أُمُّه ! . قال : فالتفت إليّ الأخطل فقال : يا شعبيّ ، إنّ لك فنوناً في الأحاديث ، وإنّما لنا فنٌّ واحد ؛ فإن رأيت ألاّ

---

1 المعنق : المكان الذي أعنقت منه . العنق : ضرب من السير سريع .

2 الجَداية : الغزال . والتُومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبّة كبيرة .

3 شربوا في ل : سمروا . الرحيق في الديوان : الطلا . المعرق : القليل الماء .

4 المفرّج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقذ : ما خلف الأذن . بعير منوّق : مذلّل كأنه ناقة ، أو هو الذي اختير وتنوّق فيه .

5 النقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .

6 غوابر في ل : غوائر أي بواق .

7 لهقاً في ل : كهفاً . واللهق : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذي ارتفع تحجيله إلى فخذيه .

8 الشسع : أحد سيور النّعل .

9 لئن في ل : ليت . تفرّقت في ل : تفرّجت .

تحملني على أُكتاف قومك فأَدَعَهم حَرَضاً[1] ! . فقلت : لا أُعرِض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأَقِلْنِي في هذه المرّة . قال : مَنْ يتكفّل بِكَ ؟ قلت : أُمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليَّ أَلاّ يعرِض لك أبداً ؛ ثم قال : يا شعبيّ ، أَيُّ نساء الجاهليّة أَشعر ؟ قلت : خنْساء . قال : ولِمَ فضَّلتَها على غيرها ؟ قلت : لقولها : [من الطويل]

وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فـات خَطْوَها لِتُدْرِكه يا لَهْفَ نفسي على صَخْرِ
أَلا ثَكِلَـتْ أُمُّ الذيـن غَدَوْا بِـهِ إلى القبر مـاذا يحملون إلى القبرِ

فقال عبد الملك : أَشعرُ منها والله التي تقول : [من البسيط]

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ والسربالِ منخرقٌ عنـه القميصُ لسير الليـلِ محتقرُ[2]
لا يأمَـنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ في كلِّ فَـجٍّ وإن لم يَغْـزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبيّ ، لعلَّك شَقَّ عليك ما سمعتَ . قلت : إي والله يا أُمير المؤمنين أَشدَّ المشقّة . إنِّي أُحدِّثك منذ شهرين لم أُفِدك إلاّ أَبياتَ النابغة في الغلام . قال : يا شعبيّ ، إنّما أُعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أُهل الشام ، يقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأُهلُ الشام أَعلم بعلم العراق من أُهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبياتَ لَيْلى حتى حفِظتها ، ولم أُزَل عنده ؛ فكنتُ أَوّلَ داخل وآخر خارج . قال : فمكثتُ كذلك سنين ، وجعلني في أَلفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأُهل بيتي في أُلفين أُلفين ؛ فبعثني إلى أُخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب إليه : يا أُخي ، إنّي قد بعثت إليك الشعبيّ ، فانظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ ؟ ثم أُذِن لِي فانصرفت .

[حديث حسان عنه حين قدم على النعمان]

أَخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدائنيّ ، وأُخبرني ببعضه أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عمر بن شبّة عن أَبي بكر الهُذَليّ قال : قال حسّان بن ثابت : قَدِمت على النُّعمـان بن المنـذر وقـد امتدحتُـه ، فأُتيت حاجبه عصام بن شَهْبَرٍ فجلستُ إليه ؛ فقال : إنّي لأُرى عربيّاً ، أُفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكُنْ قَحطانيّاً . فقلت : فأَنا قحطانيّ . قال : فكن يَثْرِبيّاً قلتُ : فأَنا يثربيّ . قال : فكن خَزْرَجيّاً . قلت : فأَنا خزرجيّ . قال : فكن حسّان بن ثابت . قلت : فأَنا هو . قال : أَجئتَ بمِدْحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فإنّي أُرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنّه يسألك عن جَبَلَة بن الأَيْهَم ويسبّه ، فإيّاك أن تساعده على ذلك ،

1 الحرض : الرديء ، من النّاس .
2 مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال رقته وخفته .

ولكن أَمِرَّ ذكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخول مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلةَ وهو منك وأنت منه ؟ . وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكِله ؛ فإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّفٍ بمؤاكلته لا أَكلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِلْ محادثتَه ، ولا تبدأْه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ في مجلسه . فقلت : أَحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لي : ادخُلْ . فدخلتُ فسلّمت وحيّيت تحيّة الملوك . فجاراني من أمر جَبَلَةَ ما قاله عِصامٌ كأنّه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنتهُ في الإنشاد فأَذِن لي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصامٌ به ، وبالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك . فأمر لي بجائزة سنيّة وخرجت . فقال لي عصام : بَقِيتْ عليّ واحدةٌ لم أُوصِك بها ؛ قد بلغني أنّ النابغة الذُّبياني قدِم عليه ، وإذا قدِم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فاستأذِن حينئذٍ وانصرِف مُكرَّماً خير من أن تنصرف مجفُوّاً ؛ فأقمتُ ببابه شهراً . ثم قدِم عليه الفَزاريّانِ وكان بينهما وبين النُّعمان دُخْلُلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النُّعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدم ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما . ودسَّ النابغةُ قَيْنةً تغنّيه بشعره : [من الكامل]

يــا دارمَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنّه لشعر النابغةِ ! وسأل عنه فأُخبِر أنّه مع الفَزاريَّيْن ؛ فكلّماه فيه فأمّنه .

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره : لمّا صار معهما إلى النُّعمان كان يُرسل إليهما بطِيبٍ وألْطاف مع قَيْنة من إمائه ، فكانا يأمُرانِها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرتْ ذلك للنُّعمان ، فعلم أنّه النابغة . ثم ألقى عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ ؛ ففعلتْ فأطربته ، فقال : هذا شعر عُلْوي[1] ، هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج في غِبِّ سماء ، فعارضه الفَزاريّان والنابغة بينهما قد خُضِب بحِنّاء فأقنأ خِضابُه[2] ، فلمّا رآه النُّعمان قال : هي بدَمٍ كان أحرى أن تُخضَب . فقال الفزاريّان : أبيتَ اللَّعْنَ ! لا تثريب[3] ، قد أجَرْناه ، والعفو أجمل . فأمّنه واستنشده أشعاره . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسَدته على ثلاث لا أدري على أيّتهنّ كنتُ له أشَدَّ حسداً : على إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسامرته[4] له

1 عُلْوي : نسبة إلى العالية غير القياس ، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

2 قنوء الخضاب : اشتداد حمرته .

3 التثريب : اللوم والتعيير بالذنب والتذكير به .

4 في ل : ومسايرته .

وإصغائه إليه ، أم على جَوْدة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره[1] أَمَر له بها .

قال أبو عُبيدة : قيل لأبي عمرو : أَفَمِن مخافته امتدحه وأَتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لَمخافته فعل ، إنْ كان لآمِناً من أن يوجِّه النُّعمان له جيشاً ، وما كانت عشيرتُه لِتُسلمَه لأوّل وَهْلة ، ولكنّه رغِب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفِضّة والذهب من عطايا النُّعمان وأَبيه وجَدّه ، لا يستعمل غير ذلك . وقيل : إنّ السبب في رجوعِهِ إلى النُّعمان بعد هَرَبه منه أنّه بلغه أنه عليلٌ لا يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنْقَل ما بين الغَمر وقصور الحِيرة . فقال لعصام بن شَهْبَرٍ حاجبه ، فيما أُخبرنا به اليزيديّ عن عمّه عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : [من الوافر]

**صوت**

أَلَـم أُقْسِمْ عليـــكَ لَتُخْبِرَنّي — أَمحمــولٌ عــلى النَّعْشِ الهُمامُ

فإنّـــي لا أَلومُـك في دخولي — ولكن مــا وراءكَ يــا عِصامُ[2]

فإنْ يَهْلِكْ أَبـو قابُـوسَ يَهْلِكْ — ربيـعُ النَّاسِ والشهرُ الحرامُ[3]

ونُمْسِك بعــده بذِنابِ عيشٍ — أجَبِّ الظهر ليس لــه سَنامُ[4]

غنّاه حُنَين ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَش .

قال أبو عُبيدة : كانت ملوك العرب إذا مرِض أحدهم حملته الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

وقوله : [من الوافر]

فإنّـي لا أَلومُكَ في دخولِي

أي لا أَلومك في ترك الإذن لِي في الدخول ، ولكن أَخبِرْني بكُنْه أمره . وقوله : [من الوافر]

ربيـع النـاس والشهر الحرامُ

---

1 العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

2 لا ألومك في ل : لا ألام . و«ما وراءك يا عصام» مثل . انظر مجمع الأمثال للميداني : 262/22 وكتاب الأمثال لأبي فيد : 184 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري : 225/2 وكتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري : 334/2 .

3 أبو قابوس : كنية النُّعمان بن المنذر .

4 ذِناب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السّنام .

يريد أنّه كالربيع في الخِصْب لمُجتَدِيه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصَل إلى مَن أجاره كما لا يُوصَل في الشهر الحرام إلى أحد .

[مما يغنّى فيه من شعره]

## صوت

[من الطويل]

رأيتُكَ تَرْعانِي بعينٍ بصيرةٍ ... وتبعث حُرَّاساً عليَّ وناظرا[1]

فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مُجْرِماً ... ولا أبتغي جاراً سواك مجاورا[2]

وأهلي فداءٌ لامرىءٍ إن أتيته ... تقبَّل معروفي وسَدَّ المَفاقِرا[3]

ألا أبْلِغ النُّعمانَ حيث لَقِيتَه ... وأهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيْد[4] الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَشٍ .

وممّا يُغنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النُّعمان : [من البسيط]

## صوت

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ ... أقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ

وقفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائلها ... أعْيَتْ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدِ

إلاّ الأواريَّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كالحَوْض بالمظلومة الجَلَدِ

ردَّتْ عليه أقاصيه ولبَّده ... ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثَّأدِ[5]

خَلَّتْ سبيلَ أَتيٍّ كان يحبِسه ... ورفَّعته إلى السَّجْفين فالنَّضَدِ

أضحتْ خَلاءً وأضحى أهلُها احْتَمَلوا ... أخْنى عليها الذي أخْنى على لُبَدِ

الغناء لَمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لجَميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَشٍ .

قال الأصمعيّ : وقوله «يا دار ميّة» يريد يأهلَ دارِ مَيَّة ، كلّما قال امرؤ القيس :

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالي

يريد أهلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنّما نادى الدّار لا أهلَها أسفاً عليها وتشوّقاً إلى أهلها

---

1 ترعاني : تحرسني وتحفظني .

2 آليت : أقسمت ، ومجرماً : مذنباً .

3 يقال : سدّ الله مفاقره أي أغناه وسدّ وجوه فقره .

4 هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى .

5 موضع الثأد التراب الندي المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض وانخفض .

وتَمَنِّيَه أن تكون أهلاً . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلا يَعْلُو وعَلِيَ يَعْلى ، مثلُ حَلا يَحْلُو وحَلِيَ يَحلى ، وسَلا يَسْلُو وسَلِيَ يَسْلى . والسَّنَد : سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أي يُصْعد . أَقْوَتْ : أقفرت وخَلَتْ من أهلها . وقال أبو عُبيدة في قوله يا دار مَيّة ثم قال أَقْوَتْ ولم يقل أَقْوَيْتِ : إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه . وروى الأصمعيّ «أُصَيْلاناً» وهو تصغير أُصْلان[1] . ويُروى «عَيَّتْ جواباً» أي عَيِيَتْ بالجواب . والأَوارِيّ : جمع آرِيّ[2] . ولأياً : بُطْءاً . والمظلومة : التي لم يكن فيها أثرٌ فحفر أهلُها فيها حوضاً ؛ وظُلْمُهم إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤْيَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد : الأرض الصُّلبة الغليظة من غير حجارة . وإنّما جعلها جَلَداً لأنّ الحفر فيها لا يسهُل . وقوله «رَدَّتْ عليه أقاصيه» يعني أَمَةً فعلتْ ذلك ، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر . وأقاصيه : يعني أقاصي النُّؤْي على أدناه ليرتفع . ولَبّده : طَأْمَنه[3] . والوليدة : الأَمَةُ الشابّة . والثَّأْد : النَّدى . والسبيل : الطريق . والأَتِيّ : النّهر المحفور ، والأَتِيّ : السيل من حيث كان . يقول : لمّا أُفسدتْ طريقُ الأتِيِّ سهّلت له طريقاً حتّى جرى . ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين ، وليس رَفَّعَتْه هاهنا من ارتفاع العُلُوّ . والسَّجْفان : سِتْران رقيقان يكونان في مُقَدَّم البيت . والنَّضَد : ما نُضِد من المَتاع . وأَخْنى : أَفْسَد . ولُبَد : آخر نسور لُقْمان التي اختار أن يُعَمَّر مثلَ أعمارها وله حديث ليس هذا موضعه .

## صوت

[من البسيط]

| | |
|---|---|
| أَسْرَتْ عليه من الجَوْزاء سارِيةٌ | تُزْجي الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ |
| فارتاعَ من صَوْتِ كَلاَّبٍ فباتَ له | طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ |
| فَبَثَّهُنّ عليه واستمرّ بِهِ | صُمْعُ الكُعوبِ بَرِيّاتٌ من الحَرَدِ[4] |
| وكان ضُمْرانُ منه حيثُ يُوزِعُهُ | طَعْنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ[5] |
| شَكَّ الفَرِيصةَ بالمِدْرى فأَنْفَذَها | طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِي من العَضَدِ |

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن لمالك . يعني

1 أصلان : جمع أصيل وهو القسي .
2 الآري : الآخية التي تشدّ بها الدابة .
3 طأمنه : خفضه وسكنه .
4 بث : فرّق .
5 ضمران : اسم كلب . يوزعه : يغريه .

أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلاً وأنّ أنواء الجَوزاء أَسْرَتْ عليه بها . وتُزْجِي : تسوق وتَدْفَع . عَلَيْهِ أي على الثور . والكَلاّب : صاحب الكِلاب . وقوله «بات له طَوْعُ الشوامت» أي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ[1] اللَّواتِي شَمِتْنَ بِه . وصُمْعُ الكعوب : يعني قوائمَه أنّها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأَصلُ الصَّمَعِ رِقّة الشيء ولطافته . والحَرَدُ[2] : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أَحْرَدُ ، وناقةٌ حَرْداءُ . والمُحْجَرُ : المُلْجأ . والنَّجُدُ[3] : الشجاع . والفَرِيصةُ : مَرْجِع الكَتِف إلى الخاصرة . والمِدْرى : القَرْن . والمُبَيْطِر : البَيْطار . والعَضَدُ : داء يأخذ في العَضُد .

وفي لحن إبراهيم الموصليّ بعدَ «فارتاع من صوت كَلاّبٍ» : [من البسيط]

كأنّ رَحْلِي وقــد زالَ النّهارُ بنا ... يــومَ الجَليلِ على مُسْتأنِسٍ وَحَدِ[4]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أَكارِعُه ... طاوى المَصِير كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعيّ : زال النهار بنا أي انتصف . و«بنا» هاهنا في موضع «علينا» . ومَن روى «مُسْتَوْجِس» فإنه يعني أنه قد أَوْجَسَ شيئاً خافه فهو يَسْتَوْجِس . والجليل : الثُّمام ، واحدته جَلِيلةٌ . ووَجْرة : طَرَف السِّيِّ[5] وهي فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهي ستّون مِيلاً يجتمع فيها الوحش . ومَوْشيّ أَكارعُه أي إنه أبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفْعةٌ[6] . وطاوِي المَصِير : ضامر . والمَصِير المِعَى ، وجمعه المُصْران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : غنّى مُخارِقٌ يوماً بين يدي الرشيد : [من البسيط]

سرت عليـــه مـــن الجـــوزاء ساريةٌ

فلمّا بلغ إلى قوله : [من البسيط]

فارتاعَ من صوت كَلاَّبٍ فبات له

قال : فارتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أَرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنّ أنّي حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه . فالتفت إليه بعضُ مَنْ حضر ، أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ ، فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغنّي بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ

1 الشوامت : جمع شامتة وهي القوائم .
2 الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربّما كان خلقة .
3 النّجد : وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره .
4 الاستئناس هنا : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس كما قال ابن الأعرابيّ .
5 السّي : موضع .
6 السفعة : السواد ؛ وهي سواد مشرب بحمرة .

فضلاً على الملوك ! ويلك ! لو قلتَ : «فارتاعَ» كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ» . فخجِل مُخارق ، وكُفِيتُ ما أردته بغيري . قال : وكان مخارق لَحّاناً .

ومنها : [من البسيط]

صوت

قالت ألا لَيْتما هذا الحمامُ لنا    إلى حمامتنـا ونِصْفُـه فقَـدِ
يَحُفُّـه جانِبـا نِيـقٍ وتُتْبِعُه    مثلَ الزُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ
فحسَبوه فألْفَـوْه كما حَسِبتْ    تسعاً وتسعين ولم تنقُص ولم تَزَدِ
فكمّلتْ مائـةً فيهـا حمامتُها    وأسرعتْ حِسْبَةً في ذلك العددِ

غنّاه ابن سُريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . هذا خبرٌ رُوِي عن زَرْقاء اليَمامة ، ويُرْوى عن بنت الخُسّ[1] .

[أخذ معنى لزرقاء اليمامة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال سمعت أبا العبّاس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة ، قالت : [من مجزوء الرجز]

ليت الحمامَ لِيَـهْ    ونِصْفَـه قَدِيَـهْ[2]
إلى حَمـامَتِيَهْ    تَمّ الحمـامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة . وقال الأصمعيّ : سمعت أُناساً من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً في جَوارٍ ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضِيقٍ من الجبل ، فقالت : [من مجزوء الرجز]

يا ليتَ ذا القَطا لِيَهْ    ومثلَ نِصْفٍ مَعِيَهْ
إلى قَطـاةِ أهْلِيَهْ    إذاً لنـا قَطاً مِيَهْ

وأُتْبِعتْ فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستّون . وقوله : «فَقَدْ» أي فحَسْبُ . ويَحُفّه أي يكون من ناحية هذا الثَّمَد ؛ يقال : حَفّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيق : الجبل . ومثل الزجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة . الحِسْبة : الهيئة التي تُحْسَب ؛ يقال : ما أَحْسَنَ حِسْبَتَه ، مثل الجِلْسة واللِّبْسة والرِّكْبة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

نُبِّئْتُ أنّ أبـا قابُـوسَ أوعدني    ولا قَـرارَ على زَأْرٍ من الأَسَدِ

---

1 بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة اسمها هند ، وقيل : جمعة .

2 قديه : حسبي ، والهاء الساكنة للسكت .

سَهْلاً فـداءٌ لـك الأقوامُ كلُّهمُ ... ومـا أُثَمِّرُ مـن مالٍ ومن ولدِ
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ مُعْتَمِداً ... إذاً فلا رفعتْ سَوْطي إليَّ يدي
هذا الثناءُ فإنْ تَسْمَعْ بِـهِ حَسَناً ... فلَـم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

غنّاه الهُذَليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ . أُثَمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأْرُ : صياح الأسد ؛ يقال : زأر زئيراً وهو الزأْر . والصَّفَد : العطيّة ؛ يقال : أصْفَده يُصْفِده إصفاداً إذا أعطاه ، وصَفَده يَصْفِده صَفْداً إذا أَوثقه .

[رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان]

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني الصَّلْت بن مسعود قال حدَّثنا أَحمد بن شَبُّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارَك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت ، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيْثَمَةَ عن أَبيه عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال قال حسّان بن ثابت ، وأَخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي يوسف بن محمد عن عمِّه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسان بن ثابت ، وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها ، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ ، قال : خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر ، فلَقِيت رجلاً ، وقال اليزيديّ في خبره : فلقيتُ صائغاً من أَهل فَدَك ، فلمّا رآني قال : كُن يَثْرِبِيّاً ؛ فقلت : الأمر كذلك . قال : كُن خَزْرَجِيّاً ؛ قلت : أنا خزرجيّ . قال : كُن نَجّارِيّاً ؛ قلت : أنا نجّاريّ . قال : كُن حسّان بن ثابت ؛ قلت : أَنا هو . فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أُسَدِّدك إلى أين تذهب ومَنْ تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لِي به علماً وخُبْراً . قلت : فأَعْلِمْني ذلك . قال : فإنّك إذا جئتَه متروكٌ شهراً قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ الشهر ، ثم إنك متروكٌ آخرَ بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَن لك . فإنْ أنت خلوتَ به وأَعْجَبْتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً ؛ فأَقِمْ ما أَقمتَ ، فإن رأيتَ أَبا أُمامة فاظْعَنْ ، فلا شيء لك عنده . قال : فقدِمت ففعَل بِي ما قال الرجل ثم أَذِن لي وأَصبتُ منه مالاً كثيراً ونادمتُه وأَكلت معه . فبينا أَنا على ذلك وأَنا معه في قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها : [من الرجز]

أَصَـمٌّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ ... يـا أَوهبَ النّاس لِعَنْسٍ صُلْبَهْ[1]
ضَرّابـةٍ بـالمِشْفَرِ الأَذِبَّـهْ ... ذات هِبابٍ في يديهـا جُلْبَهْ[2]

1 العنس : الناقة القوية .

2 الأذبة : جمع قلة لذباب . الهِباب : النشاط والسرعة .

في لاحِبٍ كأنّه الأَطِبَّهْ[1]

وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُدْبة» أي طول واضطراب . والأَطِبّة : جمع طِباب وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخَرْزِ . وقال عمر بن شَبَّة في خبره : قال فُلَيح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب ، قال فقال : أليس بأَبي أُمامة ؟ قالوا بلى . قال : فأْذَنوا له . ودخل فحيَّاه وشرِب معه . ثم وردت النَّعَمُ السُّودُ ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النُّعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأَذِن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها ، فقال : شأنَك بها يا أبا أُمامة ، فهي لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أُصابني يومئذٍ ، وما أدري أيّما كنتُ أحْسَدَ له عليه : أَلِما أُسمع من فضل شعره ، أم ما أُرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرامِيزي[2] وركبت إلى بلادي . وقد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أنّ حسّان قدِم على جَبَلة بن أبي شَمِر ؛ ولعلّه غلط . أُخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي يوسف قال حدَّثني عمِّي إسماعيل عن الواقِديّ عن محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يقدَم على جَبَلة بن الأَيْهَم سنةً ويُقيم سنةً في أَهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي ، وهو أبذل الناسِ لمعروف ، وقد يئس منّي أن أقدَم عليه لِما يعرف من انقطاعي إلى جَبَلة . فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمت على الحارث وقد هيَّأت مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرَّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدَعُك حتى تذكُرَ جَبَلةَ . فإيّاك أن تقع فيه فإنّه يختبرك ؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زهِد فيك ، وإن ذكرتَ مَحاسنَه ثَقُل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ؛ فإنْ سأَلك عنه فلا تُطنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسَحْ ذكرَه مَسْحاً وجاوِزْه . وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يُثقل عليه أن يُؤْكَل طعامُه أو يُشْرَبَ شرابُه ، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوَك إليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس عن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكلّ ذلك أُخبره ، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلة فقال : كيف تَجِدُ جبلة ، فقد انقطعتَ إليه وتركتنا ؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه ؛ فلم أجْرِ معه في مدح ولا ذَمٍّ ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي

1 اللاحب : الطريق الواضح .

2 جمع فلان إليه جراميزه : إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

الحاجب . قال : ثم قال لي الحاجب : قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنسُ به ، وهو قبيح أن يجفوَك بعد البرِّ ، فاستأذِنْه من الآن فهو أَحسن . فاستأذنته فأَذِن لي وأَمر لي بخمسمائة دينار وكُساً وحُمْلان ، فقبضتها وانصرفتُ إلى أَهلي .

## صوت

[من الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لَقِيتُهمْ أُحَكَّمُ في أَموالهم وأُقَرَّبُ
ولكنَّني كنتُ امرءاً لِيَ جانِبٌ من الأَرضِ فيه مُسْتَرادٌ ومطلبُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل . الجانب هنا : المتَّسَع من الأَرض . والمُستراد : المُخْتَلَف يذهب فيه ويجيء ؛ ويقال : رادَ الرجلُ لأَهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مستراده فقال : «ملوكٌ وإخوانٌ» .

ومن القصيدة العينيّة : [من الطويل]

## صوت

عَفا ذو حُساً من فَرْتَنا فالفوارعُ فَجَنْبا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدوافِعُ[1]
فمُجْتَمَعُ الأَشراجِ غَيَّرَ رَسْمَها مَصايِفُ مَرَّتْ بعدنا ومَرابعُ[2]
توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها لِستّة أَعوامٍ وذا العامُ سابعُ
رَمادٌ ككُحْلِ العين ما إنْ أُبينُه ونُؤْيٌ كجِذْمِ الحوض أَثْلَمُ خاشِعُ[3]

غنّاه معبدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر . [من الخفيف]

## صوت

آذنتنا ببينِها أَسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ
بعد عَهْدٍ لها ببُرْقة شَمّا ءَ فأَدْنى ديارِها الخَلْصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أَعلمتنا . والبَيْنُ : الفرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثَوى ثَواءً . والبُرْقة : أَرض ذات رمل وطين . وشَمّاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أَوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس مَن ينسبه إلى حُنَيْن .

---

1 ذو حسا وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسايل . والتلاع : جمع تلعة ، وهي هنا : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . والدوافع : التي تدفع بالماء إلى الوادي .

2 الأشراج : جمع شَرج وهو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة .

3 إن أبينه في الديوان : «لأياً أبينه» . النؤي : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شيء : أصله .

# [ 174 ] ـ أخبار الحارث بن حلّزة ونسبه[1]

[ نسبه ]

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد بن جُشَم بن عاصم بن ذُبيانَ بن كِنانة بن يَشْكُرَ بنَ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

[السبب في قول قصيدته المعلقة]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِند الملِك ، وكان جبّاراً عظيمَ الشأن والمُلْك ، لَمّا جمع بَكْراً وتَغْلِبَ ابنَيْ وائل وأَصلح بينهم ، أخذ من الحَيَّيْن رُهُناً من كلّ حيٍّ مائةَ غلام ليكفَّ بعضَهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزُون معه ؛ فأَصابتهم سَمُومٌ في بعض مَسِيرهم فهلَك عامّة التَّغْلَبِيِّين وسَلِم البَكْرِيّون . فقالت تَغْلِب لبكر : أَعطُونا دِياتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأَبَت بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِب إلى عمرو بن كُلْثوم وأَخبروه بالقصّة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتَغلب : بِمَنْ ترون بكراً تَعْصِب أمرَها اليوم ؟ قالوا : بمَن عسى إلاّ برجل من أولاد ثَعْلَبة . قال عمرو] : أرى والله الأمرَ سينجلي عن أحمر أَصْلَجَ[2] أَصَمّ من بني يَشْكُرَ . فجاءت بكرٌ بالنُّعمان بن هَرِمٍ أحد بني ثعلبة بن غَنْم بن يَشْكُر ، وجاءت تَغْلِب بعمرو بن كُلثوم . فلمّا اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنُّعمان بن هَرِم : يا أَصَمّ ! جاءت بك أولاد ثعلبة تُناضل عنهم وهم يفخَرون عليك ! فقال النُّعمان : وعلى مَنْ أظلّت السماءُ كلّها يفخَرون ثم لا يُنكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أَمَا والله لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُّعمان : والله لو فعلتَ ما أَفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أَبيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فقال : يا جارية أَعْطِيه لَحْياً بلسان أُنْثى (أي سُبِّيه بلسانك) . فقال : أيّها الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أَهلِك إليك . فقال : يا نُعمان أيسرُّك أنّي أَبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنّك أُمِّي . فغضِب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنُّعمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً ، توكّأ على قوسه وأنشدها وانتظم[3] كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبيّ : أَنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 1/197–198 ، والخزانة 1/158 ، ومعاهد التنصيص 138–139 .

2 الأصلج : الأصم ، والأصلج في لغة بعض قيس : الأصلع .

3 انتظم هنا : طعن .

وَضَحٌ[1] ، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحاً ؛ فأمر أن يُجعل بينه وبينه سِتْرٌ . فلمّا تكلّم أُعجب بمنطقه ؛ فلم يزل عمرو يقول : أَدْنُوه أدنوه حتى أَمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه به . هذه رواية أبي عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كلّ حيّ وأصلح بينهم بذي المَجاز[2] ، وذكر أنّ الغلمان من بني تَغْلِب كانوا معه في حرب فأُصيبوا . وقال في خبره : إنّ الحارث بن حِلِّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته : [من الوافر]

قِفي قبل التفرُّق يا ظعينا

وغيرُ الأصمعيّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء ، وكان قد شرَط : أيُّ رجلٍ وُجِد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه ، وإن وُجِد بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنظَر أقربُهما إليه فتضمَن ذلك القتيل . وكان الذي وَلِيَ ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شَراحيل بن مُرّة بن هَمّام . ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكّة ؛ فشرَطَ بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألاّ يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلاَّق . وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة : [من المتقارب]

فهَلاَّ سَعَيْتَ لصُلْح الصَّديقِ كصُلحِ ابن ماريَةَ الأقصمِ[3]
وقَيْسٌ تدارَكَ بَكْرَ العِراقِ وتَغْلِبَ من شرِّها الأعظمِ
وبيتُ شَراحيلَ في وائلٍ مكانَ الثُّرَيّا من الأَنْجُمِ
فأَصلَحَ ما أفسدوا بينهم كذلك فِعْلُ الفتى الأكرمِ

ابن مارية هو قيس بن شَراحِيل . ومارية أُمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند . فلبثوا كذلك ما شاء الله ، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم ؛ فمتى التَوى أحد منهم بحقّ صاحبه أَقاد من الرُّهُن . فسرَّح النُّعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طَيِّيء في أمر من أمره ، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيْبان وتَيْم اللات . فذكروا أنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفازة ، فمات القومُ عطشاً . فلمّا بلغ ذلك بني تَغْلِب غضِبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على

1 الوضح هنا : البرص .
2 ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .
3 الأقصم : المكسور الثنية من النصف .

بكر ، وقالوا : غَدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدماء . وقال بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعَضِيهةِ[1] وسمّعتم الناسَ بها ، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطلَ علينا . قد سقيناهم إذ وردوا ، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا ، فهل علينا إذ حار القوم وضلّوا ! ويصدّق ذلك قولُ الحارث بن حِلّزة : [من الخفيف]

لم يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً ولكن يرفَع الآلُ جِرْمَهم والضَّحاءُ

[كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد]

وقال يعقوب بن السّكّيت : كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يُلَمْ . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند ؛ فمن ذلك قولُه : [من الخفيف]

أعلينا جُناحُ كِنْدةَ أن يغـ ـنَمَ غازيهمُ ومِنّا الجزاءُ

قال : وكانت كندة قد كسَرت الخراج على الملك ، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقُتِلوا ولم يُدْرَك بثأرهم ؛ فعيّرهم بذلك . هكذا ذكر الأصمعيّ . وذكر غيره أنّ كِنْدةَ غزَتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت ، فلم يكن في ذلك منهم شيء[2] ولا أدركوا ثأراً . قال : وهكذا البيت الذي يليه وهو : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى قُضاعةَ أم ليـ ـس علينا فيما جَنَوْا أنداءُ[3]

فإنّه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة ، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً . قال : وقوله : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى حَنِيفةَ أم ما جَمَّعتْ من مُحاربٍ غَبْراءُ[4]

قال : وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر ، فأذكر الحارثُ عمرَو بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفيِّ أحدِ بني سُحَيْم المنذر بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبَلَةَ الغسّانيّ ، وبعث الحارثُ إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلْكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَن المنذرُ إلى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه ، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكرَه . فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة . قال وقوله : [من الخفيف]

1 العضيهة : الإفك والبهتان والقالة القبيحة .

2 ل : تغيير .

3 الجرى : الجناية . الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يلحق بالإنسان من شر .

4 غبراء : أي جماعة غبراء ، يريد الفقراء الصعاليك . والغبراء أيضاً : الأرض .

وثمانـــون مـــن تميمٍ بأيديـ ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ[1]

يعني عمراً أحد بني سعد [بن زيد] مناة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطاعٍ قريبةً من البَحْرَيْن ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يُدْرَك منه بثأر . قال : وقوله : [من الخفيف]

ثمّ خَيْلٌ من بعد ذاك مع الغَلاّ ق لا رأفـــةٌ ولا إبقـــاءُ

قال : الغَلاّق صاحب هجائن النُّعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميمياً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تَغْلِب بعد قتل المنذِر إلى الطلب بثأره من غسّان ؛ فامتنعوا وقالوا : لا نُطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعاء ! . فغضِب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب ؛ فلمّا اجتمعتْ آلى ألاّ يغزوَ قبل تَغْلِب أحداً ؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً ، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه جريرتَهم ، فأمسك عن بقيّتهم ، وطُلّت دماء القتلى . فذلك قول الحارث : [من الخفيف]

مَنْ أصابوا مـن تَغْلَبِيٌّ فمطلو لٌ عليـــه إذا تولّـى العَفاءُ

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكرٍ عنده فقال : [من الخفيف]

مَنْ لنا عنـــده من الخيرِ آيا تٌ ثلاثٌ في كلّهـن القضاءُ

آيـــةٌ شارِقُ الشَّقِيقةِ إذ جا ءوا جميعـاً لكلّ حيٍّ لِواءُ[2]

حولَ قَيْسٍ مُسْتَلْئمين بكَبْشٍ قَرَظِـــيٍّ كأنّـــــه عَبْـلاءُ[3]

فرَدَدْناهُـــمُ بضَرب كما يخـ ـرُج من خُرْبَة المَـزادِ الماءُ[4]

ثم حُجْراً أعني ابنَ أُمِّ قَطامٍ ولـــه فارسيّـــةٌ خضـراءُ[5]

أَسَدٌ في اللّقـــاء ذو أَشبـالٍ وربيـعٌ إن شَنَّعـتْ غَبْراءُ[6]

---

1 القضاء هنا : الموت .

2 شارق : جاء من قبل المشرق .

3 المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع . وقرظيّ : نسبة إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .

4 خربة المزادة : يريد القربة وهي مسيل الماء منها .

5 فارسية : أي كتيبة سلاحها من فارس . ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح .

6 ذو أشبال في الديوان ص 51 : ورد هموس ، والمعلقات العشر ص 363 ؛ الهموس : الخفيّ الوطء . شنعت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

فرددناهُـمُ بطعـن كما تُنْـ ـهَزُ في جُمّة الطَّوِيّ الدِّلاء[1]
وفككْنا غُلَّ امرىء القيسِ عنه بعـد مـا طال حَبْسُه والعناء
وأَقَدْنـاه رَبَّ غَسّان بالمُنْـ ـذِرِ كَرْهاً وما تُكال الدِّماء[2]
وفديناهُـمُ بتسعةِ أمـلا كٍ كـرام أَسلابُهم أَغلاء[3]
[ومع الجَوْنِ جَوْنِ آل بني الأَوْ سِ عَنُـودٌ كأنّهـا دَفْواء][4]

يعني بهذه الأيّام أيّاماً كانت كلّها لبكر مع المنذر؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيَكرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند. ومنها يومُ غزا حُجْر الكِنْديّ، وهو حُجْر بن أُمِّ قَطام، امرأَ القيس وهو ماء السماء بن المنذر، لقِيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة، وكانت بكر مع امرىء القيس، فخرجت إلى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه.

وقوله: [من الخفيف]

ففككنا غُلَّ امـرىء القيس عنه

وكانت غسّان أسرتْه يوم قَتْلِ المنذرِ أبيه، فأَغارت بكر بن وائل على بعض بَوادِي الشام فقتلوا مِلِكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأَ القيس بن المنذر، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُون. وقوله: «وفديناهُمُ بتسعة...» يعني بني حُجْر آكِلِ المُرار. وكان المنذر وجّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأَتَوُا المنذرَ بهم وهم تسعة، فأَمر بذبحهم في ظاهر الحِيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْر الأملاك. قال: والجون جون آل بني الأَوْس: ملكٌ من ملوك كِنْدة وهو ابن عمّ قيس بن مَعْدِيكَرِبَ. وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خَشْناء، فحاربته بكرٌ فهزَموه، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم.

قال: فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَمَ عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكْرَ بن وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ؛ فتفرّقوا على هذه الحال. ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتّى همّ باستخدام أُمِّ عمرو بن كُلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً؛ فقتله عمرو بن كلثوم. وخبره يُذْكَر هناك.

1 نهز الدلاء: تحريكها لتمتلىء.
2 وما تكال في ل: وما تطلّ.
3 أغلاء: غالية.
4 عنود هنا: الكتيبة. الدفواء: المائلة. والدفواء: العقاب لعوج منقارها.

[قصيدته الدالية]

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدني النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة ، وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دَرُّه ما أشعره : [من مجزوء الكامل]

**صوت**

مَـنْ حاكـمٌ بينـي وبيــ ـن الدَّهْـر مـالَ عليّ عَمْدا
أودى بسادتنـا وقــد تركـوا لنا حَلَقاً وجُرْدا[1]
خيـلي وفارسُهـا ورَ بٌّ أَبيـك كان أعزّ فَقْدا
فَلَـو آنّ مـا يَـأْوِي إ لَيَّ أَصابَ من ثَهْلانَ هَدّا[2]
فَضَعِي قِناعَـكِ إنَّ رَيْـ ـبَ الدَّهْـرِ قد أَفنى مَعَدّا
فَلَكَمْ رأيـتُ مَعاشِراً قـد جَمَّعُوا مـالاً ووُلْدا
وهُـمُ زَبـابٌ حائـرٌ لا تَسْمَـعُ الآذانُ رَعْدا[3]
فَعِشْ بجَـدٍّ لا يَضِـرْ كَ النُّوك مـا لاقيت جَدّا
والعَيْشُ خيـرٌ في ظِـلا لِ النُّوك مِمّـن عاش كَدّا

في البيت الأوّل من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

**صوت**

[من الوافر]

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ولا تُبْقِي خمـورَ الأَنْدَرِينا[4]
مُشَعْشَعةً كأنّ الحُصَّ فيهـا إذا مـا المـاءُ خالطها سَخِينا[5]

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كلثوم التَّغلبيّ . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

---

1 الحلق هنا : الدروع .
2 ثهلان : جبل .
3 الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .
4 أندرين : قرية كانت جنوبي حلب شهيرة بالخمر .
5 مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . الحُص : الورس أو هو الزعفران .

# [ 175 ] ـ نسب عمرو بن كلثوم وخبره[1]

[نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه]

هو عَمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم [بن بكر] بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وائل بن قاسط بن هِنب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان . وأُمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخي كُلَيْب ، وأُمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثني العُكْلِيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن خِراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عَتّاب قال : سمعت الأَخْذَر ، وكان نَسّابة ، يقول : لمّا تزوّج مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أهدِيتْ إليه ، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتليها . فأمرتْ خادماً لها أن تُغَيِّبها عنها . فلمّا نام هَتف به هاتفٌ يقول : [من مجزوء الرجز]

كَم مِـن فتًى يُؤَمَّلْ وَسَيِّـدٍ شَمَـرْدَلْ[2]
وعُـدَّةٍ لا تُجْهَـلْ في بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ فقال : يا هند أين بنتي ؟ قالت : قتلتُها . قال : كَلاّ وإله ربيعة ! ، فكان أوّلَ من حلف بها ، فاصدُقيني ، فأخبرتْه . فقال : أَحْسِني غِذاءها . فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عَتّاب .

[أمّه ترى مناماً في حملها به]

فلمّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنّه أتاني آتٍ في المنام فقال : [من الرجز]

يـا لَكِ ليلى من وَلَدْ يُقْدِمُ إقـدام الأَسَدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ أَقولُ قِيـلاً لا فَنَدْ

فولدت غلاماً فسمّته عمراً . فلمّا أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتِي في الليل أعرِفه ، فأشار إلى الصبيِّ وقال : [من الرجز]

إنِّـي زعيمٌ لـكِ أُمَّ عَمْرِو بماجـدِ الجَـدِّ كريمِ النَّجْرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 234/1-236 ، والخزانة 1 : 517-521 . وشواهد المغني 44-45 .

2 الشمردل : القويّ الفتيّ الحسن الخلق .

أشجعَ مـــن ذي لِبَدٍ هِزَبْــرِ وَقّاصِ أقـرانٍ شديـدِ الأَسْرِ[1]

يسودُهم في خمسةٍ وعشرِ

قال الأَخْذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة .

[قصة قتله لعمرو بن هند]

قال أبو عمرو حدَّثني أَسَدُ بن عمر الحَنَفيّ وكُرْد بن السِّمعِيّ وغيرُهما ، وقال ابن الكلبيّ حدَّثني أَبي وشَرْقيٌّ بن القَطاميّ ، وأَخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة : أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لنُدَمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنَف أُمُّه من خدمة أُمِّي ؟ فقالوا : نعم ! أُمُّ عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بن ربيعة ، وعمّها كُلَيب وائل أعزُّ العرب ، وبَعْلها كلثـوم بن مالك أفرسُ العرب ، وابنهـا عمـرو وهـو سيِّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كُلثوم يستزيره ويساله أن يُزير أُمَّه أُمَّه . فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحِيرة في جماعـة بني تَغْلِب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظُعُن من بني تَغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضُرب فيما بين الحِيرة والفُرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رِواقه ، ودخلت ليلى وهند في قُبّة من جانب الرِّواق . وكانت هند عمّة امرىء القيس بن حُجْر الشاعر ، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أُمّ امرىء القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أُمَّه أن تُنَحّي الخدم إذا دعا بالطُّرَف وتستخدَم ليلى . فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألَحّتْ . فصاحت ليلى : واذُلاَّهْ ! يا لَتَغْلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدَّمُ في وجهه ؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثـوم إلى سيفٍ لعمـرو بن هنـد مُعَلّقٍ بالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرِّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

أَلا هُبِّـي بِصَحْنِكِ فاصبَحينا

[تعظيم تغلب قصيدته المعلقة]

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظِّمها جِدّاً ويرويها صغارُهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل : [من البسيط]

---

1 الوقص : الكسر والدقّ . شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخٍ .

أَلْهى بني تَغْلِب عن كلِّ مَكْرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يَرْوُونها أبداً مذ كان أَوَّلُهم يا لَلرجالِ لِشِعْرٍ غيرِ مسئومِ

[فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند]

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل : [من الكامل]

ما ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلْتَ حيث تناطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً عمراً وهم قَسَطوا على النُّعْمانِ[1]

وقال أُفْنونٌ[2] صُرَيْمٌ التغلبيّ يفخَر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا لتخدُمَ ليلى أُمَّه بموفَّقِ[3]
فقام ابنُ كُلْثومٍ إلى السيف مُصْلِتاً فأمسك من نَدْمانه بالمُخَنَّقِ[4]
وجلّله عمرٌو على الرأس ضربةً بذي شُطَبٍ صافي الحديدة رَوْنَقِ

[إخوته وعقبه]

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المُنذِر بن النُّعمان وأخاه . وإيّاه عَنى الأخطل بقوله لجرير : [من الكامل]

أبني كُلَيْبٍ إنّ عَمَّيَّ اللّذا قتلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد ، وهو قاتِل بِشْر بن عمرو بن عُدَسَ . ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل .

[أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسن الأَحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزوه ذلك على حيٍّ من بني قيس بن ثعلبة ، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَنْدَل السَّعديّ ، ثم انتهى إلى بني حَنِيفَة باليمامة وفيهم أُناس من عِجْل ، فسمِع به أهلُ حَجْر[5] ؛ فكان أوّل مَن أتاه من بني حنيفةَ بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمْر . فلما رآهم

1 قسطوا : جاروا .
2 أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب .
3 ليلى في ل : أمّي .
4 أصلت السيف : جرّده من غمده . المخنّق : موضع حبل الخنق من العنق .
5 حَجْر : عاصمة اليمامة .

عمرو بن كلثوم ارتجز فقال : [من الرجز]

مَـنْ عاذَ منّي بعدَها فلا اجْتَبَرْ ولا سقى الماء ولا أَرعى الشَّجَرْ
بنـو لُجَيْـمٍ وجعاسيسُ مُضَرْ بجانب الدَّوِّ يُدَهْدُون العَكَرْ[1]

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنَه فصرَعه عن فرسه وأَسَره . وكان يزيد شديداً جسيماً ، فشدّه في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول : [من الوافر]

متـى تُعْقَـدْ قَرِينتُنـا بحَبْـلٍ تَجُـذّ الحبـلَ أو تَقِصِ القَرِينا[2]

أما إنّي سأقرِنك إلى ناقتي هذه فأطرُدُكما جميعاً . فنادى عمرُو بن كلثوم يا لَربيعةَ ! أَمُثْلة ! . قال : فاجتمعت بنو لُجَيْم فنَهَوْه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قَصْراً بحَجْرٍ من قصورهم ، وضرب عليه قُبّة ونَحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر . فلمّا أخذتْ برأسه تغنّى : [من الوافر]

أأَجْمَعَ صُحْبتي السَّحَرَ ارتحالا ولم أَشعُرْ بِبَيْنٍ منـكِ هالا[3]
ولَـم أَرَ مثـل هالـةَ في مَعَدٍّ أُشَبِّـه حسنَهـا إلاّ الهِلالا
ألا أَبلِغْ بنـي جُشَمَ بنِ بكرٍ وتَغْلِبَ كلّمـا أَتَيـا حِلالا[4]
بأنّ الماجِـدَ القَرْمَ ابنَ عمرٍو غداةَ نَطاعِ قد صدَق القِتالا[5]
كَتِيبتُـه مُلَمْلَمَـةٌ رَداحٌ إذا يرمونهـا تُفْنِـي النِّبالا[6]
جزى اللهُ الأغَـرَّ يزيدَ خيراً ولَقّـاه المَسَرَّةَ والجَمـالا
بمأخِذه ابنَ كُلْثوم بنِ عَمْرٍو يزيـدَ الخيرِ نازلَـه نِزالا
بجمعٍ مـن بنـي قُرّانَ صِيدٍ يَجيلون الطِّعـانَ إذا أَجالا[7]
يزيـد يقـدم السفراء حتى يُرَوِّي صَدْرَهـا الأَسَلَ النِّهالا

1 هو لجيم بن صعب ؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . الجعاسيس : اللئام الخَلْق والخُلُق . واحدها جعسوس . يدهدون : يدحرجون ويقلبون .
2 في الديوان ص 65 والمعلقات العشر ص 312 : متى نَعْقِدْ . . . نجذّ .
3 أي هالة .
4 حِلال : جمع حِلّة وهي البيوت ومجتمع القوم .
5 نَطاع : أرض .
6 ململمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة .
7 قُرّان : حصن باليمامة .

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأَحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : زعموا أنّ بني تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِرَ بنَ ماء السماء فلحِقوا بالشام خوفاً منه . فمرّ بهم عَمْرو بن أبي حُجْر الغَسّانيّ ، فتلقّاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عَمْرو ، ما منعَ قومَكَ أن يتلقَّوْني ؟! فقال له : يا عمرو يا خيرَ الفِتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلاّ عَلا فيها أمرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنَعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولَهم ، وأنفي فلَّهم[1] إلى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَدِ[2] . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول : [من الوافر]

أَلا فاعلَمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنّا على عَمْدٍ سنأتي ما نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أنّ مَحْمَلَنا ثقيلٌ وأنّ زنادَ كبتنا شديدُ[3]
وأنّا ليس حَيٌّ من مَعَدٍّ يُوازينا إذا لُبِس الحديدُ

[هجاؤه للنعمان بن المنذر]

قال : وقال ابن الأعرابيّ : بلغ عمرَو بن كلثومٍ أنّ النُّعمان بن المُنذِر يتوعّده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه : [من الطويل]

أَلا أَبلِغِ النُّعْمانَ عنّي رسالةً فمَدْحُكَ حَوْلِيٌّ وذَمُّك قارِحُ[4]
متى تَلْقَني في تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ وأَشياعها ترقى إليك المسالحُ[5]

وهجا النُّعمان بن المنذر هجاءً كثيراً ، منه قوله يعيِّره بأُمِّه سُلَيمى : [من البسيط]

حَلَّتْ سُلَيْمى بخَبْتٍ بعد فِرْتاجِ وقد تكون قديماً في بني ناجِ[6]
إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمى أن يكونَ لها مَنْ بالخَوَرْنَقِ من قَيْنٍ ونَسَّاجِ
ولا يكونَ على أبوابها حَرَسٌ كما تلفَّف قِبْطيٌّ بِديباجِ
تمشي بِعدْلَيْنِ من لُـؤْمٍ ومَنْقَصةٍ مَشْيَ المقيَّدِ في اليَنْبُوت والحاجِ[7]

قال وقال في النعمان : [من الطويل]

---

1 الفل : القوم المنهزمون . والجَرَد : من الأرض ما لا ينبتَ .
2 النازح : الذي نفد ماؤه . والثمد : الماء القليل الذي لا مادّ له .
3 الكبة : الحملة في الحرب والدفعة في القتال .
4 الحَوْليّ : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شقّ نابه .
5 المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .
6 الخبت من الأرض : المطمئن . وفرتاج : موضع . وبنو ناج : بطن من عدوان .
7 الحاج : الشوك أو ضرب منه .

لحا اللهُ أدنانـا إلى اللُّؤْمِ زُلْفةً وألأَمَنـا خـالاً وأعجزَنا أَبا[1]
وأجْدَرَنـا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه يصوغُ القُـروطَ والشُّنوفَ بيَثْرِبا

[وفاته ونصيحته لبنيه]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عليّ بن المُغِيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النِّمر بن قاسط قال : لمّا حضرت عمرَو بنَ كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة ، جمع بنيه فقال : يا بَنيَّ ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإنّي واللهِ ما عيّرت أحداً بشيء إلاّ عُيِّرتُ بمثله ، إن كان حقّاً فحقّاً ، وإن كان باطلاً فباطلاً . ومَنْ سَبَّ سُبَّ ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنّه أسلمُ لكم ، وأَحْسِنوا جِوارَكم يحسُن ثناؤكم ، وامنعوا من ضَيْم الغريب ؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف ، ورَدٌّ خيرٌ من خُلْف ، وإذا حُدِّثتم فَعُوا ، وإذا حَدَّثتم فأوجِزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهذار[2] . وأَشْجَعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرّ ، كما أنّ أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رَوِيّةَ له عند الغَضَب ، ولا مَنْ إذا عُوتِبَ لم يُعْتِب[3] . ومن الناس مَن لا يُرْجى خيرُه ، ولا يُخافُ شرُّه ؛ فبَكْؤه[4] خيرٌ من دَرِّه ، وعقوقُه خيرٌ من برِّه . ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنّه يؤدّي إلى قبيح البُغْض .

## صوت

[من الكامل]

لِمَنِ الدّيارُ بِبُرْقـةِ الرَّوْحانِ إذ لا نَبيـعُ زمانَنـا بزمانِ[5]
صدَعَ الغواني إذ رَمَيْنَ فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَداني
إن زرتُ أهلَكِ لم أُنوَّلْ حاجةً وإذا هجرتُكِ شفَّني هِجْراني

الشعر لجرير يهجو الأخطلَ ويردّ عليه حكومتَه التي حكم بها للفرزدق عليه . والغناء ، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجِّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدَث ، لمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه لحُنَيْن ، قال ويقال : إنّه لمعبد . وفيه ليزيد حَوْراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه ، وقال : لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدَّلالِ .

1 الزلفة : القربة والدرجة والمنزلة .
2 الأهذار : جمع هذر وهو سقط الكلام .
3 الإعتاب : إرضاء العاتب والاسم منه : العتبي .
4 أصل البكء : قلة اللبن أو انقطاعه .
5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

# [ 176 ] ـ ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

[سبب التهاجي بين جرير والأخطل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن أبي عُبيدة وعن أبي غسّان دَماذٍ عن أبي عُبيدة، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال حدَّثنا أبو غسّان عن أبي عُبَيدة، وأخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، وقد جمعتُ رواياتهم. قال أبو عبيدة حدَّثني عامر بن مالك المِسْمَعِيّ قال: كان الذي هاجَ التهاجِيَ بين جريرٍ والأخطلِ أنّه لمّا بلغ الأخطلَ تَهاجِي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ، وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنى: انْحَدِرْ إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتِيَني بخبرهما. فانحدر مالكٌ حتى لقِيهما وسمع منهما ثم أتى أباه. فقال له: كيف وجدتَهما؟ قال: وجدتُ جريراً يغرِف من بَحْر، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر. فقال الأخطلُ: الذي يغرِف من بحرٍ أشعرُهما؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق: [من البسيط]

إنّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ ... لَمّا سمعتُ ولّما جاءَني الخَبَرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعامَتُه ... وعضّه حيَّةٌ من قومه ذَكَرُ

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُراتُ به». قال أبو عبيدة: ثم إنّ بِشْرَ بن مَروان دخل الكوفة، فقدِم عليه الأخطلُ، فبعث إليه محمد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر، وقال له: لا تُعِنْ على شاعرنا، واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم؛ فإنّك قد قضيتَ على صاحبنا، فقُلْ أبياتاً. واقضِ لصاحبنا عليه. فقال الأخطل: [من الكامل]

أجريرُ إنّكَ والذي تسمو له ... كأسيفةٍ فَخَرتْ بحِدْجِ حَصانِ[1]
عَمِلتْ لربَّتِها فلمّا عُوليتْ ... نَسَلتْ تعارضها مع الرُّكْبانِ[2]

---

1 الأسيفة: الأمة. والحِدج: مركب من مراكب النساء يشبه المحفة. والحصان: العفيفة أي الحرة التي تقابل الأمة.

2 عملت في الديوان: «حملت». وربتها: سيدتها. وعوليت: رفعت. ونسلت: أسرعت في المشي.

أَتَعُدُّ مأثرةً لغيرك فخرُها ... وثناؤها في سالف الأزمانِ
تاجُ الملوك وفخرُهم في دارمٍ ... أيَّامَ يَرْبوعٌ مع الرُّعيانِ[1]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

فاخسَأْ إليك كُلَيْبُ إنّ مُجاشِعاً ... وأَبا الفوارس نَهْشَلاً أَخَوانِ
سبقوا أَباك بكلّ أَعْلى تَلْعةٍ ... في المجدِ عند مَواقف الرُّكبانِ[2]
قومٌ إذا خَطَرتْ عليك قُرومُهم ... أَلقتْكَ بين كَلاكِلٍ وجِرانِ[3]
وإذا وضعتَ أَباك في ميزانهم ... رجَحوا وشال أَبوك في الميزانِ[4]

وقال جرير يرُدّ حكومة الأخطل : [من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ ببُرْقةِ الرَّوْحانِ ... إذ لا نَبِيعُ زمانَنا بزمانِ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

يا ذا الغباوة إنّ بِشْراً قد قَضى ... ألاّ تجوزَ حكومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومة لَسْتُمُ من أَهلها ... إنّ الحكومةَ في بني شيبانِ
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بلِقْحَةِ جارِهم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهجانِ[6]

[قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها]

وممّا غُنّي فيه من نقائض جرير والأخطل : [من الطويل]

## صوت

أَناخُوا فجَرُّوا شاصياتٍ كأنّها ... رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ اصْبَحُوني لا أَبا لأَبيكمُ ... وما وضعوا الأثقالَ إلاّ ليفعلوا[7]
تمرُّ بها الأيدي سنِيحا وبارحاً ... وتُرْفَعُ باللهُمَّ حَيَّ وتُنْزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعَنى بالشاصيات هاهنا الزِّقاق ، لأنّها إذا

1 صدر البيت في الديوان : في دارم تاج الملوك وصهرها . يربوع : جد لجرير .
2 أعلى تلعة في الديوان : مجمع تلعة .
3 الجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره .
4 شَوَلان الميزان : ارتفاع إحدى كفتيه .
5 برقة الروحان : روضة باليمامة .
6 اللقحة : الناقة الحلوب . والخُزر : جمع أخزر ؛ والخَزَر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام .
7 الأثقال : الأمتعة ، واحدها ثَقَل .

امتلأت شالت أُكارعُها ؛ يقال : شَصا برجلِهِ إذا رفعها ، وشَصا ببصره إذا شخَص ؛ قال الراجز يصف الشاخصَ : [من الرجز]

وبَقَـــرٍ خَمـــاصِ يَنْظُرْنَ من خَصاصِ[1]
بـــأعيُنٍ شَواصِـي كفِلَـــق الرَّصاصِ

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالَك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينَك . والجابِهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقَعِيدُ والخَفِيفُ : ما جاء من ورائك . شبّه دَوْرَ الكأْس واختلافَها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء لمالك ، فيه لحنان كلاهما له : أحدُهما رَمَل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاء من رواية إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضاً لابن سُريج وأنّه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو . وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

ومنها : [من البسيط]

## صوت

خَفّ القَطِينُ فراحُوا منك أو بَكَرُوا وأزعجتْهم نَـوًى في صَرْفها غِيَرُ
كأنَّنِـي شارِبٌ يـوم استُبدَّ بهـم من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[2]
جادت بها من ذوات القارِ مُتْرَعةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومها المَدَرُ
يا قاتـلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا أيقنَّ أنّك ممّن قـــد زَها الكِبَرُ
أعْرَضْنَ لّمـا حنى قَوْسي مُوَتِّرُها وابيضَّ بعـــد سواد اللِّـمّـةِ الشَّعَرُ

استُبِدَّ بهم أي عُلِيَ عليهم . والقَرْقَفُ : التي تأخذ شاربَها رِعدة لشِدَّتها . والكَلْفاءُ : الخابِيةُ في لونها كَلَفٌ[3] . وقوله «زَها الكِبَرُ» يعني استخفّه وأضعفه ؛ يقال : زَهاه وازْدَهاه . وقال أبو عُبَيدة : الأصل في زَهاهُ رَفَعه ؛ فكأنّه أراد أنّه رفعه في علوّ سِنّه عمّا يُرِدْنَ منه . واللِّمّة : الشعر المجتمع .

1 خماص : ضامرات البطون ، الواحد خَمصان للذكر ، وخمصانة للمؤنث . الخصاص : الخروق ، واحدها خصاصة .

2 قرقف : في ل : قهوة .

3 الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَروان ويهجو قَيْساً وبني كُلَيْب ، ويقول فيها : [من البسيط]

أمّا كُلَيْبٌ بنُ يَرْبوعٍ فليس لها ... عند التفاخرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ[1]
مُخَلَّفُون ويقضِي النـاسُ أمرَهُمُ ... وهُمْ بغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا
مُلَطَّمُون بأعقـارِ الحِياضِ فما ... ينفكُّ مـن دارِمِيٍّ فيهمُ أثَرُ[2]
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ ... إذا جرى فيهـمُ المُزّاء والسَّكَرُ
قومٌ تناهتْ إليهـم كلُّ مُخْزِيَةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بهـا مُضَرُ
الآكلـون خبيثَ الزّادِ وحدَهـمُ ... والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ مـا الخبرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدَّمه ومّما غُلِّب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه بيتين من شعره فقال : [من البسيط]

الآكلون خبيثَ الزّادِ وحدَهـمُ ... والنّازلـونَ إذا واراهُـمُ الخَمَرُ[3]
والظاعنون على العَمْياء إن رَحَلُوا ... والسائلون بظهر الغيب مـا الخبرُ

وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدح عبدَ الملك : [من البسيط]

إلى امـرىء لا تُعَرِّينـا نوافلُه ... أظْفَره الله فَلْيَهْنِئ لـه الظَّفَرُ
الخائِضُ الغَمْرِ والميمـون طائرُه ... خليفـةُ الله يُسْتَسْقى بـهِ المطرُ
والهَمُّ بعـد نَجِـيِّ النفس يَبْعَثه ... بالحَزْم والأَصمَعانِ القلبُ والحَذَرُ[4]
ومـا الفُراتُ إذا جاشتْ غواربهُ ... في حافَتَيْهِ وفي أوساطِـهِ العُشَرُ[5]
وزعزعته رياحُ الصَّيْفِ واضطربتْ ... فوق الجآجىء مـن آذِيِّه غُدُرُ[6]

---

1 عند التفاخر في الديوان سند التفارط : التقدم في الماء .
2 الأعقار : جمع عُقْر وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .
3 الخَمَر : واراك من شجر وغيره .
4 الأصمعان : القلب والحذر .
5 جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه ، وفي الديوان : حوالبه . والعشر : الشجر .
6 زعزعته : حركته ، وفي الديوان : ذعذعته . الجآجىء : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذي : الموج . والغُدر : جمع غدير .

مُسْحَنْفِرٌ مــن جبالِ الرومِ يستُره منها أُكافِيفُ فيهــا دونــه زَوَرُ[1]
يومــاً بأجْوَدَ منــه حــين تسألُه ولا بأجهــرَ منــه حين يُجْتَهَرُ
في نَبْعةٍ من قُرَيشٍ يَعْصِبون بها ما إن يُوازَى بأعْلى نَبْتها الشجرُ[2]
حُشْدٌ على الخير عَيّافو الخَنا أُنُفٌ إذا أَلَمتْ بهــم مكروهةٌ صَبَروا
لا يَسْتقلّ ذوو الأضغــان حربَهمُ ولا يُبَيِّــنُ في عِيدانهـــم خَوَرُ[3]
شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهــم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا[4]

[مدح الرشيد بيتاً للأخطل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه : أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه : أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منّا ومن بني أُميّةَ أفخرُ ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصْرانيّة في عبد الملك : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

[مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهديّ فأغضبه]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : قال المهديّ يوماً وبين يديه مَروان بن أبي حَفْصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور : [من الطويل]

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سَرِيرِه إذا كرّها فيهــا عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل : [من البسيط]

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهــم وأعظمُ الناسِ أحلامــاً إذا قَدَرُوا

قال : فغضِب المهديّ حتى استشاط وقال : كذَبَ والله ابنُ النَّصرانيّة العاضُّ بَظْر أُمّه وكذبتَ يا عاضَّ بَظْرِ أُمّك ! والله لولا أن يقال : إنّي خَفَرتُ[5] بك لعرّفتك مَن أكثر شعراً !

1 مسحنفر : سريع الجري . جبال في ل : بلاد . أكافيف الجبل : حيوده أو حروفه الناتئة في أعرضه . والزَّوَر : الميل .
2 النبع : نوع من الشجر . يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .
3 استقلّ الشيء : حمله .
4 شُمس : جمع شَموس ، وهو من الرجال العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .
5 ل : خرقت . وخفرت فلاناً وخفرتَ به إذا أجرته وأمنته .

خذوا برجل ابن الفاعلة فأَخْرِجوه عنّي ! فأخرَجوه على تلك الحال ، وجعل يشتُمه وهو يُجَرُّ ويقول : يا ابنَ الفاعلة ! أراها في رؤوسكم وأنفسكم !

## صوت

[من البسيط]

إنّي أَرِقتُ ولم يأْرَق معي صاح          لِمُسْتَكِفٍّ بُعَيْدَ النَّومِ لَوّاحِ
دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه          يكاد يدفعه مَنْ قام بالرَّاحِ

عروضه من البسيط . الشعر لأَوْس بن حَجَر ، وهكذا رواه الأصمعيّ ، أَخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرِّياشيّ عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ في البيت الثاني وبعده :

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلِ بها ثمناً          فلا مَحالَةَ يوماً أنّني صاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله : مُسْتَكِفّ : يعني مستديراً ؛ وكلُّ طُرّة كِفَّة . أُخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شُجاعاً[1] عرض له في طريقه : تبعني شجاعٌ من هذه الشُّجعان ، فمرّ خلفي كأنّه سهمٌ زالج ، فحِدتُ عنه ، واستكفّ كأنّه كُفّةُ حابلٍ ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[2] . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفّة المِيزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاحَ يلوحُ إذا ظهر . ومسفّ : قد أَسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أَسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهَيْدَبُه : الذي تراه كالمتعلّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

---

1 الشجاع : الحية الذكر ، أو الحية مطلقاً ، أو هو ضرب من الحيات .

2 أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنّت ، واحدها ثِني . ويقال أيضاً مثاني الحية ، جمع مَثناة .

# [ 177 ] ـ ذكر أوس بن حجر[1] وشيء من أخباره

[ نسبه ]

وقد اختُلِفَ في نسبه ، فقال الأصمعيّ ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه : هو أَوْسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكّريّ عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها .

[منزلته في الشعر]

وذكر أبو عُبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرَنه بالحُطَيْئة ونابغة بني جَعدة .

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال قال أبو عبيدة حدَّثنا يونس عن أبي عمرو قال : كان أَوْسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغة وزُهَير ، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مُدافَع .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء ؛ فلمّا نشأ النابغةُ طأطأ منه . وأمّا الكلبيّ فإنّه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعة والشَّمَّاخ بن ضِرار . قال : وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس . قال : ومنهم مَن يقول بتقديم عَدِيّ ؛ وأنشد لحارثةَ بن بَدْرٍ الغُدانيّ : [من الكامل]

والشِّعْرُ كان مَبيتُه ومَظَلُّهُ  عند العِباديّ الذي لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد : أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضِّلون على عديّ في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيديّ عن الرِّياشي عن الأصمعيّ قال : تميم تروي هذه القصيدةَ الحائيّة لعَبِيدٍ ، وذلك غلطٌ ؛ ومن الناس من يخلِطها بقصيدته التي على وزنها ورويِّها لتشابههما .

[تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيدٍ السُّكَّريّ قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح قال حدَّثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدان مولى رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال : خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنةُ عمٍّ له لِرَعْي غنمٍ لهما . فقال الشيخ : أجد ريحَ النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . فقالت : أراها كأنها رَبْرَبُ مِعْزى هَزْلى . قال :

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 1/202–209 ، والخزانة 2 : 235–236 ومعاهد التنصيص : 61–65 .

ارْعَـيْ واحـذَري . ثـم قال لها بعد ساعة : إنّـي أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظُري . قالت : أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ تجرّ جِلالَها . قال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً ثم قـال : إنّي لأجـد ريح النسيم قـد دنا ، فانظُـري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أصْحَر . فقال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً فقال : إنّي لأجد ريح النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر : [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فويقَ الأرضِ هيدبُه يكاد يدفعه مَـنْ قام بالراحِ

كأنّما بـين أعـلاهُ وأسْفَلِهِ رَيْطٌ مُنَشَّرةٌ أو ضوءُ مصباحِ

فمَـنْ بمَحْفِلـه كمَن بنَجْوتِهِ والمُسْتَكِنّ كمَنْ يمشي بقِرواحِ

فقال : انْجِي لا أبا لك ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ .

معنى قول الجارية «كأنّها بطن حمار أصحر» : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : «فمَنْ بمَحْفِله كمَن بنجوته» : يعني مَن هو بحيث احتفـل السيلُ ، واحتفـالُ كلّ شيء مُعْظَمُه ، كمن في نجوته . وقد رُوي «بمَحْفَشه» ، وهما واحد ، ومعناهما مجرى معظم السيل . يقول : فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمَن بنَجْوته (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرْواح : الفضاء ؛ يقال قِرْواحٌ وقِرْياحٌ . ويقال في معنى المَحْفِش . حَفَشت الأوديةُ إذا سالت ، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

[كان يسير ليلاً فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة بن كلدة ، فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْمِيُّ المصريُّ قال حدَّثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال حدَّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوّزيّ عن أبي عُبيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا : كان أوْس بن حجر غَزِلاً مُغْرماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأرض بني أسَدٍ بين شَرْجٍ وناظِرة[1] ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فَصَرعته فاندقّت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غَدا جَوارِي الحيّ يجتنين الكَمْـأة وغيرَها من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقًى ، ففزِعن فهَرَبن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا حَليمة بنت فَضالة بن كَلَدة ، وكانت أصغرَهن ؛ فأعطاها حَجَراً وقال لها : اذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقرِئك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنَيّة ،

---

1 شرج وناظرة : موضعان .

لقد أتيت أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر في ذلك : [من المتقارب]

جُدِلتُ على ليلةٍ ساهره ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظره[1]

تُزاد لَيالِيّ في طُولها ... فليست بطَلْقٍ ولا ساكره[2]

أنوءُ برجل بها ذِهنُها ... وأعيتْ بها أُختُها الغابره[3]

وقال في حَليمة : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما مَلَّتْ ثَواءَ ثَوِيِّها ... حليمةُ إذ أُلْقى مَراسِيَ مُقْعَدِ[4]

ولكن تَلَقَّتْ باليدينِ ضَمانَتي ... وحَلَّ بشَرْجٍ مِ القبائلِ عوَّدِي[5]

ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ[6]

سأجزيكِ أو يَجْزيكِ عنّي مُثَوِّبٌ ... وقَصْرُكِ أنْ يُثْنى عليكِ وتُحْمَدي[7]

[رثى فضالة بن كلدة حين مات]

قالا : ثم مات فَضالةُ بن كَلَدة ، وكان يكنى أبا دُلَيجة ، فقال فيه أُوْس بن حَجَرٍ يرثيه : [من البسيط]

يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمالِ ... على فَضالةَ جَلّ الرُّزْءِ والعالي

ويروى «عَيْنَيّ» . العالي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جداً . وفيها مما يغنّى فيه : [من البسيط]

**صوت**

أبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِي بأرملةٍ ... أم مَنْ لأَشْعَثَ ذي طِمْرَيْنِ مِمْحالِ[8]

أبا دُلَيجةَ مَنْ يكفي العشيرةَ إذ ... أمسَوْا مِن الأمر في لَبْسٍ وبَلْبالِ

---

1 الجدل : الصرع ، وفي ل : خذلت .

2 ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قرّ ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح .

3 الذهن : القوة . والغابرة : الباقية .

4 الثواء : الإقامة . والثويّ هنا : الضيف . المقعد : الذي به داء يقعده ، وفي الديوان : مقعدي .

5 الضمانة : الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك .

6 التخرّد : الحياء والخفر .

7 المثوّب : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل . قصرك : غايتك وكفايتك .

8 الطمر : الثوب الخلق . وممحال : مجدب . أي فقير .

لا زال مِسْكٌ ورَيْحانٌ لـه أَرَجٌ     على صَداكَ بصافي اللَّون سَلْسالِ[1]

غنَّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلاً بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر ، ولداود بن العبّاس ثاني ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إيّاه ونادِرها قوله : [من المنسرح]

أيتُّها النفسُ أجمِلِـي جَزَعـا     إنّ الذي تكْرَهـين قـد وقعا

إنّ الذي جَمَّع السماحةَ والـ     ـنَّجْدَةَ والحزمَ والقُوى جُمَعا

المُخْلِـفَ المُتْلِـفَ المُـرَزَّأ لم     يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولَم يَمُتْ طَبِعا[2]

أَوْدى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ     شيءٍ لمن قـد يُحاول البِدَعا[3]

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

## صوت

[من الطويل]

رأيتُ زُهَيْراً تحـت كَلْكَلِ خالـدٍ     فأَقبلـتُ أَسعـى كالعَجُولِ أُبادِرُ

فشَلَّتْ يميني يوم أضرِبُ خالداً     ويمنعـه منّـي الحديـدُ المُظاهَرُ

عروضه من الطويل . الشعر لوَرْقاء بن زُهير . والغناء لكَرْدَمٍ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم ، وروى عن أبيه عن سِياط عن يونس أنه أخذه من كَرْدَمٍ وأعلمه أنّ الصنعة فيه له .

---

1 الصدى هنا : جثة الميت في قبره .

2 المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرماً ، ويخلفه نجدة . المرزأ : الذي تناله الرزايا في ماله بسبب العطاء . والإمتاع : الإقامة . والطبع : الدّنس .

3 الإشاحة : الحذر .

## [ 178 ] ـ خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

[ نسبه ]

هو وَرْقاء بن زُهَير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعة بن عَبس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان ، يقوله لمّا قَتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة ، أباه زهير بن جَذيمة . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر قالا حدَّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأثْرَم وروايةِ ابن الكلبيّ ، وأضفتُ بعضَ الروايات إلى بعض إلاّ ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عبيدة حدّثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمة بن حَدّاق بن يربوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعد بن عَوف بن جِلاَّن بن غَنْم بن أَعْصُر ، قال حدَّثني أبي عبد الواحد وعمِّي صَفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمّن أدرك شَأْسَ بن زُهَير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ ﷺ ، وكان عاصم جاهليّاً . قال : وقال عبد الحميد حدَّثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سَعْد بن عَوف بن جِلاّن بن غَنْم . قال أبو عبيدة : وكان أعْلَمَ غَنيٍّ ، عن شيوخهم .

[مقتل شأس بن زهير أخيه]

أنّ شأْسَ بن زُهَير بن جذيمة أقبل من عند ملك ، قال أبو عبيدة : أُراه النُّعمان ، وكان بينه وبين زُهَير صِهْر ، قال أبو عبيدة : ثم حدَّثني مرّة أُخرى قال : كان ابنةُ زُهَيْر عنده ، فأقبل شأْس بن زُهير من عنده وقد حَباه أفضل الحُبْوَةَ مِسْكاً وكُساً وقُطُفاً وطَنافِسَ ، فأناخ ناقتَه في يوم شَمالٍ وقُرٍّ على رَدْهةٍ[1] في جبلٍ ورياحُ بن الأسَكِّ أحدُ بني رباع بن عبيد بن سَعْد بن عوف بن جلاّن على الرَّدْهة ليس غيرُ بيته بالجبل ؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فاستدبره رياحٌ فأهوى له بسهم فبَتَر به صُلْبَه . قال أبو عبيدة وحدَّثني رجل يُخَيَّل إليّ أنّه أبو يحيى الغَنَويّ قال : ورد شأس وقد حباه الملك بِحُبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدْب وطِيبٌ ، فوردَ مَنْعِجاً[2] وعليه خِباءٌ مُلْقًى لرِياح بن الأسَكّ فيه أهلُه في الظَّهيرة ؛ فألقى ثيابَه بفِنائه ثم قعد يُهْرِيقُ عليه الماء ، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رِياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته :

1 الردهة : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

2 منعج : موضع .

أنْطِيني قَوسي : فمدّتْ إليه قوسه وسهماً ، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئلا يقتله ؛ فأهوى عَجْلانَ إليه . فوضع السهم في مُسْتَدَقّ الصُّلْب بين فَقارتين ففصلهما ، وخرّ ساقطاً ؛ وحفَر له حَفَراً فهدَمه عليه ، ونحر جمله وأكله . قال : وقال عبد الحميد : أكل رَكُوبته وأولج متاعَه بيتَه . وقال عبد الحميد : وفُقِد شَأْسٌ وقُصّ أثرُهُ ونُشِد ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال لهم الملك : حبوته وسرَّحته . فقالوا : وما متّعته به ؟ قال : مِسْكٌ وكُساً ونُطُوع وقُطُفٌ . فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتّضح لهم سبيلُه . فمكثوا كذلك ما شاء الله ، لا أدري كم ، حتى رأوا امرأة رِياحٍ باعت بعُكاظَ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من حَباء الملك ، فعُرِفتْ وتيقّنوا أنّ رياحاً ثَأرُهم . قال أبو عبيدة : وزعم الآخر قال : نَشَد[1] زُهَيْر بن جَذيمة الناس ، فانقطع ذكرُه على مَنْعج وَسْطَ غنيّ ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ ، فنحر زهير ناقةً ، فأعطى امرأةً شَطِّيْها[2] فقال : اشتري لي الهُدْبَ والطِّيبَ . فخرجتْ بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعتْ[3] إلى امرأة رِياح ، فقالت : إنّ معي شحماً أبيعه في الهُدْبِ والطِّيب ؛ فاشترت المرأة منها . فأتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهُدْبَ . فأتى زهير غَنِيّاً ، فقالوا : نعم ! قتله رياح بن الأَسَكّ ، ونحن بُرءاء منه . وقد لحِق بخاله من بني الطمّاح وبني أسد بن خُزَيمة ، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أَبان[4] إذا أحسّ الصبحَ ، يرمي الأَرْوى[5] ؛ إلى أن أصبح ذاتَ يوم وهو عنده وعَبْسٌ تُرِيغُه . فركب خالُه جملاً وجعله على كِفلٍ[6] وراءه . فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ ، فقالوا : هذه خيل عَبْسٍ تطلبك . فطَمَرَ[7] في قاع شجر فحفر في أصل سُوقه . ولقيت الخيل خالَه فقالوا : هل كان معك أحد ؟ قال لا . فقالوا : ما هذا المَركَبُ وراءك ؟ لَتُخْبِرَنّا أو لنَقتلنّك ! قال : لا كَذِبَ ، هو رياح في ذلك القاع . فلمّا دَنَوْا منه قال الحُصَيْنان : يا بني عَبْسٍ دَعُونا وثأْرَنا ، فخَنَسوا[8] عنهما . فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ[9] فصيّرهما على صدره حيالَ كبده ، ونادى : هذا غزالُكما الذي تبغيان . فحمل عليه أحدهما فطعنه ، فأزالت النعلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته ، ورماه رياحٌ مُوَلِّياً فجذَم

---

1 نشد : سأل .

2 شطيها : جانبي سنامها .

3 دفعت : انتهت .

4 أبان : جبل .

5 الأروى : أنثى الوعل .

6 الكِفل : شيء مستدير يتّخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .

7 طمر : استخفى .

8 خنسوا : تأخروا وتنحوا .

9 السِّبت : الجلد المدبوغ .

صُلْبَه . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئاً ، ورماهُ مُوَلِّياً فصرَعه . فقالت عبسٌ : أين تذهبون إلى هذا ! والله ليقتلنّ منكم عَدَدَ مَرامِيه ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمْحَيْهما وسَلَبَيْهما وخرج حتى سَنَدَ إلى أَبانَ . فأتته عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِي[1] على الحوض ليشرب منه وقالت : استأسِرْ تَحْيَ ؛ فقال : جنِّبيني[2] حتى أشرب . قال : فأبَتْ ولم تَنْتهِ . فلمّا غلبته أخذ مِشْقَصاً[3] وكنّع[4] به كُرْسُوعَيْ يَديها .

[رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس]

قال فقال عبد الحميد : فلمّا استبان لزهير بن جذيمة أنّ رِياحاً ثأْرُه قال يرثي شأساً : [من الطويل]

بكيتُ لشَأْسٍ حين خُبِّرتُ أنّه ... بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللَّيل يُسْلَبُ

لقد كان مَأْتاهُ الرِّداهَ لِحَتْفِهِ ... وما كان لولا غِرّةُ اللّيلِ يُغْلَبُ

قتيلُ غنِيٍّ ليس شَكْلٌ كشكله ... كذاك لَعَمْرِي الحَيْنُ للمرء يُجْلَبُ

سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبْرةٍ ... وحُقَّ لِشَأْسٍ عَبْرةٌ حين تُسْكَبُ

وحزنٌ عليه ما حَيِيتُ وعولةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ

إذا سِيمَ ضَيْماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخْشى ويُرْهَبُ[5]

وإنْ صوّتَ الدّاعِي إلى الخير مرّةً ... أجاب لِما يدعو له حين يُكْرَبُ

ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

وقال زهير بن جذيمة حين قُتِل شأْس : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس ، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه ، فكان لا يَقْدر على غَنَوِيٍّ إلاّ قتله .

قال عبد الحميد : فغزتْ بنو عَبْسٍ غَنِيّاً قبل أن يطلبوا قَوَداً أو ديةً مع أخي شأس الحُصَيْن بن زهير بن جذيمة والحُصَيْن بن أُسيدِ بن جَذِيمة ابن أَخي زُهير . فقيل ذلك لغنيّ ؛ فقالت لرياحٍ : انجُ ، لعلّنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء . فخرج رياح رَدِيفاً لرجل من بني كلاب ، وزعم أبو حيّة النُّمَيْريّ أنّه من بني جَعْد ، وكان معهما صُحَيْفة فيها آرابُ[6] لَحْمٍ ، لا يَرَيان إلاّ

---

1 يستدمي : يطأطيء رأسه يقطر منه الدم .

2 جنبيني : ابعدي عني .

3 المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .

4 كنّع : قطع .

5 سامه الأمر : كلّفه إيّاه .

6 آراب لحم : قطع لحم .

أنّهما قد خالفا وجهةَ القوم ، فأوجفا أيديَهما في الصُّحيفةِ فأخذ كلّ واحد منهما وَذْرةً[1] ليأكلها ، مترادفين لا يَقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرَدٌ[2] فصَرْصَرَ ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثةَ فأخذ كلّ واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُّرَد فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فإذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ (وأدنى ظَلَم أي أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنّهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذْهَبْ فإنّي آتي القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجزَهم ثم ماضٍ إن تركوني . فانحدر رياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجه[3] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفّةً[4] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفْنِه ثم شدّ عليهما العِمامة ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدّثهم وقال : هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وخَلَّوْا سَرْبَه[5] . فلمّا وَلّى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : مَنِ الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُبَةَ ! ذلك رياح في الأوّل من السَّمُرات . فقال الحُصَيْنان لَمن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَه فقد أمكننا الله من ثأْرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكَهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فإذا هما ينقُلان فرسيهما ، فما زالا يُريغاني ، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلْبَه ، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرّة فأصاب الرَّبَلة[6] ، ومرّ الفرس يَهْوِي به ، فاستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبَه فانفقر مُنْحَنى الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهما . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرتُه بسهم وقد خرجتْ قدمه فقطعتُها ، فكأنّما نُشِرتْ بمِنشار . قال عبد الحميد : وندّ فرساهما فلحِقا بالقوم . قال رياح : فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقْرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدهةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع في

---

1 الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .

2 الصّرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود .

3 الأدراج : الطرق .

4 الضفة : جانب النهر والوادي .

5 السِّرب : الطريق .

6 الربلة : باطن الفخذ .

الجبل ، وقد مات رياح عطشاً . فلمّا رأته يستدمي طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأْسِرْ . فقال لها : دَعِيني ويحكِ أشرب ، فأَبَت . فأَخذ حديدة إمّا سِكِّيناً وإمّا مِشْقَصاً فجذم به رَواهِشها[1] فماتت ، وعبّ في الماء حتى نَهِل ثم توجّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفي الحُصَيْنين : [من السريع]

قالت لِـيَ استأْسِرْ لِتكْتِفَني حِيناً ويعلـو قولُهـا قولي
ولأَنْتَ أجـرأُ من أُسامَة أو منّـي غـداةَ وقفتُ للخيلِ
إذا الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما عَدَلَ الرِّجـازةُ جانِبَ المَيْلِ

قال الأثرم : الرِّجازة شيءٌ يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عُبيدة : يعني حُصَيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمة ، وحُصَيْن بن أُسيدِ بن جَذِيمةَ وهو ابن عمّه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد : واللهِ لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة . قال عبد الحميد : وما سمعتُ أنّ بني عبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا ، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر ممّا أنشدتُك . وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه ، ولا واللهِ ما قَتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بن جَذيمة في حربنا ، غيرَ أنّ الكُمَيْتَ بنَ زَيدٍ الأسَدِيَّ ، وكانت له أُمَّانِ من غَنِيٍّ ، ذكر من مقتل أخوالهِ من غَنِيٍّ في بني عَبْسٍ ومَنْ قتلوا من بني نُمَيْرِ بن عامر في كلمةٍ له واحدة ؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدْراكاتهم وذكرَ قَتْلَ شَبيبِ بن سالم النُّمَيْرِيِّ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أنـا ابـنُ غَنِيٍّ والدايَ كلاهما لأُمَّيْنِ فيهم في الفُروعِ وفي الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ وهم عدَلـوا بين الحُصَيْنَين بالنَّبْلِ
وهـم قتلوا شَأْسَ المُلوكِ ورَغَّمُوا أبـاه زُهَيْراً بالمَذَلَّـةِ والثُّكْلِ
فمـا أدركتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها بِما قَـوَدٍ يومـاً لديها ولا عَقْلِ

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنّه أتى عليهم هُنَيئةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأْس . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هُنَيْئَةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وبُرْهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر .

1 الرواهش : العصب الذي في ظاهر الذراع ، وقيل : هي عصب وعروق في باطن الذراع ، واحدها راهشة وراهش .

# [ 179 ] ـ مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ

[قتله خالد بن جعفر]

قتله خالد بن جعفر بن كلاب . قال أبو عُبيدة قال أبو حية النميريّ : كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفرٍ زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً .

[تعظيم هوازن له]

قال أبو عبيدة : وهوازِنُ بن منصور لا تَرى زهير بن جَذِيمَة إلاّ رَبّاً[1] . قال : وهوازن يومئذٍ لا خيرَ فيها ؛ ولم تَكثُر عامر بن صعصعة بعدُ ، فهم أذَلُّ من يَدٍ في رَحِمٍ[2] ، وإنّما هم رِعاءُ الشّاءِ في الجبال . قال : وكان زهيرٌ يعشُرُهم[3] ، وكان إذا كان أيّام عُكاظ أتاها زهيرٌ ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسَّمْنِ والأقط والغنم ، وذلك بعد ما خلعَ ذلك من أبي الجَنّاد أخي بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرّق الناس عن عُكاظ نزل زهيرٌ بالنفرات[4] .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النميريّ قالا : فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[5] من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقال أبو حيّة : بل أتته عجوز من هوازن ، بسمن في نِحْيٍ ، واعتذرتْ إليه وشَكَت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرضَ طَعمَه ، فدعّها بقوسٍ في يده عُطُلٍ[6] في صدرها ، فاستلقتْ لحلاوة[7] القَفا فبدتْ عورتُها ، فغضب من ذلك هوازن وحَقَـدتْ[8] عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدِّمَن[9] وأوْحَرَها[10] من الحَسَك[11] .

---

1 الربّ هنا : الملك والسيّد .

2 مثل يضرب في الضعف والهوان ، وقيل : يعني يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقّى أن يصيب بيده شيئاً . مجمع الأمثال للميداني 17/2 .

3 يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .

4 يبدو أنه اسم مكان .

5 عجوز رهيش : ضعيفة أو مهزولة .

6 قوس عطل : لا وتر عليها .

7 حُلاوة القفا : وسطه .

8 ل : وأصمدت .

9 الدّمن : الأحقاد .

10 أوحرها : جعلها توحر أي تغضب وتحقد .

11 الحسك هنا : العداوة والحقد .

[حلف خالد بن جعفر أن يقتله]

قال : وقد أَمِرتْ[1] عامرُ بن صعصعة يومئذٍ ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلنّ ذراعي وراءَ عنقه حتى أُقتَلَ أو يُقتَلَ . قال : وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب : [من الوافر]

أدِيروني إدارتَكم فإنّي وحَذْفَةَ كالشَّجا تحت الوَرِيدِ

مُقَرَّبةٌ أُسَوِّيها بجَزْءٍ وأَلْحَفُها رِدائي في الجَلِيدِ

وأُوصِي الرّاعِيَيْن لِيُؤْثِراها لها لَبَنُ الخَلِيَّةِ والصَّعُودِ[2]

تراها في الغزاةِ وهنّ شُعْثٌ كقُلْبِ العاجِ في الرُّسْغِ الجديدِ[3]

يَبِيتُ رِباطُها بالليلِ كَفّي على عُودِ الحشيش وغير عودِ

لعلّ اللهَ يُمْكِنني عليها جِهاراً من زُهَيْرٍ أو أُسِيدِ[4]

فإمّا تَثْقَفُوني فاقتُلوني فمَنْ أُثْقَفْ فليس إلى خُلودِ

وقيسَ في المَعارِكِ غادرتْه قَناتي في فوارس كالأُسودِ

ويرْبُوع بن غَيْظٍ يومَ ساقٍ تركناهم كجارية وبيدِ

تركتُ بها نساء بني عُصَيْمٍ أراملَ ما تَحِنّ إلى وليدِ

يَلُذْنَ بحارثٍ جَزَعاً عليه يَقُلْنَ لحارثٍ لولا تسودُ[5]

ومنّي بالطُّوَيْلِم قارعاتٌ تَبِيدُ المُخزِياتُ ولا تَبِيدُ

وَحَكّتْ بَرْكَها ببني جِحاشٍ وقد أَجْرَوا إليها من بعيدِ[6]

تركت ابنَيْ جَذِيمةَ في مَكَرٍّ ونَصْراً قد تركتُ لها شُهودِي

[وصف مقتله وما كان قبله من حوادث]

قال أبو عبيدة وحدّثني أبو سرّار الغنويّ قال : كان زهيرٌ رجلاً عَدُوساً[7] ، فانتقل من قومه

---

1 أَمِرَت : كثرت .

2 الخليّة : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هي للحلب . والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدر عليه .

3 القُلب : السوار .

4 يمكنني في ل : يفردني .

5 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

6 البرك : الصدر .

7 عدوس : قويّ على سير الليل .

ببنيه وبني أخويه زِنباعٍ وأَسِيدٍ برَكْبَةٍ يُريغ الغيثَ في عُشَراواتٍ[1] له وشَوْلٍ[2] . قال : وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعَرُ بهم . قال عبد الحميد وأبو حَيَّة : بل بنو عامر بدَمْخٍ[3] وزهيرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث . قال فقال أبو سرّار : فأتى الحارثُ بني عامر ، والله ما تغيّر طعمُ اللبن الذي زُوِّدَهُ الحارث بن عمرو بن الشّرِيد السُّلَميّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفرات ، وكانت تُماضِرُ بنت عَمرو بن الشَّريد بن رِيـاح بن يَقَظَة بن عُصَيّة بن خُفافٍ السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أُمُّ ولده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زهيرٌ لبنيه : إنّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأوثِقوه . فقالت أُخته لبنيها : أيزوركم خالك فتوثِقوه وتحرموه ! فخَلَّوْه . فقالت تُماضِرُ لأخيها الحارث : إنّه لَيَريبُني [ اكبِئْنانُك[4] وقُروبُك[5] ، فلا يأخذنّ فيك ] ما قال زهير ؛ فإنّه رجل بَيْذارةٌ[6] غَيْذارةٌ[7] شَنُوءةٌ[8] . قال : ثم حلَبوا له وَطْباً وأخذوا منه يميناً ألاّ يُخْبِرَ عنهم ولا يُنْذِرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حَيّة النُّميريّ أنّه لمّا أتوه بقِراهم أراهم أنّه يشرَبه في الظُّلمة وجعل يَهْوي به إلى جيبه فيَصبُّه بين سِرْباله وصَدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حلَب له الوَطْبَ وقَراه الحـارث بن زهير ، وبه سُمِّي . قال : فخرج يطير حتّى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى حاذَةً[9] أو شجرةً غيرها فألقى الوطبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال : أيّتها الشجرة الذليلةُ اشْرَبي من هذا اللبن فانظُري ما طَعْمُه . فقال أهل المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [ عَهْدٌ ] وهو يُخبركم خبراً . فأَتَوْه فإذا هو الحارثُ بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرُص بعدُ ، فقالوا : إنه لَيُخْبِرُنا أنّ طلبنا قريبٌ . فركب معه ستّـة فـوارسَ لينظروا مـا الخبر ، وهُم خالدُ بن جعفر بن كِلابٍ على حَذْفة ، وحُنْدُج بن البَكّاء ، ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيْل فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيليّة ، قال : والأُخَيْلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذٍ غلامٌ

1 العشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضاً .

2 والشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخفّ لبنها .

3 دمخ : جبل .

4 الاكبئنان هنا : الغم .

5 القروب : السكوت .

6 البيذارة : الكثير الكلام .

7 الغيذارة : السيء الخلق .

8 الشنوءة : المبغض .

9 الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

له ذؤابتان ، وكان أصغرَ مَنْ ركِب ، وثلاثة فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصُّوا أثَر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني جَذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنا لَنَرى حَرَجةً[1] مِن عِضاةٍ[2] أو غابة رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةُ أُسيدِ بن جَذيمة أُسيداً بمثل ذلك ؛ فأتى أُسيدٌ أخاه زهيراً فأخبره ممّا أخبرته به الرّاعية وقال : إنّما رأتْ خيلَ بني عامر ورِماحَها . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ[3] نَفورٌ» ، فذهبت مثلاً ؛ وكان أُسيدٌ كثير الشَّعر خناسيا ، وأينَ بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتها تركتْك ، وإن وَطِئتها عَضّتك . وأمّا بنو كَعبٍ فإنّهم يَصيدون اللّأَى (يريد الثور الوحشيّ) . وأمّا بنو نُمَير فإنّهم يَرعَون إبلَهم[4] في رؤوس الجبال . وأمّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطر . قال : فتحمّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانَه حتى يُصبح . وتحمّل مَن كان معه غير ابنيه وَرقاء والحارث . قال : وكان لزهير رَبيئة[5] من الجِنّ فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح ، وكانت له مِظَلّة دَوْحٍ يربطُ فيها أفراسَه لا تَرِيمُه حَذَراً من الحوادث . قال : فلمّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها ؟ فقال رَبيئتُه : أحسّت الخيل فصهَلت إليهن . فلم تُؤْذِنْهم بِهم إلاّ والخيلُ دَوائسُ[6] مَحاضِيرُ[7] بالقوم غديّةً . فقال زهير وظنّ أنّهم أهلُ اليمن : يا أُسيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثَهم منذُ الليلة . قال : وركِب أُسيدٌ فمضى ناجِياً . قال : ووثَب زهير وكان شيخاً نبيلاً[8] فتدَثّر[9] القَعساء فرسَه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذٍ عَقُوقٌ مُتَّهَمٌ ، واعرَوْرى[10] ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيْهما ، ثم

---

1 الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير الملتف .

2 العضاه من الشجر كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .

3 الزبب : كثرة الشعر وطوله . والبعير الأزب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضرب الريح شعرات حاجبيه . وهنا مثل قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزبّ جباناً ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد ، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه ، فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له زهير «كل أزب نفور» وإنّما قال هذا لأنّ أسيداً كان أشعر . مجمع الأمثال للميداني 7/3 .

4 ل : البهم .

5 ربيئة : طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .

6 أتتهم الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً .

7 المحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحُضر أي العدو .

8 نبيلاً هنا : جسيماً .

9 تدثّر فرسه : وثب عليها فركبها ، أو ركبها من خلفها .

10 اعرورى فلان فرسه : ركبه عرياناً أي ليس له سرج .

خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمُّوا على بني عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه . فهتَف هاتفٌ من بني عامر : يا لَيَحامِر ، يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن ، لأنْ يُعَمِّيَ على الجَذَمِيِّين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها لأهل اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظُرْ يا ورقاء ما تَرى ؟ قال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يَجْهَدها ويَكُدُّها بالسوط قد ألحّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير : «شيئاً ما يريد السَّوْطُ إلى الشقراء»[1] فذهبتْ مثلاً ، وقال في المرّة الثانية : «شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ إلى الشقراء» وهي حَذْفةُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ . قال : وتمرّدت القَعساء بزُهير ؛ وجعل خالدٌ يقول : لا نجوتُ إن نجا مُجَدِّعٌ (يعني زهيراً) . فلمّا تَمَعَّطت[2] القعساءُ بزهير ولم تتعلّق بها حَذْفةُ ، قال خالد لمعاوية الأخْيَل بن عُبادة وكان على الهَرّار (حصان أعْوَج)[3] : أدْرِك مُعاوِيَ ، فأدرك معاويةُ زهيراً ، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشان عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطْعنْ يا معاوية في نَساها ، فطَعن في إحدى رِجْليها فانخذلت القعساءُ بعض الانخِذال وهي في ذلك تَمَعَّطُ . فقال زهير : اطْعنِ الأُخرى ، يَكِيده بذلك لكي تستوي رجلاها فَتَحامَلَ . فناداه خالد : يا معاوية أَفِذَّ طَعْنَتَك (أي اطْعنْ مكاناً واحداً) فشَعْشَعَ الرُّمح في رجلها فانخذلتْ .

قال : ولَحِقه خالدٌ على حَذْفَةَ فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهير ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه ، ورفع المِغْفَر عن رأس زهير وقال : يا لَعامِرٍ اقتلونا معاً ! فعرَفوا أنّهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا آنقِطاع ظَهْراه ! إنّها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره : فقال بعضُ بني جَذِيمة : وا آنقطاع ظَهْرِي ! . قال : ولحِق حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغفَرة عن رأس زهير فقال : نَحِّ رأسَك يا أبا جَزْءٍ ، لم يَحِنْ يومُك . قال : فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير ، وضرب ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرعان ، وكان أَسْجَرَ[4] العينين ، أزَبَّ أقمرَ[5] ، مثلَ الفالج[6] ، فلم يُغْنِ شيئاً . قال : وأَجْهَض[7] ابنا زهير

---

1 مثل . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . أصله رجلاً ركب فرساً له شقراء ، فجعل كلّما ضربها زادته جرياً . يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها ، مجمع الأمثال للميداني 164/2 .

2 التمعط : ضرب من العدو .

3 الأعوج من الخيل : ما اعوجّت قوائمه ، ويستحبّ ذلك فيها .

4 سجرة العين : أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر .

5 القمرة : لون إلى الخضرة ، أو هي بياض فيه كدرة .

6 الفالج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين .

7 أجهضا القوم : أي نحياهم عنه وغلباهم عليه .

القومَ عن زهير فانتزعاه مُرْتَثّاً[1] . فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه : وا لهفتاهْ ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسَعُكُم ! ولام حُنْدُجاً . فقال حُندج وكان لجلالته غصة إذا تكلّم : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربتُه ورجلاي متمكّنتان في الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه . ورأيتُ على ظُبَته مثلَ ثَمَر المُرار ، وذقتُه فكان حُلْواً . فقال خالد : قتلته بأبي أنت ! . ونظَر بنو زهير فإذا الضربةُ قد بلغتْ الدِّماغ . ونُهِي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء ، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِك عَطَشاً . قال : وذلك أنّ المأموم[2] يُخاف عليه الماء ، حتى بلغ منه العطشُ ، فجعل يَهْتِف : أَمَيّتٌ أَنا عَطَشاً ، وينادى : يا ورقاء ، قال أبو حيّة : فجعل ينادي يا شَأْس ، فلمّا رأوا ذلك سَقَوْه فمات لثالثةٍ .

[شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده]

فقال ورقاء بن زُهَيْر : [من الطويل]

رأيتُ زُهَيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ فأقبلتُ أَسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ[3]
إلى بَطَلَيْن يَنْهَضانِ كلاهما يُريغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادِرُ[4]
فشَلَّتْ يميني إذ ضربتُ ابنَ جَعْفَرٍ وأَحرزه منّي الحديدُ المُظاهَرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها : [من الطويل]

وشَلَّتْ يميني يوم أضربُ خالداً وشَلَّ بَناناها وشلّ الخَناصرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدني أبو سَرّار أيضاً فيها : [من الطويل]

فيا ليتني من قبل أيّامِ خالدٍ ويومِ زُهَيْرٍ لم تَلِدني تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّةَ بن خُفاف السُّلَمِيّ امرأة زُهير بن جَذِيمة . قال أبو عبيدة : أنشدني أبو سرّار فيها : [من الطويل]

لَعَمْري لقد بُشِّرتِ بي إذ وَلَدْتني فماذا الذي رَدّتْ عليكِ البشائرُ

[شعر لخالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهيراً]

وقال خالد بن جعفر يمُنّ على هوازن بقتله زهيراً ويصدُق الحديث ، قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشْرِ بن عامر مُلاعِب الأسِنّة : [من الكامل]

1 المرتثّ : الذي يحمل من المعركة وبه رمق .
2 المأموم : الذي أصيب في أم الرأس . وأم الرأس : الدماغ .
3 العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً .
4 نادر : ساقط .

بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما ... أعتقتُهم فَتَوالَـدُوا أحـرارا
وقتلتُ ربَّهـمُ زهيراً بعد ما ... جدع الأُنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حَزْنَ بِلادِهم وجِبالهم ... أرضاً فضاءً سهلـةً وعشارا
وجعلتُ مَهْرَ بناتهم ودمائهم ... عَقْلَ الملـوكِ هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة : أَلا ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيراً كان ربَّهم وقد كان جدَعهم ، وأنّه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ ، وأنّ غَنِيّاً ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى .

قال : وقال وَرقاء بن زهير : [من البسيط]

أمّا كِلابٌ فإنّـا لا نُسالِمُها ... حتى يُسالمَ ذِئبَ الثَّلةِ الرَّاعِي[1]
بنو جَذِيمة حاموا حول سَيِّدهم ... إلاّ أُسيداً نجا إذ ثَوَّب الدّاعِي

[شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً]

قال : ثم نَعى الفرزدق على بني عبس ضربةَ ورقاء خالداً ، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال : [من الطويل]

إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أَبى ... لتأخير نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ
فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا به ... نَبا بِيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأس خالدِ
كذاك سيوفُ الهِنْدِ تنبو ظُباتُها ... وتقطعَ أحيانـاً مناطَ القلائدِ
ولو شِئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقِهِ ... إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسِيفِ جامدِ[2]

قال : وكان ضِلَعُ بني عَبْسٍ مع جرير ، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبي عُبيدة .

[رواية الأصمعي لمقتل زهير وابنه شأس]

وأمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر ، فيما رواه الأَثْرَمُ عنه ، قال حدَّثني غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيرٍ العبسيّ أنّ ابنه شأس بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[3] قد حُبِي به ، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ، الشكّ من الأصمعيّ . قال : فاغتسل ، فناداه الغَنَوِيّ : اسْتَتِرْ ، فلم يَحْفِلْ بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفِل . فرماه الغنويّ رِياحُ بن الأَسَكّ بسهمٍ . أو ضربه فقتله

1 الثَّلة : الجماعة من الغنم وبضمّ الثاء الجماعة من الناس .
2 العلق : الدم ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ . والشراسيف : أطراف الأضلاع ، واحدها شرسوف .
3 الحباء : العطاء .

والحَيُّ خلُوفٌ ، فاتّبعه أصحاب شأس وهم في عِدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فرَهِقوه[1] ، فقتل حُصَيْناً وأخاه حُصَيْناً ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ ، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم) . فقال له العجوز : لا تبرحْ حتى يأتي بَنِيَّ فيأسروك . قال الأصمعيّ : فأخبرني مُخْبِران اختلفا ، فقال أحدهما : إنّه أَخَذَ سِكّيناً فقطع عَصَبَتَيْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجراً فشدَخ به رأسَها ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

ولأنتَ أَشْجَعُ من أسامةَ أو ... مِنِّي غداةَ وقفتُ للخَيْلِ
إذ الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما ... عَدَلَ الرِّجازةُ جانِبَ المَيْلِ[2]
وإذا أُنَهْنِهُها لأَفتِلَها ... جاشتْ لِيَغْلِبَ قولُها قولي[3]

قال : فضرب الزمانُ ضَرَبانَه[4] ، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب وزهير بن جذيمة العَبسيّ . فقال خالد لزهير : أما آن لك أن تشتفي وتَكُفّ ؟ قال الأصمعيّ : يعني ممّا قتَل بشأس ، قال : فأغلَظ له زهيرٌ وحقّره . قال الأصمعيّ : وأخبرني طَلْحة بن محمد بن سعيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعُكاظ عند قريش . فلمّا حقّره زهير وسبّه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدّده ثم قال : اللهمّ أَمكِنْ يدي هذه الشقراءَ القصيرةَ من عُنق زهير بن جَذيمة ثم أعِنّي عليه . فقال زهير : اللهمّ أَمْكِنْ يدي هذه البيضاءَ الطويلة من عنق خالد ثم خلٍّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زُهير ! . فقال : إنّكم والله الذين لا عِلْمَ لكم .

قال الأصمعيّ : ثم نرجع إلى حديث العَبسيّين والعامريِّين ، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العَلاء . قال : فجاء أخو امرأة زهير ، وكانت امرأته فاطمة بنتَ الشَّرِيدِ السُّلَميّة ، وهي أمّ قيس بن زهير ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء ، فجاء أخوها إلى بني عامرٍ فقال : هل لكم في زهير بن جَذِيمة يَنْتِجُ إبلَه ليس معه أحدٌ غير أخيهِ أسِيدِ بن جَذِيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ! وجئتُكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لي . فذاقوه فإذا هو ليس بحازر ، فعلِموا أنّه قريبٌ . فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقيل ، ليس على أحدهم دِرْعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عمرُو بن يربوع الغَنَويّ ، وكانت دِرعَ ابن الأَجْلَح المُرادِيّ كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزِمَّة . وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت لها عُرًى تُعَلَّق فضولُها بها إذا أراد أن يشمِّرها . قال : فطلعوا . فقال أُسِيدُ بن

1 رهقوه : غشوه ولحقوه .
2 إذ الحصينُ في ل : عدل الحصينُ .
3 نهنهه : زجره وكفّه .
4 أي إذا ذهب بعضه .

جَذِيمة ، قال الأصمعيّ : وكان أُسيدٌ شيخاً كبيراً ، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد : أُتِيتَ وربِّ الكعبة . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ نَفُورُ»[1] فذهبتْ مثلاً . فلم يشعر بهم زهيرٌ إلاّ في سَواد الليـل ، فركِـب فرسه ثم وجّهها ، فلحِقه قومٌ أحدُهم حُنْدُجٌ أو العُقيليّ ، واختلفوا فيهمـا ، فطعـن فَخِـذَ الفـرسِ طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يَطْعـن الرِّجـل الصحيحة ، فنـاداه خالـدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أَقْبِلْ على السقيمة . قال : فطعنَها فانخذلَتْ الفرسُ فأُدركوه . فلمّا أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتُلوني ومُجَدِّعا ! . فجاء حُنْدُجٌ ، وكان أعجمَ اللِّسانِ ، فقال لخالد وهو فـوق زهير : نَـحِّ رأْسَكَ يا أَبا جَزْءٍ ، فنحَّى رأسَه ، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ ، ثم ركبوا وتركوه . قال فقال خالد : وَيحك يا حُنْدُجُ ما صنعتَ ؟ فقال : ساعِدي شديدٌ ، وسَيْفِي حديد ، وضربتُه ضربةً فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثلُ ثمرة المُرار ، فطَعِمْتُه فوجدتُه حُلْواً (يعني دِماغَه) . قال : إنْ كنتَ صَدَقْتَ فقـد قتلتَه . قـال : فجاء قومُ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت . فقـال : يـا آل غطفان أَأَمـوت عَطَشاً ! فسُقِـي فمـات ، وذلك بعد أيّام . ففِي ذلك يقول وَرْقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً ، فقال : [من الطويل]

رأيتُ زهيراً تحـت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أَسعـى كالعَجُـولِ أُبادِرُ

إلى بَطَلَيْـنِ ينهَضـانِ كِلاهمـا ... يُريدانِ نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ نادِرُ

قال الأصمعيّ : فضرب الدهر من ضَرَبانِه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ بن ظالم .

1 مثل ورد ذكره ص 59 من هذا الجزء .

# [ 180 ] ـ ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كِلاب

[مقتل خالد بن جعفر وسببه]

قتله الحارث بن ظالمٍ المُرِّيُّ . قال أبو عُبيدةَ : كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أنّ خالدَ بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غَيْظِ بن مُرّة وهم في وادٍ يقال له حُراضٌ ، فقتل الرجالَ حتى أسرع ، والحارثُ يومئذٍ غلام ، وبَقِيت النساء . وزعموا أنّ ظالماً هلكَ في تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذٍ . وكانت نساء بني ذُبيان لا يحلُبن النَّعَمَ ، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارثَ ، فَيشُدّ عِصابَ[1] الناقةِ ثم يحلُبنها ، ويبكين رجالَهنّ ويبكي الحارث معهنّ ، فنشأ على بُغْض خالد . وأُردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة ؛ فاستحقّ العداوةَ في غَطَفان . فقال خالد بن جعفر في تلك الوَقعة : [ من الوافر]

تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظٍ  أراملَ يشتكِين إلى وَلِيدِ
يَقُلْنَ لحارثٍ جَزَعاً عليه  لك الخيراتُ ما لك لا تسودُ
تركتُ بَنِي جَذِيمة في مَكَرٍّ  ونصراً قد تركتُ لدى الشهودِ
ومنّي سوف تأتِي قارعاتٌ  تَبِيدُ المخزِياتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المعاركِ غادرتْه  قَناتِي في فوارِسَ كالأسودِ
وحَلّتْ برَكْها بيني جِحاشٍ  وقد مَدُّوا إليها من بَعِيدِ
وحَيّ بني سبيعٍ يومَ ساقٍ  تركناهم كجاريةِ وبيدِ[2]

قال أبو عبيدة . فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهةً من دهره ، حتى كان من أُمره وأَمر زهير بن جَذِيمة ما كان ، وخالدٌ يومئذٍ رأسُ هَوازِنَ . فلمّا استحقّ عداوةَ عَبْسٍ وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِرِ[3] مَلِكَ الحِيرةِ لينظر ما قَدْرُه عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألفى عنده الحارث بن ظالمٍ قد أُهدى له فرساً فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، نَعِمَ صباحُك ، وأَهلِي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني مُرّة ، فلن تُؤْتى بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه ، إن لم تَنْسُبْه انْتَسب ، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلمّا

1 عصاب الناقة : ما تشدّ به لتدر .
2 وبيد في ل : وئيد .
3 ورد في الكامل لابن الأثير 351/1 : أن الملك هو النُّعمان ابن امرىء القيس ملك الحيرة . وورد أيضاً أن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر .

أكرمتَ خالداً أهديتَه إليك . وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك ، وأَهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخْفِقْ في غَزْوةٍ ولم يعتلِك في سَفَرٍ ، وفضلُه على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . قال : فغضِب النُّعمان عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قيس ، أَرى خيلَكم أشباهاً ! أين اللواتي كأنّ أذنابَها شِقاق[1] أَعْلامٍ ، وكأنّ مَناخِرَها وِجارُ[2] الضِّباع ، وكأنّ عيونَها بَغايا النساء ، رِقاقُ المُسْتطعَم[3] ، تُعالِك اللُّجُمَ في أشداقها ، تدورُ على مَذاوِدِها[4] كأنّما يَقْضَمنَ[5] حَصًى . قال خالد : زعَمَ الحارث ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أنّ تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه . فغضِب النُّعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلمّا أَمْسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أَهل الحِيرَةِ يقال لها بنت عَفْزَرٍ يشربون . فقال خالِدٌ : تَغَنَّيْ : [من الكامل]

دارٌ لهنـدٍ والرَّبـابِ وفَرْتَنى ... ولَمِيسَ قَبْـلَ حوادثِ الأيّامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم . فغضِب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، وقال : ما تَزال تُتْبِعُ أُولى بآخرة ! . قال أبو عبيدة : ثم إنّ النُّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً ؛ فطفِق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نَوى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث . فلمّا فرَغ القوم قال خالد بن جعفر : أَبَيْتَ اللعن ! انظُر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوى ! ما ترك لنا تمراً إلاّ أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأَكلتُ التمر وألقيتُ النَّوى ، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه . فغضِب خالد وكان لا يُنازَع ، فقال : أَتُنازِعني يا حارث وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتك يتيماً في حُجور النساء ! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أَشْهَدْه ، وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكاني . قال خالد : فَهَلاّ تشكُر لي إذ قتلتُ زهيرَ بن جَذِيمةَ وجعلتُك سيِّد غَطَفانَ ! . قال : بلى أَشكُرك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْزَرٍ ، فشرِب عندها وقال لها تَغَنّيْ : [من الطويل]

تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنّيَ فاتكٌ ... من اليومِ أو مِنْ بعدِه بابن جَعْفَرِ
أخالدُ قد نَبَّهْتَني غيرَ نائمٍ ... فلا تَأْمَنَنْ فَتْكي يَدَ الدَّهرِ واحْذَرِ
أعيَّرْتَني أنْ نِلْتَ منّا فوارساً ... غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنَّانِ عَبْقَرِ[6]

1 شقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه إذا شقّ .
2 الوجار : جحر الضبع وغيرها .
3 مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها .
4 المذاود : جمع مِذْوَد وهو معتلف الدابة .
5 القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .
6 عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

أصابهمُ الدَّهــرُ الخَتُـورُ بخَتْرِهِ ... ومَنْ لا يَـقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ[1]
فعلّـك يومـاً أن تنـوء بضَرْبَةٍ ... بكفِّ فتًى مـن قومه غيرِ جَيْدَرِ[2]
يُغِصّ بهـا عُلْيـا هَـوازِنَ والمُنى ... لقاءُ أَبـي جَـزْءٍ بأَبيضَ مِبْتَرِ[3]

قال : فبلغ خالدَ بن جعفرٍ قوله فلم يَحْفِلْ به . فقال عبد الله بن جَعْدَةَ ، وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجلَ قَيْسٍ رأياً ، لابنه : يا بُنَيّ ائتِ أَبا جَزْء فأَخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيةٌ موتور ، فأَخْفِ مَبِيتَك الليلةَ ؛ فإنّه قد غلبه الشرابُ . فإنْ أبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلاً لِيَحْرُسَك . فوضعوا رجلاً بإزائه ، ونام ابن جَعْدَةَ دون الرجل ، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أنّ ابن عُتْبةَ وابن جعدةَ يحرُسان خالداً . فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدة فتعدّاه ، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجَنه بكَلْكَلِهِ حتى كسَرَه وجعل يكدمه[4] لا يعقِل ، فخلّى عنه والرجل تحته ، ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسَّيفِ حتى قتله . فقال لعُروة[5] : أَخْبِرِ الناسَ أنّي قتلتُ خالداً . وقال في ذلك : [من الطويل]

ألا سائلِ النُّعْمانَ إن كنتَ سائلاً ... وَحيَّ كِلاب هـل فتكتُ بخالدِ
عَشَوْتُ عليـه وابنُ جَعْدَةَ دونَه ... وعُرْوةُ يَكْـلا عمَّـه غيرَ راقِدِ
وقد نَصَبا رَجْلاً فباشرتُ جَوْزَه ... بكَلْكَلٍ مَخْشِيٍّ العـداوةِ حاردِ[6]
فأَضربـهُ بالسَّيفِ يـأُفوخَ رأسِهِ ... فصمّم حتى نـال نُوطَ القلائدِ[7]
وأَفلـتَ عبدُ الله منّـي بذُعْـرِه ... وعُرْوةُ من بعد ابنِ جَعْدَةَ شاهدي

[شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالداً]

فلمّا أَبَتْ غَطَفانُ أن تُجِيره غَضِبتْ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات : [من الوافر]

1 الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .
2 غير جيدر : غير قصير .
3 أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر : سيف قاطع .
4 الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها .
5 هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر .
6 الرَّجْل : لغة في الرَّجُل . وجوز كل شيء : وسطه . وحارد : غاضب .
7 اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، ونياط كل شيء معلقه .

جزاكَ اللهُ خيراً مِـــنْ خَلِيـــلٍ ... شفى من ذي تُبُولته الخليلا[1]
أزحتَ بها جوًى ودَخِيلَ حُزْنٍ ... تَمَخَّخَ أعظُمِي زمنـاً طويلا[2]
كسوتَ الجعفريَّ أَبا جُزَيْءٍ ... ولم تَحْفِـلْ بـــه سيفاً صَقِيلا
أبأْتَ بـــه زُهَيْرَ بَنِـي بَغِيصٍ ... وكنتَ لِمِثْلِها ولهـا حَمُولا[3]
كشفتَ له القِناعَ وكنتَ مِمّن ... يُجَلِّي العـارَ والأُمـرَ الجَليلا

فأجابه الحارث بن ظالم : [من الوافر]

أَتانِيَ عـــن قُبَيْسِ بني زُهَيْرٍ ... مقالــةُ كاذبٍ ذكـر التُّبُولا
فلـــو كنتـــم كما قلتـم لكنتم ... لقاتـل ثـأرِكُمْ جِـرْزاً أُصِيلا
ولكـن قلتُـم جـاوِرْ سِوانا ... فقـد جَلَّلْتَنـا حَدَثـاً جليلا
ولو كانـوا هـمُ قتلوا أَخاكُم ... لَما طردوا الذي قَتَـل القَتِيلا

[غطفان تأبى جوار الحارث]

قال أبو عبيدة : فلمّا منعته غَطَفان لَحِق بحاجب بن زُرارةَ ، فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في عُلْيا هوازنَ . فلمّا كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غَنِيٍّ ببعض البَوادي ، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حَنظلة تجتني الكَمأةَ ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرتْهُ بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصْرته ومَنْعِه . فانطلق بها الغَنَوِيّ إلى رَحْلِه ؛ فانسلّتْ في وسطِ من الليل ، فأتى الغنويُّ الأَحْوَصَ بن جعفر ، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال : هي مُنْذِرةٌ عليك . فقال له الأَحوصُ : ومتى عَهْدُك بها ؟ قال : عَهْدِي بها والمَنِيُّ يقطرُ من فَرْجها . قال : وأَبيك إنّ عهدَك بها لقريبٌ . وتبع المرأة عامرُ بن مالك يَقُصّ أُثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : أَخْبِريني أيُّ قومٍ أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني مَن في القوم ؟ قالت : رأيتُهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمأْقَيْهِ[4] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه . قال : ذلك الأَحْوص بن جعفر . قالت : ورأيت شابـّاً شديد الخَلْق ،

1 التبولة : جمع تَبل وهو هنا الثأر .
2 تمخّخ العظم : أخرج مخّه .
3 أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .
4 المأق : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدمها .

كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِمِ[1] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض . قال : ذلك عُتْبَةُ بن بَشِير بن خالد . قالت : ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فَتَيانِ ، يُشْرِف القومُ إليه ، فإذا نطَق أَنصتوا . قال : ذلك عَمْرُو بن خُوَيْلِد ، والفَتَيان ابناه زُرْعةُ ويَزِيدُ . قالت : ورأيتُ شابّاً طويلاً حسناً[2] ، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَؤُلُّون[3] إليه كما تؤلُّ الشَّوْلُ[4] إلى فَحْلها . قال : ذلك عامر بن مالك . قال أبو عبيدة : فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال : يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أَتَوْك ، فما أَنتَ صانع ؟ قال الحارث : ذلك إليك ، إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم ، وإن شئتَ تَنَحَّيْتُ . قال حاجب : تَنَحَّ عنّي غيرَ ملوم .

[شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي]

فغضِب الحارث من ذلك وقال : [من الطويل]

لَعَمْري لقد جاورتُ في حَيٍّ وائلٍ ... ومِنْ وائلٍ جاورتُ في حَيٍّ تَغْلِبِ
فأَصبحتُ في حيٍّ الأَراقم لم يَقُلْ ... لِيَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اذْهَبِ
وقد كان ظَنّي إذ عقلتُ إليكمُ ... بني عُدُسٍ ظَنّي بأصحاب يَثْرِبِ
غَداةَ أَتاهم تُبَّعٌ في جُنودِهِ ... فلم يُسْلِموا المرين من حَيٍّ يَحْصُبِ
فإنْ تَكُ في عُلْيا هَوازِنَ شَوْكَةٌ ... تُخافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ[5]
وإن يَمْنَعِ المَرْءُ الزُّرارِيُّ جارَه ... فأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أُعْجِبِ

فغضِب حاجب فقال : [من الطويل]

لَعَمْرُ أبيك الخَيْرِ يا حارِ إنّني ... لأَمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ
وقد عِلم الحيُّ المَعَدِّيُّ أنّنا ... على ذاك كنّا في الخُطوبِ الأوائلِ
وأَنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لبِسنا له ثَوْبَيْ وَفاءٍ ونائلِ
وأنّ تميماً لم تُحارِبْ قبيلةً ... من النّاس إلاّ أُولعتْ بالكواهلِ
ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابنَ ظالمٍ ... لعضّتْ علينا عامرٌ بالأَنامِلِ

---

1 العذم : العض .
2 ل : طوالاً حساناً .
3 يؤلّون من الأل : السرعة .
4 الشول : جمع شائلة وهي التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها .
5 في الأصل مخلب ولكنها لا تستقيم .

ولاسْتيقنتْ عُلْيـا هَوازِنَ أنّنا سنُوطِئها في دارهـا بالقنابِلِ[1]

ولكنّني لا أبعثَ الحربَ ظالماً ولو هِجْتُها لم آلْفَ شَحْمَةَ آكلِ

قال : فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارةَ فلحِق بعَرُوض اليمامة . ودعا مَعْبَداً ولَقِيطاً ابْنَيْ زرارة فقال : سيرا في الظُّعُن ، فموعدُكما رَحْرحان ؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن نَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظُّعُن . قال : فلَقُوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها ، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِح لَقِيطٌ . فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى ، فقطَّعه إرْباً إرْبـاً حتى قتله .

[شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب]

وقال عامر بن مالك يَرُدّ على حاجب قوله : [من الطويل]

أَلِكْني إلى المراء الزُّراريِّ حاجبٍ رئيس تَميمٍ في الخطوب الأوائلِ[2]

وفارِسِهـا في كلِّ يـومِ كريهـةٍ وخير تميـم بـين حافٍ وناعلِ

لَعَمْري لقد دافعتُ عن حيّ مالكٍ شآبيب مـن حَرْبٍ تَلَقَّحُ حائلِ[3]

عـلى كلِّ جَـرْداء السَّراةِ طِمِرّةٍ وأجْـرَدَ خَـوّارِ العِنانِ مُناقِلِ[4]

نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً بقَوْمٍ فـلا تَعْـدِلْ بأبنـاء وائلِ

ولـو ألجأتْـه عُصْبـةٌ تَغْلِبيّةٌ لَسِرْنـا إليهـم بالقنا والقَنابِلِ[5]

ولـو رُمْتُـمُ أن تمنَعوه رأيتُـمُ هناك أُمـوراً غَيُّهـا غيرُ طائلِ

لشابَ وليـدُ الحيِّ قبل مَشيبهِ وعَضّـت تميمٌ كلُّهـا بالأنامِلِ

وقامـتْ رجـالٌ منكمُ خِنْدِفِيَّةٌ يُنـادون جهـراً ليتَنـا لم نُقاتِلِ

---

1 القنابل : الجماعات من الخيل والناس ، الواحدة قَنبلة وقَنبل .

2 ألكني إلى فلان : أي كن رسولي إليه . والاسم من ألك : الألوك والألوكة والمألُكة والمألُك بمعنى الرسالة .

3 الشآبيب : جمع شؤبوب ، وشؤبوب كل شيء : حدّه ، أو الدفعة منه . تلقحت الناقة : إذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهي ليست كذلك . وحائل : غير حامل .

4 الأجرد من الخيل : القصير الشّعر . والسّراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف . والمناقل من الخيل : الذي يتّقي في عدوه الحجارة .

5 ألجأته هنا : عصمته . القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قَنْبلة وقَنبل .

[قتل الحارث لابن النُّعمان]

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمى بنتَ ظالم وفي حجْرها ابن النُّعمان ، فقال لها : إنّه لن يُجيرَني من النُّعمان إلاّ تَحَرُّمي بابنه ، فادْفَعيه إليّ . وقد كان النُّعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنّ ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

[اعتذار عمّ الحارث للنعمان]

فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لأقتلنَّك أو لتأتينِّي بابن أخيك . فاعتذر إليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال : [من البسيط]

يــا حــارُ إنّيَ أحْيا من مُخَبّأةٍ ... وأنت أجْرَأُ من ذي لِبْدةٍ ضارِي
قــد كان بيتِيَ فيكم بالعَلاءِ فقد ... أحْلَلْتَ بيتِيَ بـين السَّيْلِ والنارِ
مهما أُخَفْكَ على شيءٍ تجيءِ به ... فلَـم أُخَفْــكَ على أمثالهــا حارِ
ولَم أُخَفْكَ عــلى لَيْثٍ تُخاتِله ... عَبْـــلِ الذِّراعَيْنِ للأقرانِ هَصّارِ
وقــد علمــتُ بأنّــي لن يُنَجِّيَني ... ممّــا فعلتَ سوى الإقــرارِ بالعارِ
فقد عَدَوْتَ عــلى النُّعْمانِ ظالِمَه ... في قتلِ طِفْلٍ كمثلِ البَدْرِ مِعْطارِ
فاعلَــمْ بأنّك منـــه غيرُ مُنْفَلِتٍ ... وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ شارِي[1]

[شعر للحارث في قتله ابن النُّعمان]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخْبِرْكُما إذْ سألتما ... مُحارِبُ مَـوْلاهُ ، وثَكْلانُ نادِمُ
حَسِبْتَ أَبا قابُــوسَ أنّك سابِقِي ... ولَمّا تَذُقْ فَتْكِــي وأنفُك راغِمُ[2]
أخُصْيَيْ حِمارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمةً ... أتُؤْكَلُ جاراتِــي وجارُك سالِمُ[3]
تَمَنَّيْتَــهُ جهــراً عــلى غير رِيبةٍ ... أحاديثُ طَسْمٍ ، إنّما أنتَ حالِمُ
فــإنْ تَــكُ أذوادًا أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابــنُ سَلْمى أمْــرُه متفاقِمُ[4]

---

1 شاري : وصف من شَري يشرى : إذا غضب ولجّ في الأمر .

2 في المفضليات 312 : ولمّا تصب ذلاًّ وأنفك راغم .

3 يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدها النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيِّل . وفي المفضليات : أتأكل جيراني وجارك سالم .

4 في المفضليات 312 :

فــإنْ تــك أذوادٌ أُصِبْن ونسوة ... فهــذا ابــن سلمى رأسه متفاقم

والذود : القِطع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر .

علوتُ بـذي الحيّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ ... وكان سِلاحي تجتويه الجماجمُ[1]

فتكتُ بـه فتكاً كفتكي بخالدٍ ... وهل يركب المكروهَ إلاّ الأكارمُ[2]

بدأتُ بهـذي ثـم أُثني بمثلها ... وثالثـةٍ تبيضّ منهـا المَقادِمُ[3]

شَفَيْتُ غَليلَ الصدرِ منـه بضربةٍ ... كذلك يأبـى المُغْضَبون القَماقِمُ[4]

[شعر للحارث يخاطب به النعمان]

فقال النُّعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سِنان بن أبي حارثة المُرِّيُّ ، وهو يومئذٍ رأسُ غطَفانَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! والله ما ذِمّةُ الحارث لنا بذمّة ، ولا جارُه لنا بجار ، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا أَبْلِـغْ النُّعمانَ عنّـي رسالةً ... فكيف بخطّابِ الخُطُوبِ الأَعاظمِ

وأنـتَ طَويـلُ البَغْيِ أَبْلَخُ مُعْوِرٌ ... فَزُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدى العَظائِمِ[5]

فمـا غَـرَّه والمرءُ يُدْرِكُ وِتْرَهُ ... بأَرْوَعَ ماضي الهَمِّ مـن آلِ ظالمِ

أَخِي ثِقَـةٍ ماضِي الجَنانِ مُشَيَّعٍ ... كَمِيشِ التَّوالِي عند صِدْقِ العَزائِمِ[6]

فأُقْسِمِ لَـولا مَـنْ تعرَّض دونه ... لَعُولِي بِهِنْدِيٍّ الحديـدةِ صارمِ

فأُقتّـلُ أَقوامـاً لِئامـاً أَذِلَّـةً ... يَعَضُّون مـن غَيْظٍ أُصولَ الأَباهمِ

تمنَّى سِنانٌ ضَلَّـةً أن يُخيفَني ... ويأْمَـنَ ، مـا هذا بفعل المُسالمِ

تَمنَّيتَ جهـداً أن تَضيعَ ظُلامتي ... كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرَّواسِمِ[7]

---

1 ذو الحيّات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .

2 ثم اختلاف في رواية هذا البيت والبيت الذي سبقه في المفضليات 312 ، إذ يتبادلان الشطر الأوّل في كلّ منهما :

علوت بذي الحيات مفرق رأسِه ... وهل يركب المكروه إلاّ الأكارم

فتكت بـه كما فتكت بخالـدٍ ... وكان سلاحي تجتويه الجماجم

وثمة اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما ترى .

3 صدر البيت في المفضليات : بدأت بهذي ثم أثني بهذه .

4 القماقم : جمع قمقام ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

5 الأبلخ : المتكبّر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

6 المشيّع : الشجاع . كميش التوالي : يريد أنه مشمر جاد . وتوالي كل شيء : أواخره .

7 رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل : سير ليّن .

يمين امرىء لم يَرْضَعِ اللُّؤْمَ ثَدْيَه ولَـم تَتَكَنَّفْـه عـروقُ الألائِمِ

[الحارث يرد إبلاً لامرأة استجارت به]

قال : فأمّنه النُّعمان ، وأقام حيناً . ثم إنّ مصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرّةَ يقال لها دَيْهَثُ ؛ فأتت الحارثَ فعلّقت دَلْوَها بدلوه ومعها بُنَيٌّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إنّي أتيتُكَ مُضافةً[1] . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَمَ فنادِي بأعلى صَوْتِك : [من الرجز]

دَعَـوْتِ بـالله ولم تُراعِـي ذلك راعيـكِ فنِعْـمَ الرَّاعِي

وتلك ذودُ الحارثِ الكساعِ يمشي لهـا بصارمٍ قَطّاعِ[2]

يَشْفِي بـه مَجامـعَ الصُّداعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول : [من الرجز]

أنا أبـو ليـلى وسَيْفِي المَعْلُوبْ كَم قد أُجَرْنا من حَرِيبٍ محروبِ[3]

وكم رَدَدْنـا من سَلِيبٍ مسلوبْ وطَعَنَـةٍ طعنتُهـا بـالمنصوبِ

ذاكَ جهيزُ الموت عند المكروبِ[4]

ثم قال لها : لا تَرِدَنّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرِفينه إلاّ أخَذْتِيه ففعلتْ ؛ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشيٌّ ، فقال : يا أَبا ليلى ! هذه لِي . فقال الحبشيّ : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرْسِلْها لا أُمَّ لك ! فضَرط الحبشيّ . فقال الحارث : «اسْتُ الحالبِ[5] أعلم» ، فسارتْ مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ : [من الطويل]

كما كان أَوْفى إذ يُنادِي ابنُ دَيْهَثٍ وصِرْمَتُـهُ كالمَغْنَـمِ المُتَنَهَّـبِ[6]

فقام أبـو ليـلى إليـه ابنُ ظالمٍ وكان مَتى ما يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْرِبِ

ومـا كان جـاراً غيرَ دَلْوٍ تَعلّقتْ بحَبْلَيْنِ في مُسْتَحْصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ[7]

---

1 مضافة : ملجأة .

2 الكسع : الضرب على الدبر .

3 المعلوب : اسم سيف له .

4 والمكرب : المشدود بالكَرَب وهو حبل يشدّ على عراقي الدلو ثم يثنى ويثلث .

5 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 104/2 «است البائن أعلم» ، يضرب لمن وَلِي أمراً وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وأصل المثل أن الحارث بن ظالم وجد اثنين يحلبان ناقة له فأهوى إليهما بالسيف ، فضرط البائن ، فقال المعلي والله ما هي لك ، فقال الحارث : «است البائن اعلم» .

6 الصرمة هنا : القطعة من الإبل .

7 المستحصد : الذي أحكم فتله .

[خروج الحارث إلى صديق له من كندة]

قال أبو عبيدة حدَّثني أبو محمد عِصامٌ العِجليّ قال : فلمّا قَتل الحارثُ بن ظالمٍ خالدَ بن جعفر في جِوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِنْدة يَحُلّ شُعَبى ، قال : شُعَبى غير ممدود ، فلمّا ألحّ الأسْوَدُ في طلب الحارث قال له الكِنْديُّ : ما أرى لك نجاةً إلاّ أن أُلْحِقَك بحَضْرَمَوْتَ ببلاد اليمن فلا يُوصَلَ إليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلمّا غرّبه قال : إنّني أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد بَرِئتْ منك خَفارتي . فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ إلى بني عِجْلِ بن لُجَيْم ، فنزل على زبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفي ذلك يقول العِجْليّ : [من الطويل]

ونحن مَنَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ فظلّ يغنِّـي آمِنـاً في خِبائنا

قال أبو عبيدة : فجاءَته بنو ذُهْل بن ثَعلبة وبنو عَمْرو بن شَيبان فقالوا : أَخْرِجْ هذا المشئومَ من بين أَظْهُرِنا ، لا يَعُرُّنا بشرٍّ ؛ فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحاء (والملحاء كَتِيبةُ الأسْودِ) فأبَتْ عِجْلٌ أن تُخْفِرَه[1] ، فقاتلوه فامتنعتْ بنو عِجْلٍ . فقال الحارث بن ظالمٍ في الكِنْدِيِّ وفيهم : [من الطويل]

يُكَلِّفُنـي الكِنْـدِيُّ سَيْرَ تَنُوفـةٍ أكابِدُ فيهـا كلَّ ذِي صُبَّةٍ مُثْرِي

الصُّبّة : قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها .

وأَقبـلَ دُونِي جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّني خَلاةٌ لِذُهْلٍ والزَّعانِفِ من عَمْرِو[2]

ودُونِيَ رَكْـبٌ مـن لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ وزَبّـانُ جـارِي والخَفِيرُ على بَكْرِ

لَعَمْـرِيَ لا أَخشى ظُلامـةَ ظالمٍ وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعون على نَصْرِي

[لحوقه بطيء]

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارثُ : إنِّي قد اشتهر أمرِي فيكم ومكاني ، وأنا راحلٌ عنكم . فارتحل فلحِقَ بطيِّء . فقال الحارثُ في ذلك : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد حلّتْ بِيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ مـن طَـيِّءٍ غيرِ خاذلِ

فأَصبحـتُ جـاراً للمَجَرَّةِ منهمُ على باذِخٍ يعلـو عـلى المُتطاوِلِ

1 الإخفار : الغدر ونقض العهد .

2 الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

[أخذ الأسود أموال جارات له فردّها هو إليهن]

قال أبو عبيدة وحدَّثني أبو حَيّة أنّ الأَسْوَدَ حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يُبلغ منه . فقال له عُرْوةُ بن عُتْبة : إنّ له جاراتٍ من بَليٍّ بن عَمْرٍو ، ولا أراك تنالُ منه شيئاً أغْيَظَ له من أخْذِهنّ وأخْذِ أموالِهنّ ، فبعث الأسودُ فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الحين فانساب في غُمارِ الناس حتى عرَف موضع جاراتِه ومَرعى إبلهنّ ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّفاع ، وكانت لبوناً كأغْزَرِ الإبل ، إذا حُلِبتْ اجترّت ، ودمعتْ عيناها ، وأصغتْ برأسها ، وتَفاجّتْ[1] تَفاجَّ البائِل ، وهجمتْ في المِحْلَب هَجْماً حتى تُسَنِّمَه[2] ، وتجاوبت أحاليلُها[3] بالشّخْبِ هَتّاً[4] وهثيما حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ مَحالِب . فصاح الحارثُ بهما ورجَز فقال : [من الرجز]

إذا سَمِعْتِ حَنّةَ اللِّفاعِ فادْعِي أبا لَيْلى ولا تُراعي
ذلك راعيكِ فنِعْمَ الرّاعي يُجبْكِ رَحْبَ الباعِ والذِّراعِ
مُنَطَّقاً بصارمٍ قَطّاعِ[5]

خَلِّيا عنها ! فعَرفاه فضَرط البائنُ . فقال الحارثُ : «اسْتُ الضارطِ أعْلَمُ»[6] فذهبتْ مثلاً ، قال الأثْرَمُ : البائن الحالبُ الأيمنُ ، والمستعلي الحالبُ الأيْسَرُ ، ثم عمَد إلى أموالِ جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ) .

[رواية أخرى في قتله ابن الملك]

قال أبو عُبيدة : ولحِق الحارثُ ببلاد قومه مختفياً . وكانت أُخته سَلْمى بنتُ ظالم عند سِنان بن أبي حارثةَ المُرّي . قال أبو عبيدة : وكان الأسْودُ بن المُنْذِرِ قد تبنّى سنانُ بن أبي حارثةَ المُرّيُّ ابنَه شُرَحْبِيلَ ، فكانت سَلْمى بنتُ كَثِيرِ بن رَبِيعةَ من بني غَنْم بن دُودانَ امرأة سِنان بن أبي حارثةَ المُرّيّ تُرضعه وهي أمّ هَرِمٍ ، وكان هَرِمٌ غَنِيّاً يقدِر على ما يُعطي سائليه . فجاء الحارثُ ، وقد كان اندسَّ في بلاد غَطَفانَ ، فاستعار سَرْجَ سِنانٍ ، ولا يعلم سِنانٌ ، وهم نُزولٌ بالشَّرَبَّةِ ، فأتى به سَلْمى ابنةَ ظالمٍ فقال : يقول لكِ بَعْلُك : ابْعَثي بابن الملك مع الحارثِ

1 تفاجت : باعدت بين رجليها .
2 تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .
3 الأحاليل : جمع إحليل ، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع .
4 الهث : اختلاط الصوت في حرب أو صخب .
5 منطقا : مشدوداً في وسطه .
6 مثل مرّ في صفحة 73 .

حتى أستأمِنَ له ويَتخفَّرَ به ، وهذا سرجُه آية إليك . فزيّنته ثم دفعته إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتَله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخبِرْكما إذ سألتُما ... مُحارِبُ مولاه ، وثُكْلانُ نادِمُ

ثكلان نادم : يعني الأسْودَ لأنّه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل . محارِبُ مولاه : يعني الحارث نفسَه . ومولاه : سِنانٌ .

أَخُصْيَيْ حِمارٍ باتَ يَكْدُمُ نجمةً ... أَتُؤْكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ

حَسِبت أبيتَ اللَّعْنَ أنّك فائتٌ ... ولمّا تَذُقْ ثُكلاً وأَنْفُك راغمُ

فإن تكُ أذواداً أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلْمى رأسُه مُتفاقِمُ

علوتُ بذي الحَيّاتِ مَفرِقَ رأسِهِ ... وكان سِلاحِي تجتويه الجماجمُ

فتكتُ به كما فتكتُ بخالدٍ ... ولا يَركب المكروهَ إلاّ الأَكارمُ

بدأتُ بتِلك وانثنيتُ بهذه ... وثالثةٍ تبيضّ منها المَقادِمُ

قال : ففي ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفةَ في الإسلام وهو من بني يَرْبوع بن غَيْظِ بن مُرَّةَ لمّا هاجى شَبِيبَ بنَ البَرْصاءِ ، وأبوه يزيدُ ، وهو من بني نُشْبَةَ بن غَيْظ بن مُرّة ابنُ عَمٍّ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فعيّره بقتلِ الحارثِ بن ظالمٍ شُرَحْبيل لأنّه ربيبُ بني حارثةَ بن مُرّة بن نُشْبَةَ بنَ غَيْظِ رَهْطِ شَبِيبٍ ، ففي ذلك يقول عَقِيلٌ : [من الطويل]

قتلْنا شُرَحْبيلاً ربيبَ أبيكمُ ... بناصيةِ المَعْلُوب ضاحيةً غصْبا[1]

فلم تُنْكِرُوا أن يَغْمِزَ القومُ جارَكم ... بإحْدى الدَّواهِي ثم لم تَطْلُعُوا نَقْبا[2]

قال أبو عُبيدة : وهَرب الحارث ، فغزا الأسْوَدُ بني ذُبيان إذ نقضوا العهد وبني أَسَدٍ بشَطِّ أُريكٍ . قال أبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أُرَيكانِ الأسْوَدُ والأبيض ، ولا أدري بأيّهما كانت الوَقعةُ . قال أبو عبيدة وقال آخرون : إنّ سَلْمى امرأةَ سِنانٍ التي أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بني أَسَدٍ . قال : فإنّما غزا الأسودُ بني أَسَدٍ لدفع الأَسَدِيّة سَلْمى ابنَه إلى الحارث ، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعاً وسبى واستاق[3] أموالهم . وفي ذلك يقول [الأعشى ميمون] : [من الخفيف]

وشُيوخٍ صَرْعى بشَطَّيْ أُرِيكٍ ... ونساءٍ كأنَّهنّ السَّعالي

1 المعلوب : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهراً .

2 النقب : الطريق ، أو الطريق الضيق في الجبل .

3 في ل : واستخفّ .

من نَواصِي دُودانَ إذ نقضوا العهـ ـدَ وذُبْيـانَ والهِجـانِ الغَوالِي
رُبَّ رَفْـدٍ هَرَقْتَـه ذلك اليـو مَ وأَسْرى مـن مَعْشَرٍ أَقْتالِ[1]
هـؤلاَ ثـمّ هـؤلاَ كُلاً احْذَيْـ ـتَ نِعـالاً مَحْـذُوّةً بمِثـالِ
وأرى مَن عصاكَ أصبح مخـذو لاً وكَعْـبُ الذي يُطيعك عالِي

[وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب]

قال : ووجِد نعل شُرحبيل عند أُضاخٍ . وهو من الشَّرَبَّةِ في بني محارب بن خَصَفَةَ بن قَيس عَيلان . قال : فأحمى لهم الأسودُ الصَّفا التي بصحراء أُضاخٍ وقال لهم : إنّي أُحذِيكم نِعالاً ، فأمشاهم على الصَّفا المُحْمى فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدِيُّ رجلاً من بني مُحارِبٍ فأُقِيد به جوشنٌ بالمدينة . وكان الكنديُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ ، فهجا بني مُحاربٍ فعيّرهم بتحريق الأسْوَدِ أقدامَهم فقال : [من الطويل]

على عَهْـدِ كِسْرى نَعَّلَتكم ملوكُنا صَفاً مـن أُضاخٍ حامِياً يَتَلهّبُ

قال أبو عبيدة : وصار ذلك مثلاً يتوعّد به الشعراء مَن هَجَوْه ويحذّرونهم مثلَ ذلك . ومن ذلك أنّ ابن عَتّابٍ الكلبيّ ورَد على بني النوس من جَدِيلة طيّىء ، فسرَقوا سهاماً له ؛ فقال يحذّرهم : [من الطويل]

بنى النوس رُدُّوا أَسْهُمِي إنّ أَسهُمِي كنَعْلِ شُرَحْبِيلَ التي في مُحارِبِ

وقال في الجاهليّة ابنُ أُمِّ كَهْف الطائيُّ في مَدحِهِ لمالك بن حِمارٍ الشَّمْخيّ ، فذكر نعل شُرَحْبِيلَ فقال : [من الوافر]

ومولاكَ الذي قتل ابنَ سَلْمى عَلانِيـةً شُرَحْبِيلَ ابـنِ نَعْلِ

لأنّه لولا النعل لم يُعْرَف ، وإنّما عُرِف بما صنع أبوه ببني مُحارِبٍ من أجل نعله التي وُجِدت في بني مُحارِبٍ .

[أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة]

قال أبو عُبيدة : وأخذ الأسودُ سِنانَ بنَ أبي حارثة ؛ فأتاه الحارثُ بن سَفيان أحدُ بني الصاردِ ، وهو الحارثُ بن سفيان بن مرّة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سيّار بن عمرو بن جابر الفَزاريُّ لأمّه ، فاعتذر إلى الأسودِ أن يكون سِنانُ بن أبي حارثة علِم أو اطَّلع ، ولقد كان أَطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفان ، وقال : عليَّ دِيَةُ ابنِك أَلفُ بَعِيرٍ دِيَةُ الملوك ؛ فحمَّلها إيّاه وخلّى عن سِنانٍ ؛ فأدّى إلى الأسْوِدِ منها ثمانمائةِ بعيرٍ ثم مات . فقال سيّار بن عمرو

1 الرفد : القدح الضخم . والأقتال : جمع قِتل وهو العدوّ ، والشبيه في القتال .

أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بَقِي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهَنه سَيّارٌ قَوسَه ، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُرادُ بن حَنَشٍ الصارِديُّ بني فَزارة جَعَل الحَمالةَ كلَّها لسَيَّار بن عمرو فقال : [من الطويل]

ونحن رَهَنَّا القَوْسَ ثُمَّتَ فُودِيتَ ... بأَلْفٍ على ظَهْرِ الفَزارِيِّ أَقْرَعا[1]

بعَشْرِ مِئِينٍ للملوكِ سَعى بها ... لِيُوفِيَ سَيَّارُ بن عمرٍو فأَسْرَعا

رَمَيْنا صَفاهُ بالمِئِينَ فأصبحتْ ... ثَناياه للساعين في المَجْدِ مَهْيَعا[2]

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعْنَبٍ ، فردّ عليه قُرادٌ فقال : [من البسيط]

ما كان تَغْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ... ولا الفَزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانِ[3]

لكن تَضَمَّنها أَلْفاً فأخرجها ... على تكالِيفها حارُ بنُ سُفْيانِ[4]

وقال عُوَيْفُ القَوافي بن عُيينة بن حصنٍ بن حُذيفة بن بَدْرٍ في الإسلام يفخَر على أبي منظور الوَبَريّ حين هاجاه أحد بني وَبْرِ بن كِلابٍ : [من الرجز]

فهل وجدتم حاملاً كَحاملي ... إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كاملِ

بدِيَةِ ابنِ الملكِ الحُلاحِلِ ... فافتكّها من قبلِ عامٍ قابلِ

سَيّارٌ المُوفي بها ذو السائلِ

[لحوق الحارث ببني دارم]

قال أبو عبيدة : فلمّا قتل الحارث شُرحبيل لحِق ببني دارمٍ فلجأ إلى بني ضَمْرةَ . قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة فأجاره ، فجرّ جُواره يوم رَحْرَحانَ ، وجرّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرته[5] فلمّا بلَغه نزولُه ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسْلِموه فأَبَوْا . فقال يَمُنّ على بني قَطَنِ بن نَهْشَلِ بن دارمٍ بما كان من النُّعمان بن المُنْذِرِ في أَمر بني رشيّة وهي رُمَيْلةُ حين طلبهم من لَقِيطِ بن زُرارةَ حتى استنقذهم . ورشيّة أَمَةٌ كانت لزُرارة بن عُدُسِ بن زيدٍ المُجاشِعِيّ ، فوَطِئها رجلٌ من بني نَهْشَلٍ فأولدها ؛ وكان زُرارةُ يأتي بني نهشلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التي ولَدتْ ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلةَ والرَّبابَ بن رُمَيْلةَ وغيرَهما ،

1 بألف أقرع أي تام .
2 الثنايا : جمع ثنية وهي طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح .
3 ذو عاج : واد في بلاد قيس . الجُوفان : أير الحمار .
4 يريد حارث بن سفيان .
5 الخفرة : الذمة .

وكانوا يُسْمِعونه ما يكره ، فيرجع إلى ولده فيقول : أَسْمَعني بنو عمّي خيراً وقالوا : سنبعَث بهم إليك عاجلاً ، حتى مات زُرارَةُ . فقام لَقِيطٌ ابنه بأمرهم ؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كرِه ، ووقع بينهم شرٌّ ، فذهب النهشليّ إلى الملك فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! لا تَصِلُني وتَصِلُ قومي بأفضلَ من طِلْبَتِكَ إلى لَقِيطِ الغِلْمةَ لِيَكُفَّ عنّي . فدعاه فشرِب معه ، ثم استوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأَسْوَدُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

كأَيِّنْ لنا من نِعْمَةٍ في رِقابكم ... بني قَطَنٍ فضلاً عليكم وأَنْعُما
وكَمْ مِنَّةٍ كانتْ لنا في بُيوتكم ... وقَتْلِ كَرِيم لم تَعُدُّوه مغرَما
فإنّكمُ لا تمنَعون ابنَ ظالمٍ ... ولم يمس بالأَيدِي الوَشِيجَ المُقَوَّما[1]

فأجابه ضَمرة بن ضَمرةَ فقال : [من الطويل]

سَنَمْنَع جاراً عائذاً في بيوتكم ... بأسيافنا حتى يؤوبَ مُسَلَّما
إذا ما دَعَوْنا دارِماً حالَ دونَه ... عَوابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّما[2]
ولو كنتَ حَرْباً ما وردتَ طُوَيْلِعاً ... ولا حَوْفَه إلاّ خَمِيساً عَرَمْرَما[3]
تركتَ بني ماء السماءِ وفِعْلَهم ... وأشبهتَ تَيْساً بالحِجازِ مُزَنَّما[4]
ولن أذْكُرَ النُّعْمانَ إلاّ بصالحٍ ... فإنّ له فضلاً علينا وأَنْعُما[5]

قال : وبلغَ ذلك بني عامر ، فخرج الأحوصُ غازياً لبني دارِم طالباً بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطَوَوْا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتَقَوْا برَحْرَحانَ ، فهُزِمتْ بنو دارمٍ ، وأُسِرَ مَعْبَدُ بن زُرارَة ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثُه في يوم رحرحان يأتي بعدُ .

[أسر بني قيس وبني هزان للحارث]

ثم أَسَر بنو هِزَّانَ الحارثَ بنَ ظالم . وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقَط في ناحية من بلاد ربيعة ، ووضَع سِلاحَه وهو في فَلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام ، فمرّ به نَفَرٌ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بني هِزَّانَ من عَنَزةَ وهو نائمٌ ،

1 الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه .
2 الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم . والمعجم : المعضوض .
3 حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدو المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .
4 المزنم من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز ، والمزنم أيضاً : الذي تقطع أذنه وتترك له زنمة .
5 رواية الشطر الثاني من البيت في اللسان (مادة زنم) : فإنّ له عندي يدياً وأنعما .

فأخذوا فرسَه وسلاحَه ثم أُوثقوه ، فانتبه وقد شدّوه فلا يَملِك من نفسه شيئاً . فسألوه مَن أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم مَن هو فلم يفعل . فاشتراه القيسيّون من الهِزّانيّين بزِقٍّ خمرٍ وشاة ، ويقال : اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق[1] بَكْرةٍ وعشرين من الشاء ، ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : مَنْ أنت ؟ وما حالُك ؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال : وهو قريبٌ من اليمامة . قال : فبينما هُمْ على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مَرَّةً وتَهَدُّداً أخرى وليناً مَرّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى مَلُّوه ، فتركوه في قَيْده حتى انفلت ليلاً ، فتوجّه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه ، فلقِي غِلْمةً يلعبون ، فنظر إلى غلامٍ منهم أخْلَقُهم للخير عنده فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن أَبْجَرَ العِجْليّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأُمّه امرأةُ قَتادة بن مَسلَمة الحنفيَّ . فأتاه وأخذ بِحَقْوَيْه والتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إنّ عِجْلاً أجارتْه في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأَخبره وأجاره وقال : ائتِ عمّك قَتادةَ بن مَسلمةَ الحنفيَّ فأَخبِرْه ؛ فأتى قتادةَ فأَخبره فأَجاره .

قال أَبو عبيدة : وأمّا فِراسٌ[2] فزعم أنّه أَفلت من بني قَيْس فأقبل شَدّاً حتى أتى اليمامة ، واتّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حَنِيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ . فلمّا رأوه يَهوي نحوَهم قال : إنّ هذا لخائفٌ ، وبَصُر بالقوم خَلْفَه فصاح به : الحِصْنَ الحِصن ! فأقبل حتى ولَج الحِصْنَ . وجاءت بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأسلمتُه إليكم ، فأمّا إذْ تحرَّم بي فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرُنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لكَ بجارٍ ولا تعرِفه ، وإنما أَتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومُك وجيرتُك . قال : أمّا أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منّي : إن شئتم فانظُروا ما اشتريتموه به فخذوه منّي ، وإن شئتم أعطيتُه سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرسٍ ودَعُوه حتى يقطعَ الواديَ بيني وبينه ثم دُونَكُموه . فقالوا : رَضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سِلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : إنْ أفلتَّهم فرُدَّ إليّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الواديَ ، ثم اتّبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بني قُشَيرٍ ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يومٍ . فلمّا صار إلى بلاد بني قُشَير يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرَفه بنو قُشَير فانطَوَوْا عليه وأَكرموه . ورَدّ إلى قَتادة بن مَسْلَمة فرسَه وأَرسل إليه بمائة من الإبل ، لا أدري أأعطاه إيّاها بنو قُشَير من أَموالهم ليكافىءَ بها قَتادةَ أم كانت له ، لم يُفَسِّر أَبو عُبَيدة أمرَها ولا سألتُه عنها .

1 أغلاق الرهن : إيجابه للرهن إذا لم يفك .

2 فراس هنا : أبو المختار فراس بن خندق القيسي .

فقال الحارثُ بن ظالم في ابنَيْ حُلاكةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسيِّين وفيما كان من أمره .
قال أبو عبيدة : ويقال أسره راعيانِ من بني هِزّانَ يقال لهما ابنا حُلاكةَ : [من البسيط]

أَبْلِغْ لديكَ بنـي قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً ... أنّي أُقَسَّمُ في هِـزّانَ أرباعا
ابنـا حُلاكـةَ باعاني بلا ثَمَنٍ ... وبـاع ذو آل هِزانٍ بما باعا
يابْنَيْ حُلاكةَ لمّا تأخُذا ثمني ... حتّـى أُقَسَّمَ أفراساً وأدراعا
قَتـادةُ الخَيْرُ نالتنـي حَذيَّته ... وكان قِدْماً إلى الخيراتِ طَلاّعا[1]

وقال في ذلك أيضاً : [من الكامل]

هَمَّتْ عُكابةُ أن تَضيمَ لجيما ... فأبتْ لُجَيْمَ مـا تقول عُكابَهْ[2]
فاسْقِي بُجَيْراً من رَحيقٍ مُدامَةٍ ... واسْقِي الخفيرَ وطَهِّري أثوابَهْ
جاءَتْ حَنيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ ... كُلاًّ وَجَدْنـا أَوْفِيـاءَ ذُؤابَهْ

[مروره برجل من بني أسد]

وزعم أبو عبيدة أنّ الحارثَ لمّا هُزِمتْ بنو تميمٍ يوم رَحْرَحانَ مرَّ برجلٍ من بني أَسَدِ بن خُزَيمة ؛ فقال : يا حارِ إنّك مشئومٌ وقد فعلتَ ما فعلت ، فانظُرْ إذا كنتَ بمكان كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لِي به جملاً أحمرَ فلا تَعْرِضْ له . وإنّما يعرِّض له ويكرَه أن يصرِّح فيبلُغَ الأسْوَدَ فيأخذَه . فلمّا كان الحارث بذلك المكان أخذ الجملَ فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايَرُ من أمامه ولا يُسْبَقُ من ورائه . فبلغ ذلك الأسودَ ، فأخذ الأسودُ الأَسَدِيَّ وناساً من قومه . وبلغ ذلك الحارث بن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلاّ يتّهمهم الأسود : [من الوافر]

أرانِـي اللهُ بالنَّعَـمِ المُندَّى ... بِبُرْقـةِ رَحْرَحانَ وقـد أراني[3]
لِحَـيٍّ الأنكدِينَ وحَـيِّ عَبْسٍ ... وحَـيٍّ نَعامَـةٍ وبني غُدانِ

[لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش]

قال : فلمّا بلغ قوله الأسودَ خلَّى عنهم . ولحِق الحارثُ بمكّة وانتمى إلى قريش ؛ وذلك قولُه : [من الوافر]

---

1 الحذية : العطية .
2 لُجَيْم : اسم القبيلة .
3 المندّى في ل : المبدّى ، وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلاً ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردّها إلى الماء . وأبديت الإبل : إذا أبرزتها إلى موضع الكلأ .

وما قَوْمِي بثَعْلَبةَ بنِ سَعْدٍ ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا[1]
وقَوْمِي إنْ سألتِ بنو لُؤَيٍّ بمكّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضِّرابا

قال : فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحِيُّ على ناقة ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

وهَشَّ رَواحةُ الجُمَحِيُّ رَحْلِي بناجيةٍ ولم يَطْلُبْ ثَوابا
كأنّ الرَّحْلَ والأنساعَ منها ومِيثَرتِي كُسِينَ أَقَبَّ جابا[2]

[لحق الحارث بالشام بملك من الغساسنة]

يروى «حَشَّ» و«هَشَّ» وهما لغتان . وحَشَّ سَوَّى . قال : فلحِق الحارثُ بالشام بملك من ملوك غسّان ، يقال [ هو] النُّعمان ، ويقال بل هو يزيد بن عَمرو الغسّانيّ ، فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحْماةٌ في عُنقها مُدْيةٌ وزِنادٌ وصُرَّةُ مِلح ، وإنما يختبر[3] بذلك رعيّته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان ، فوَحِمَتْ إحدى امرأتيه ، قال أبو عبيدة : وأصابت الناس سنةٌ شديدةٌ ، فطلبت الشَّحْمَ إليه . قال : ويحكِ ! وأنَّى لي بالشحم والوَدَكِ ؛ فألحّت عليه ؛ فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلَبَّ في سَبَلتها[4] (أي طعن)[5] . فأكلتِ امرأتُه ورفعتْ ما بقي من الشحم في عُكّتها . قال : وفُقِدَت الناقة فوُجِدتْ نَحِيراً لم يُؤخَذْ منها إلاّ السَّنام ، فأعلموا ذلك الملكَ ، وخفي عليهم مَن فعله . فأرسلَ إلى الخِمْس التَّغلبيّ ، وكان كاهناً ، فقال : مَن نحر الناقة ؟ فذكر أن الحارث نحرها . فتذمَّم[6] الملك وكذّب عنه . فقال : إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فدُسَّ امرأةً تطلب إلى امرأتِه شحماً ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلمّا فُقِدت المرأة قال الخِمْسُ : غالَها ما غالَ الناقة[7] ، فإنْ كرِه الملك أن يفتّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِث بيتُه ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارثُ فقتله ؛ فأُخِذ الحارثُ فحُبِس . فاستسقى ماء

---

1 الشُّعر : جمع أشعر .
2 الأنساع : جمع نِسع وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر : والجاب والجأب : القوي الغليظ .
3 ل : يبور .
4 سبلة البعير : ثغرة نحره .
5 يقال لب البعير إذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره .
6 تذمم : استنكف .
7 أي غال المرأة من غال الناقة ، وهي تضرب في تحري بيان الحقيقة ومعرفة خفاياها ، ورد في تمثال الأمثال للعبدري الشيبي 481/23 نقلاً عن الأغاني .

فأتاه رجلٌ بماء فقال : أتشرَبُ ؟ فأنشأ الحارث يقول : [من الطويل]

لقــد قــال لي عند المَجاهِدِ صاحبي وقد حِيلَ دون العَيْشِ هل أنت شاربُ[1]
وَدِدْتُ بأطــرافِ البَنــانِ لَوَ آنَّني بذي أُرْوَنَــى تَرْمِي ورائــي الثَّعالِبُ

الثعالب : من مُرّةَ وهم رُماةٌ . أُرْوَنى : مكانٌ . وقال مَرّةً أخرى : الثعالب بنو ثعلبة . يقول : كانوا يرمون عنّي ويقومون بأمري . قال : فأمر الملك بقتله . فقال : إنّك قد أجرتني فلا تَغْدِرْني . فقال : لا ضيرَ ؛ إن غَدَرْتُ بِكَ مرّة فقد غدرت بي مِراراً[2] . فأمر مالِكَ بن الخِمْسِ التغلبيّ أن يقتله بأبيه . فقال : يا ابنَ شَرِّ الأظماء أنت تقتلني ! فقتله . وقال ابن الكلبيّ : لمّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتلَه قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْس . قال : أنت ابنُ شَرِّ الأظماء . قال : وأنت ابنُ شرِّ الأسماء ؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضريّ ، وهم حَيٌّ من جُرْهُم ، يرثي الحارثَ بن ظالمٍ : [من الرجز]

يــا حــارِ جِنِّيّــا حُــرّاً قُطامِيّــا[3]
مــا كنـت تَرْعِيّا في البيت ضِجْعِيّا[4]
أدْعــى لُباخِيّــا مُمَــلأً عِيّــا[5]

وأخذ ابن الخِمْس سيفَ الحارثِ بن ظالم المعلوبَ ، فأتى به سُوقَ عُكاظ في الحَرَم ، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول : هذا سيفُ الحارث بن ظالم . فاسْتَرْآه[6] إيّاه قيسُ بن زُهير بن جَذِيمة فأراه إيّاه ، فعلاه به حتى قتله في الحَرَم . فقال قيس بن زهير[7] يرثي الحارثَ بن ظالم : [من الطويل]

مــا قَصَرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها أَبَرَّ وأَوفى منـك حـار بنَ ظالمِ[8]
أعَـزَّ وأَحْمـى عنـد جـارٍ وذِمَّةٍ وأضْرَبَ في كابِ من النَّقْعِ قاتِمِ

---

1 المجاهد : الشدائد .
2 مثل .
3 حنياً : لعله منسوب إلى الحنّ وهو حي أو ضرب من الجن . والقطامي : الصقر .
4 الترعي والتِرعية : الذي يجيد رعية الإبل . والضجعي : الذي يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .
5 لباخي : ضخم كثير اللحم .
6 استرآه إيّاه : طلب إليه أن يريه إيّاه .
7 ل : قيس بن زحل .
8 قصر الستر : أرخاه .

هذه رواية أبي عُبيدة والبَصْرِيّين . وأمّا الكوفيّون فإنّهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذي قتله . أُخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أُبو سعيد عن محمد بن حَبِيب عن ابن الأَعرابيّ عن المُفَضَّل قال : لمّا هرب الحارثُ إلى مكة أسِف النُّعمانُ بن المنذر على فَوْته إيّاه ، فلَطُفَ له وراسلَه وأَعطاه الأمانَ ، وأَشهد على نفسه وجوهَ العرب من ربيعة ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبه بذَحْلٍ ولا يسوءه في حال ، وأرسل به مع جماعة لِيَسْكُن الحارث إليهم ، وأمرهم أن يتكلّفوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنّه لا يهيجه ، ففعلوا ذلك . وسكَنَ إليه الحارث ، فأتى النعمانَ وهو في قصر بني مُقاتِل ، فقال للحاجب : استأذِن لِي ، والنّاسُ يومئذٍ عند النُّعمان متوافرون ، فاستأذن له ، فقال النُّعمان : ائذَنْ له وخُذْ سيفَه . فقال له : ضَعْ سيفَك وادخُلْ . فقال الحارث : ولِمَ أُضَعه ؟ قال : ضَعْه ، فلا بأس عليك . فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمان . فلمّا دخل قال : انْعَمْ صباحاً أَبَيْتَ اللَّعْن . قال : لا أنعمَ الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النُّعمان : كتابي والله ما أُنكره ، أَنا كتبتُه لك ، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضَير أن غَدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : مَن يقتل هذا ؟ فقام ابن الخِمْسِ التغلبيّ ، وكان الحارث فتَك بأبيه ، فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصّته مع ابن الخِمس [مثل] ما ذكر أبو عبيدة .

# [ 181 ] ـ خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنّما ذُكِر هاهنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر ، ولأنّ فيما تَناقَضاه من الأشعار أغانِيَ صالحٌ ذِكرُها في هذا الموضع .

[غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً]

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز ، ولمّا بلغه قتلُ الحارث بن ظالمٍ خالدَ بن جعفرٍ ، وكان خالدٌ مصافياً له ، غَضِب لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لَقِي الحارثُ خالداً وهو يَقظان لَما نظر إليه ، ولكنّه قتَله نائماً ، ولو أتاني لعرف قَدرَه ؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقِيانِه ، فَتَغَنَّينَ له : [من الخفيف]

عَلِّلاني وعَلِّلا صاحِبيَّا … واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا[1]

إنّ فينا القِيانَ يَعزِفْنَ بالدُّ … فِّ لِفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا

يَتَبارَيْنَ في النَّعيمِ ويَصْبُبْـ … ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيّا

إنّما هَمُّهنّ أنْ يَتحَلَّيْـ … ـنَ سُموطاً وسُنْبلاً فارِسيّا

من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ … رِ فأُحْسِنْ بحَلْيِهنّ حُلِيّا

وفتًى يَضرِب الكتيبةَ بالسَّيْـ … ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا

إنّنا لا نُسَرُّ في غير نَجْدٍ … إنّ فِينا بها فتًى خَزْرَجيّا

يدفَع الضَّيْمَ والظُّلامةَ عنها … فَتَجافي عنه لنا يا مَنِيّا

أَبْلِغ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعْـ … ـدِيدَ والناذرَ النُّذُور عَلَيّا

أنّما يَقتُل النِّيامَ ولا يقـ … ـتُل يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا

ومَعِي شِكّتي مَعابِلُ كالجَمْـ … ـرِ وأعددتُ صارماً مَشْرَفِيّا[2]

لو هبطتَ البلادَ أُنْسِيتُك القتـ … ـلَ كما يُنْسِيء النَّسيءُ النَّسِيّا

[مسير الحارث إلى عمرو وانخذال عمرو عنه]

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعرُه هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بني الخَزرج ،

---

1 المروّق : المصفى .

2 الشكة : السلاح . والمعابل جمع مِعبلة وهي نصل طويل عريض .

ثم دنا من قُبّة عَمْرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيُّها الملك أغِثْني فإنّي جارٌ مكثورٌ[1] وخُذْ سِلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برزَ له عطَف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو لَيْلى ! فاعتركا مَلِيّاً من اللّيل . وخشِي عمرٌو أن يقتلَه الحارثُ فقال له : يا حارِ ، إنّي شيخٌ كبيرٌ وإنّي تعتريني سِنَةٌ ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ؛ ومَن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمروٌ الرُّمْحَ من يده وقال : يا حارِ ألم أُخبِرك أنّ النُّعاسَ قد يغلِبني ؛ قد سقَط رمحي فاكْفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظِرْني إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدَعْني آخُذْ رُمْحِي . قال : خُذْه . قال : أخشى أن تُعْجِلَني عنه أو تفتِكَ بي إذا أردتُ أخْذَه . قال : وذِمّةِ ظالمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذه . قال : وذِمّةِ الإطنابةِ لا آخذُه ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له : [من الخفيف]

اعْزِفا لِي بلَذّةٍ قَيْنَتيّا قبلَ أن يُبْكِرَ المنونُ عَلَيّا
قبلَ أن يُنْكِرَ العواذلُ إنّي كنتُ قِدْماً لأَمْرِهِنّ عَصِيّا
ما أُبالي أراشداً فاصبَحاني حَسِبتْني عَواذِلي أم غَوِيّا
بعدَ ألاّ أُصِرَّ للهِ إثما في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا
من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْيٍ في زُجاجٍ تخالُه رازِقِيّا
بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا
قد هَمَمْنا بقتلِهِ إذ بَرَزْنا ولَقِيناهُ ذا سِلاحٍ كَمِيّا
غيرَ ما نائمٍ تعلَّلَ بالحُلْـ ـمِ مُعِدّاً بكفِّه مَشْرَفِيّا
فَمَنَنّا عليه بعد عُلُوٍّ بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وَفِيّا
ورجعنا بالصَّفْحِ عنه وكان الـ ـمَنُّ منّا عليه بعدُ تَلِيّا

## نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعر عمرو والحارث]

منها في شعر عمرو بن الإطنابة : [من الخفيف]

### صوت

عَلِّلاني وعَلِّلا صاحِبَيّا واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا

1 مكثور : غلبه أعداؤه بكثرتهم .

إنّ فينـا القِيـانَ يعزِفن بالدَّ فّ لِفِتْياننـا وعيشاً رَخِيّـا

غنّته عَزّة المَيْلاءِ من رواية حمّاد عن أبيه خفيف رملٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرني أبي قال بلغني أنّ معبداً قال : دخلتُ على جَميلةَ وعندها عَزَّةُ الميلاءِ تغنّيها لحنَها في شِعر عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ :

علّلاني وعلّـلا صاحبيّا

على مِعزَفةٍ[1] لها وقد أسَنّت ، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني ، فقلت : هذا وهي كبيرة مُسِنّةٌ ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابّة ؟ وجعلتُ أعجَب منها .

ومنها في شعر الحارث بن ظالم : [من الخفيف]

**صوت**

ما أُبالي إذا اصطبحتُ ثلاثاً أرشيـداً حَسِبْتَنـي أم غَوِيّـا

من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْـيٍ في زُجـاجٍ تخالُـهُ رازقِيّا[2]

غنّاه فُلَيْح بن أبي العَوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن محرِزٍ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَشٍ .

ومنها : [من الخفيف]

**صوت**

بلغتْنا مقالةُ المـرء عمرٍو فأنِفْنـا وكان ذاك بَديّا

قـد هممنا بقتله إذ بَرَزْنا ولَقِينـاه ذا سَلاحٍ كَمِيّا

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش ، وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب ، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جَنّسها .

1 المعزفة : آلة العزف .

2 الرازقي : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب .

# 182 ـ [خبر يوم رحرحان]

## ونذكر هاهنا خبر رَحْرَحانَ ويومَ قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَهما

[يوم رحرحان الثاني والسبب فيه]

أُخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبي عُبيدة قال: كان من خبر رَحرَحان[1] الثاني أنّ الحارث بن ظالمٍ المُرّيَّ لمّا قتل خالدَ بن جعفر بن كِلابٍ غَدْراً عند النُّعمان بن المنذر بالحِيرَة هرَب فأتى زُرارةَ بن عُدُسٍ فكان عنده، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه، وكرِه أن يكون لقومه زَعْمٌ عليه و ـ الزعم المِنّة ـ فلم يَزَلْ في بني تميمٍ عند زُرارة حتى لحِق بقُريش. وكان يقال: إنّ مُرّة بن عوفٍ من لُؤَيٍّ بن غالبٍ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش: [من الوافر]

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ ... وبَيَّنْتُ الشَّمائلَ والقِبابا
فما قَوْمِي بثَعْلبةَ بنِ سَعْدٍ ... ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

وأتاهم لذلك النَّسَب، فكان عند عبد الله بن جُدعان. فخرجتْ بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرارة وعليهم الأحوص بن جعفر، فأصابوا امرأةً من بني تميمٍ وجدوها تَحتَطِب، وكان [في] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شُرَيح بن الأحوص، وأصابوا غِلماناً يجتنون الكَمْأة. وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غَنِيٍّ، فأرادت بنو عامر أخْذَها منه، فقال الأحوص: لا تأخذوا أُخيذةَ خالي. وكانت أُمُّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبِيّة بنتَ رِياح [الغَنوِيّ] وهي إحدى المُنْجِبات. ويقال: أتى شُرَيحُ بن الأحوص بتلك المرأة [إليه]، فسألها عن بني تميمٍ، فأخبرتهم أنّهم لَحِقوا [بقومهم] حين بلَغهم مجيئكم. فدفَعها الأحوصُ إلى الغنويّ فقال: اعْفِجْها[2] الليلة واحْذر أن تنفلت. فوَطِئها الغنويُّ ثم نام، فذهبتْ على وجهها. فلمّا أصبح دَعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ. فسألوه عنها فقال: هذا حِرِي رَطْباً من زُبِّها. وكانت المرأة يقال لها حنظلة، وهي بنت أخي زُرارة بن عُدُسٍ. فأتتْ قومَها، فسألها عمُّها زُرارة عمّا رأت، فلم تستطع أن تَنطِق. فقال بعضهم: اسقُوها ماءً حارّاً فإنّ قلبها قد بَرَد

1 يوم رحرحان الأول كان بين دارم وعامر بن صعصعة.
2 العفج: الجماع.

من الفَرَق ، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت . فقالت : يا عَمِّ ! أخذني القوم أَمْسِ وهم فيما أرى يُريدونكم ، فاحْذَر أنت وقومُك . فقال : لا بأس عليكِ يا بنت أخي ، فلا تَذْعَرِي قومَك ولا تَرُوعِيهم ، وأَخْبِريني ما هيئةُ [القوم وما] نَعْتُهم . قالت : أخذني قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال زرارة : أولئك بنو عامر ، فمَن رأيتِ فيهم ؟ قالت : رأيتُ رجلاً قد سقَط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه ، صغيرَ العينين ، عن أمره يَصْدُرون . قال : ذاك الأحوص بن جعفر . قالت : ورأيتُ رجلاً قليل المنطِق ، إذا تكلَّم اجتمع القوم لِمَنْطِقِه كما تجتمع الإبلُ لِفَحلها ، وهو من أحسن الناسِ وجهاً ، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبداً إلاّ وهما يَتبعانه ، ولا يُقبِل إلاّ وهما بين يديه . قال : ذلك مالكُ بن جعفر ، وابناه عامرٌ وطُفَيلٌ . قالت : ورأيتُ رجلاً أبيضَ هِلْقامةً جَسيماً ، والهلقامة الأفوه . قال : ذلك ربيعةُ بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاب . [قالت : ورأيتُ رجلاً أَسْوَدَ أخنَسَ قصيراً ، إذا تكلَّم عَذَمَ[1] القوم عَذْمَ المنخوسِ . قال : ذلك ربيعة بن قُرْطِ بن عبد بن أبي بكر بن كلابٍ] . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثير شَعَرِ السَّبَلةِ ، يسيل لُعابُه على لِحيته إذا تكلَّم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البَكّاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغير العينين ، ضيِّق الجَبْهة طويلاً ، يقود فرساً له ، معه جَفيرٌ لا يُجاوزُ يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنان له حَسَنا الوجهِ أصهبانِ ، إذا أقبلا نظر القومُ إليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بن نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلابٍ ، وابناه يزيدُ وزُرْعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَين أَحمَرَين جَسِيمَين ذَوَي غدائر لا يَفْتَرِقان في مَمْشًى ولا مجلس ، فإذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلِسا . قال : ذانك خُوَيلدٌ وخالد ابنا نُفَيلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جسيماً كأنّ رأسه مَجَزُّ غَضْوَرةٍ ، والغضورةُ : حشيشٌ دُقاقٌ خشِنٌ قائم يكون بمكّة . تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنّه حشيشٌ قد جُزّ . قال : ذلك عَوفُ بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخذَيْه حَلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيح بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنّه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدة . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ ، صَخّاباً لا يَدَعُ طائفةً من القوم إلاّ أصخبها] . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[أسر معبد بن زرارة ومقتله]

فسارتْ بنو عامر نحوَهم ، والتقوا برحرحان ، وأُسِر يومئذٍ معبدُ بن زُرارة ، أسَره

---

1 العذم : العض ، وهنا يريد اللوم .

عامرُ بن مالكٍ ، واشترك في أُسْرِه طُفَيْل بن مالك ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أبو عُمَيلة وهو عِصمة بن وَهْبٍ وكان أخا طُفَيْل بن مالك من الرَّضاعة . وكان معبدُ بن زُرارة [رجلاً كثير المال . فوفَد لَقِيـط بن زرارة] على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأصَمَّ ؛ لأنّهم كانوا لا يَتنادون فيه يا لَفُلانٍ ويا لفلانٍ ، ولا يتغازَوْنَ ولا يَتنادَون فيه بالشِّعارات[1] ، وهو أيضاً مُنْصلُ الألِّ . والألُّ : الأسِنَّةُ ، كانوا إذا دخل رَجَبٌ أنصلوا[2] الأسِنّة من الرِّماح حتى يخرج الشهر . وسأل لقيطٌ عامراً أن يُطلِق أخاه . فقال : أمّا حِصَّتي فقد وهبتُها لك ، ولكن أرْضِ أخي وحَلِيفي اللذَيْن اشتركا فيه . فجعل لَقيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرَضِيا وأتيا عامراً فأخبراه . فقال عامرٌ للقيطٍ : دونَك أخاك ، فأطلق عنه . فلمّا أُطلِقَ فكَّر لقيطٌ في نفسه فقال : أعطيهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك ؛ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنّ أبي زُرارة نهاني أن أزيد على مائةٍ دِيةَ مُضَر ، فإنْ أنتم رضيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا في ذلك ؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له معبدٌ : مالي يُخرِجني من أيديهم . فأبى ذلك عليه فقال : إذاً يقتسم العربُ بني زرارة . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر ! أنشُدُك اللهَ لمّا خَلَّيْتَ سبيلي ، فإنّما يريد ابن الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالي ، ولم تكن أُمُّه أُمَّ لقيط . فقال له عامر : أبعدك الله ؛ إنْ لم يُشْفِق عليك أخوك فأنا أحَقُّ ألاَّ أُشْفِقَ عليك . فعمَدوا إلى مَعبد فشَدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يَزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيح بن الأحوص : [من المتقارب]

لَقِيـطُ وأنت امـرؤٌ ماجدٌ ... ولكـنّ حِلْمَـكَ لا يَهْتَدِي
ولَمّـا أُمِنْـتَ وساغ الشَّرا ... بُ واحتلّ بيتُـك في ثَهْمَدِ[3]
رفعتَ برِجْلَيْكَ فـوق الفِرا ... شِ تُهْدِي القصائدَ في مَعْبَدِ
وأسلمتَه عنـد جِـدِّ القِتالِ ... وتبخَـلُ بالمالِ أن تَفْتَدِي

[شعر لعوف بن عطية يعيّر لقيطاً]

وقال في ذلك عوف بن عطيّة بن الخَرِع التَّيميُّ يعيِّر لقيط بن زرارة : [من الكامل]

هَلاَّ فوارِسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم ... عُشَراً تَناوَحُ في سَرارةِ وادِ[4]

---

1 أشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي ينادون به في الحرب .

2 أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

3 ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنيّ .

4 العُشَر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه وهي أفضل موضع فيه .

لا تأكلُ الإبِـلُ الغِراثُ نَباتَه     مـا إن يقـومُ عِمادُه بعِمادِ[1]
هَلاَّ كَرَرْتَ على أُخيِّك مَعْبَدٍ     والعامـريُّ يقـودُه بصِفادِ
وذكرتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً     والخيلُ تعـدو بالصُّفاحِ بَدادِ

بَدادِ : متفرّقة . والصُّفاحُ : موضع . والمحلَّق : موسومة بحَلَقٍ على وجوهها . يقول ذكرتَ لبنها ، يعني إبلَه .

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه     بهجـانِ أُدْمٍ طـارف وتِلادِ
لكنْ تَرَكْتَـهُ في عَميقٍ قَعْرُها     جَـزَراً لخامعةٍ وطيرِ عَوادِ[2]
لو كنتَ مُستَحِياً لِعِرْضِكَ مَرَةً     قاتلـتَ أو لَفَدَيْـتَ بالأذوادِ[3]

وفيها يقول نابغة بني جعدة : [من البسيط]

هَلاّ سألتَ بيومَيْ رَحْرَحانَ وقد     ظَنّتْ هَـوازِنُ أنّ العِزّ قـد زالا

[مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان]

وفيها يقول مِقدامٌ أخو [بني] عُدُس بن زيدٍ في الإسلام ، وقتلتْ بنو طُهَيّة ابناً للقَعْقاعِ بن معبَدٍ ، فتَوادَوْا[4] فأخذتْ بنو طُهَيّة منهم الفَضْلَ : [من الطويل]

وأنتم بنـو مـاءِ السماء زعمتمُ     ومات أبوكم يـا بَني مَعْبَدٍ هُزْلا

وقال المُخَبَّلُ السَّعْدِيُّ يذكر مَعبداً : [من الطويل]

فإنْ تَـكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بِقرَّةٍ     فيومُـك فيهم بالمصيفةِ أَبْرَدُ
هم قَتَلُوا يـومَ المصيفةِ مالكاً     وشاط بأيديهـم لَقِيطٌ ومَعْبَدُ[5]

وفيها يقول عياض بن مَرْثَدِ بن أُسَيْدِ بن قُرَيْط بن لَبيدٍ في الإسلام : [من الطويل]

نحـن أَسَرْنـا مَعْبَداً يـوم مَعْبَدٍ     فما افْتُكَّ حتّى مات مِنْ شِدّةِ الأَسْرِ
ونحـن قتلنـا بالصَّفا بعد مَعْبَدٍ     أَخـاه بأطـرافِ الرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ

* * *

1 الغراث : الجياع .
2 الخامعة : الضبع ، لأنها تخمع إذا مشت .
3 مستحياً : مستبقياً . الذود : القطيع من الإبل من الإناث .
4 توادوا : دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر .
5 شاط : هلك .

# [ 183 ] ـ وهذا يوم شعب جبلة

[السبب في يوم جبلة]

قال أبو عبيدة : وأمّا يوم جبلـةَ ، وكان من عِظام أيّامِ العرب ؛ وكان عِظام أيّام العرب ثلاثةً : يومَ كُلابِ ربيعة ، ويوم جَبَلَةَ ، ويوم ذِي قارٍ . وكان الذي هاج يوم جَبَلَةَ أنّ بني عَبْسِ بن بَغِيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبْيان بن بغِيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا مُتَلَدِّدين[1] . فقـال الربيع بن زِياد العبسيُّ : أَما والله لأرمينَ العربَ بحَجَرها ، اقْصِدوا لبَني عامر ؛ فخرجَ حتى نزل مَضِيقاً من وادي بني عامر ثم قال : امكُثوا . فخرج ربيعٌ وعامر ابنا زيادٍ والحارثُ بن خُلَيْفٍ حتى نزلوا على ربيعةَ بن شَكَلٍ بن كَعْب بن الحَرِيش ، وكان العَقْدُ من بني عامر إلى [بني] كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة] . فقال ربيعة بن شَكَلٍ : يا بني عَبْسٍ ، شأْنكم جليلٌ ، وذَحْلُكم الذي يُطلبُ منكم عظيمٌ ، وأَنا أعلم والله أنّ هذه الحرب أعزُّ حربٍ حاربتْها العربُ قطُّ . ولا والله ما بُدٌّ من بني كلابٍ ، فأَمْهِلوني حتى أستطلعَ طِلْعَ قومي . فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاءوا بني كِلابٍ ، فلقيهم عَوف بن الأحوص فقال : يا قوم ، أَطِيعوني في هذا الطَّرَف من غَطَفان ، فاقتلُوهم[2] واغنَمُوهم لا تُفْلِح غَطَفان بعده أبداً . ووالله إنْ تَزيدون على أن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء . فأَبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم . فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ : أَظَلَّلْتَهُم ظِلَّك وأَطعمتَهم طعامَك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجرتَ القومَ . . فأنزلُوا القومَ وَسْطَهم بحبوحة دارهم .

وذكر بِشْرُ بن عبد الله بن حيّان الكِلابيُّ أنّ عَبْساً لمّا حاربتْ قومها أَتَوْا بني عامرٍ وأرادوا عبدَ الله بن جَعدة وابنَ الحَرِيش ليصيروا حلفاءَهم دون كِلابٍ ؛ فأَتى قيسُ بن زهير وأَقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتّى انتهيا إلى الأحوص [جالساً قدامَ بيتِه] . فقال قيسٌ للربيع : إنّه لا حِلْفَ ولا ثقةَ دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ . فتقدّم إليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من ورائِهِ فقال : هـذا مقامُ العائذِ بك ؛ قتلتم أبي فما أخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً ، وقد أتيتُك لِتُجيرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌ ممّا أُجير منه نفسي ، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائبٌ . فلمّا سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا مَعْشَرَ بني جعفر ،

1 التلدّد : التلفّت يميناً وشمالاً تحيّراً .

2 ل : فاقطعوهم .

أَطيعوني اليومَ واعْصُوني أبداً ، وإنْ كنتُ واللهِ فيكم مَعصيّاً . إنّهم واللهِ لو لَقُوا بني ذُبيان لَوَلَّوكم أطرافَ الأسنّة إذا نكهوا في أفواههم بكلامٍ . فابْدَءوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دماغه [ في ] دَمِه . فأَبَوْا عليه وحالفوهم . فقال : واللهِ لا أدخل في هذا الحِلِف ؛ قال : وسَمِعتْ بهم حيث قرّ قَرارُهم بنو ذُبيان ، فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيفة بن بَدْرٍ ومعه الحَليفانِ أَسَدٌ وذُبيان يطلبون بدم حذيفة ، وأقبل معهم شُرَحْبِيل بن أخضر بن الجَوْنِ ، والجَوْنُ هو معاوية ؛ سمّي بذلك لشدّة سواده ، ابن آكِلِ المُرار الكِندِيّ في جَمع من كِندة ، وأقبلت بنو حَنظلة بن مالكٍ والرِّبابُ عليهم [لَقِيطُ بن زُرارةَ] يطلبون بدم مَعبدِ بن زُرارة ويَثرِبيٌّ بن عُدُسٍ ، وأقبل معهم حسان[1] بن عمرو بن الجَوْنِ في جَمْعٍ عظيم من كِندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع[2] كانت تكون بالحِيرةِ مع الملوك وهم الرابطةُ . وكان في الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمِيُّ ، وكان معه لِواء مَن سار إلى جَبَلةَ ، وكان من فُرسان العرب . وله تقول دَخْتَنُوس بنت لَقِيط بن زرارة يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

[شعر لدختنوس بنت لقيط تعيّر ابن قهوس]

فرَّ ابنُ قَهْـوَسٍ الشُّجا ... عُ بكَفِّـه رُمْـحٌ مِتَلُّ
يعدُو بـه خاظِي البَضِيـ ... ـعِ كأنّـه سِمْعٌ أزَلُّ[3]
إنّك مِـنْ تَيْـمٍ فَدَعْ ... غَطَفانَ إن ساروا وحلُّوا

مِتَلٌّ : مستقيم ، يُتَلُّ[4] به كلُّ شيء . الخاظي : الشيءُ المُكتنِز . والسِّمْعُ : ولدُ الضَّبُعِ [من الذِّئب] . والعِسْبارُ : ولدُ الذِّئب من الكلبة .

لا مِنْكَ عدُّهـمُ ولا ... آبـاكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا
فَخْـرَ البَغِيِّ بحِدْجِ ربّـ ... ـتها إذا النّاسُ استقلُّوا[5]
لا حِدْجَها رَكِبتْ ولا ... لِرَغـالِ فيـه مُسْتَظَلُّ[6]

1 ل : كيسان .
2 الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .
3 البضيع : اللحم . أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .
4 يتل : يصرع .
5 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني : 17/3 «كالفاخرة بحدج ربتها» ، يضرب لمن يفتخر بما ليس له منه شيء ، يحكي أبو عبيدة أنه أُجريت الخيل للرهان يوماً ، فجاء فرس فسبق ، فجعل رجل من النظارة يكبّر ويثب من الفرح ، فقيل له : كان الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لي .
6 رغال : الأمة .

ولقـد رأيتُ أباكَ وَسْـ ـطَ القَوْمِ يَرْبِقُ أو يَجُلُّ[1]
مُتَقَلِّـداً رِبْـقَ الفُـرا رِ كأنّه في الجِيدِ غُلُّ

يَجُلّ : يُلقط البَعَرَ . والفُرار : أولادُ الغنم ، واحدُها فُرارة . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجِبُ بن زرارة ولَقِيطٌ بن زرارة وعمرُو بن عمرٍو وعُتَيبةُ بن الحارث بن شهابٍ ، وتبِعهم غُثاءٌ من غُثاء الناس يريدون الغنيمة ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثلَه أكثر كثرةً ، فلم تَشُكَّ العرب في هلاك بني عامر . [فجاءوا] حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيد مَناة ، فقالوا لهم : سيرُوا معنا إلى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعْدٍ : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم أنّ عامر بن صعصعة بنُ سَعْدٍ [بن زيد مَناة] . فقالوا : أمّا إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنَعَمْ .

[تشاور بني عامر في أمرهم]

فلمّا سمِعتْ بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفرٍ ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغَزوَ غير أنه يُدبِّر أمرَ النّاس ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقيبةِ ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كَبِرتُ ، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي منّي ، ولكنّي إذا سمعتُ عرفتُ ، فأجمِعوا آراءكم ثم بيتُوا ليلتكم هذه ثم اغدُوا عليّ فاعْرِضوا عليّ آراءكم ، ففعلوا . فلمّا أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوُضِعتْ له عَباءةٌ بفِنائه فجلس عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابةٍ ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيس بن زهيرٍ العبسيُّ : باتَ في كِنانتي الليلة مائةُ رأي . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازم صلِيبٌ مُصِيبٌ ، هاتِ فانثُر كنانتَك . فجعل يعرِض كلّ رأيٍ رآه حتى أنفد . فقال له الأحوص : ما أرى باتَ في كنانتك الليلة رأيٌ واحدٌ ! . وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صِرتم إليّ ، احْمِلوا[2] أثقالكم وضُعفاءكم ففعلوا ، ثم قال : احْمِلوا ظُعُنَكم فحملوها ، ثم قال : اركَبوا فركِبوا ، وجعلوه في مِحَفَّةٍ ، وقال : انطلِقوا حتى تَعْلُوا في اليمين ، فإنْ أدرككم أحد كَرَرْتم عليه ، وإنْ أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتَوْا وادي بِحارٍ[3] ضحوةً ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرُو بن عبدِ الله بن جَعْدَةَ في فِتيانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرون بمَن أجاز بهم

1 يربق من الربق : يشد البهيمة بالربقة وهي عروة في حبل تشد بها البهيمة .

2 ل : اجمعوا .

3 ل : وادي نجار . ورد موضع «ذو بحار» في معجم البلدان أنه ماء لغنيّ أو وادٍ في بلاد اليمن ، وورد اللفظ في أشعار أخرى بباء مثلثة .

ويقطَعون بالنساء حَواياهنّ[1] . فقال الأحوص : قدِّموني ، فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنَعون ؟ قال عمرٌو : أردتَ أن تَفضَحنا وتُخرِجَنا هاربين من بِلادِنا ونحن أعزُّ العرب ، وأكثرهم عدداً وجَلَداً وأحَدُّهم شوكةً ! تريد أن تجعلنا مَوالي في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءَنا ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نَرْجعُ إلى شِعْبِ جَبَلَةَ فنُحْرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّراريَّ والأموالَ في رأسه ونكونُ في وسَطِه ففيه ثَمَلٌ (أي خِصْبٌ وماء) . فإنْ أقام مَن جاءك أسفلَ أقاموا على غير ماء ولا مُقامَ لهم ، وإن صَعِدوا عليك قاتلتَهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنتَ في حِرْزٍ وكانوا في غير حِرْزٍ ، وكنتَ على قِتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا واللهِ الرأي ، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناسَ ؟ قال : إنّما جاءَني الآن . قال الأحوص للناس : ارجِعوا فرَجعوا . ففي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة : [من الطويل]

ونحـن حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعامراً ... لحسَّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قِيلَ أقْبِلا
وقد صَعِدتْ وادِي بِحارٍ نساؤهم ... كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومـون منزلا
عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فصادفوا ... من الهَضْبةِ الحمراء عِزّاً ومَعْقِلا[2]

[دخولهم شعب جبلة]

الضَّروس : الناقة العَضوض ، فدخلوا شِعب جَبَلَةَ . وجبلة : هَضبةٌ حمراء بين الشُّرَيْف والشَّرَف . والشُّرَيْفُ : ماءٌ لبني نُمَير . والشَّرَفُ : ماءٌ لبني كلابٍ . وجبلةُ : جبلٌ عظيم له شِعْبٌ عظيمٌ واسعٌ ، لا يُؤْتى الجبلُ إلاّ من قبلَ الشِّعْب ، والشِّعب متقارب [المَدْخَلِ] وداخله مُتَّسِعٌ ، وبه اليوم عُرَيْنةُ من بَجيلةَ . فدخلتْ بنو عامر شِعْباً منه يقال له مُسَلِّحٌ ، فحصّنوا النساء والذراريّ والأموالَ في رأس الجبل ، وحَلَّئوا الإبل عن الماء ، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِداح فأُقْرِعَ بين القبائل في شَظاياه[3] ، فخرجت بنو تميم ومعهم بارِقٌ (حيٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبني نُمَيْر . وبارِقٌ هو سَعد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامرٍ ماء السماء . وسُمِّي مُزَيقِياء لأنّه كان يمزِّق عليه كلَّ يومٍ حُلّةً) فولَجوا الخَلِيفَ (والخَلِيفُ : الطريق بين الشِّعْبينِ شِبْه الزُّقاق) لأنّ سَهْمَهم تخلّف . وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أَوْسِ بن حِمارٍ البارقيُّ : [من الوافر]

---

1 الحوايا : جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .

2 الضروس : الناقة الحديثة النتاج . سميت بذلك لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياماً حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها .

3 الشظايا : القطع من رؤوس الجبال ، الواحدة شظية .

ونحــن الأَيْمَنُونَ بنو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنــا أَمامَهم الخَلِيفُ

قال : وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه . [فجعل يقول لها :] من أَسْهَلَ من الناس ؟ فتُخبره وتقول هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهْبِطِي ، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنِيعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كَبشةُ بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتبة بن جعفرِ بن كِلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطُّفَيل ، فقالت : وَيلكم يا بني عامرٍ ارفَعُوني ! فوالله إنّ في بطني لَعِزَّ بني عامر . فصَفُّوا القسِيَّ على عَواتِقِهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها بالقُنَّةِ (يقال قُنَّةٌ وقِنانٌ) . فزعموا أنّها ولدتْ عامراً يوم فرَغ الناسُ من القتال .

[من شهد الوقعة من القبائل]

فشَهِدت بنو عامر كلّها جَبَلَةَ إلاّ هِلالَ بن عامرٍ وعامرَ بن ربيعة بن عامر ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عَبْسِ بن رِفاعة بن الحارث بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحَزْمٌ وعليهم مِرْداسُ بن أبي عامرٍ ، وهو أبو العبّاس بن مِرداسٍ . وكانت بنو عبس بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بن كِلابٍ . وزعم بعضُ بني عامر أنّ مِرداساً كان مع أخواله [غَنِيٍّ] ، و[ كانتْ] أُمُّه فاطمة بنتَ جَلْهَمة الغَنَوِيّةَ . وشَهِدتْها غَنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني سَعْدِ بن بكرٍ وقبائلُ بَجيلةَ كلُّها إلاّ قَسْراً لحربٍ كانت بين قَسْرٍ وقومِها .

[تفرق بجيلة في بطون بني عامر]

فارتحلت بجيلةُ فتفرّقت في بطون بني عامرٍ ، فكانت عادية بن عامرِ بن قُدادٍ من بَجِيلةَ في بني عامرِ بن ربيعة ، وكانت سُحْمَةُ من بَجيلة في بني جعفرِ بن كِلابٍ ، ويقال : عمرو بن كلاب ، وكانت عُرَيْنةُ من بَجِيلةَ في عمرو بن كِلاب ، وكانت بنو قيس كُبَّةَ (لَفَرسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بَجيلةَ في بني عامر بن ربيعة ، وكانت فِتيان في بني عامر بن ربيعة ، وبنو قُطَيعة من بَجِيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ ، ونَصِيبُ بن عبد الله من بَجِيلةَ [في بني نُمَيْرٍ ، وكانت ثعلبةُ والخِطامُ من بَجِيلة] في بني عامر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بَجِيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ معهم يومئذٍ نُفَيرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جَمْعُهم ثلاثين ألفاً . وعَمِيَ على بني عامر الخَبَرُ ، فجعلوا لايدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم .

[ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد]

وأقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولِفُّهم نحو جَبَلة ، فلَقُوا كَرِبَ بن صَفوان بن شِجْنَةَ بن عُطارِدِ بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سعدِ بن زيد مَناة ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامر ؟ قال لا . قالوا : فأَعْطنا عهداً ومَوْثِقاً ألاّ تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيلَه . فمضى

مُسْرِعاً على فرسٍ له عُرْيٍ ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوصُ نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ؛ فأرسلوا إليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلي فإنّ الخبر فيه . فلمّا جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشَوكٌ قد كسَر رؤوسه وفرّق جِهتَه ، وإذا حنظلةٌ موضوعةٌ . وإذا وَطْبٌ معلَّق فيه لبنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيقُ ألاَّ يتكلَّم ، وهو يُخْبِرُكم أنّ القومَ مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنّ شوكتهم كليلةٌ [ وهم متفرِّقون ] ، وجاءتكم بنو حنظلة . آنْظُروا ما في الوَطب ، فاصْطَبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ (قَرَص) . فقال : القومُ منكم على قَدْر حِلاب اللّبنِ إلى أن يَحْرُز . فقال رجلٌ من بني يَربُوعٍ .

ويقال قالته دَخْتَنُوس بنتُ لَقِيطِ بن زُرارة : [من الكامل]

كَرِبُ بن صَفْوانَ بنِ شِجْنَةَ لم يَدَعْ ... مِن دارِمٍ أحداً ولا مِن نَهْشَلِ

أجعلتَ يَرْبوعاً كقَوْرةِ دائرٍ ... ولَتَحْلِفَنْ بالله أن لم تَفْعلِ

وذلك قول عامر بن الطُّفيل بعد جبلة بحينٍ : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ لديكَ جُموعَ سعْدٍ[1] ... فبِيتُوا لن نَهِيجَكمُ نِياما

نَصَحْتُمْ بالمَغِيبِ ولم تُعِينُوا ... علينا إنّكم كنتم كِراما

ولو كنتم مع ابن الجَوْنِ كنتم ... كَمَنْ أَوْدى وأَصبح قد أَلاما

[صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم]

فلمّا استيقنت[2] بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِدوا الشِّعْبَ ، وأَمر الأحوصُ بالإبل التي ظُمِّئتْ قبل ذلك فقال : اعْقِلوها كلَّ بعيرٍ بعقالَين [ في ] يديه جميعاً . وأصبح لَقِيطٌ والناسُ نزولٌ به ، وكانت مَشُورتُهم إلى لَقِيطٍ ؛ فاستقبلهم جملٌ عَوْدٌ[3] أجربُ أحذُّ أعصَلُ[4] كاشرٌ عن أنيابه ؛ فقال الحُزاةُ من بني أَسَدٍ ، والحازِي العائف[5] ، اعْقِروه . فقال لَقِيطٌ ؟ : واللهِ لا يُعْقَرُ حتى يكونَ فحلَ إبلي غداً . وكان البعير من عَصافير المُنذِر التي أخذها قُرّةُ بن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَيْرٍ . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب . ثم استقبلهم معاويةُ بن عبادة بن عُقَيْلٍ وكان أعسَرَ فقال : [من مجزوء الرجز]

---

1 سعد في ل : تيم .

2 ل : استثبت .

3 العود : المسن من الإبل ، والأحذّ هنا : خفيف شعر الذنب ، أو قصير الذنب .

4 الأعصل : الملتوي الذنب .

5 العائف الذي يزجر الطير وفي ل : القائف ، وهو من يحسن معرفة الأثر ويتتبعه .

أنـا الغُـلامُ الأَعْسَرْ الخَيـرُ فيّ والشّرّْ
والشرُّ فيّ أَكثَـرْ[1]

فتشاءمت بنو أَسَدٍ وقالوا : ارجِعوا عنهم وأَطيعونا . فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تَشهد جَبَلَةَ مع لَقِيطٍ إلاّ نُفَيْراً يسيراً ، منهم شأْسُ بن أبي بُلَيٍّ[2] أبو عمرو بن شأسٍ الشاعر ، ومعقِل بن عامرِ بن مَوْءلةَ المالكيُّ . وقال الناس لِلَقِيطٍ : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تَصعدوا إليهم . فقال شأْس : لا تدخلوا على بني عامر ؛ فإنّي أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني ، فما رأيتُ قوماً قطُّ أَقْلَقَ بمنزلٍ من بني عامر ؛ والله ما وجدتُ لهم مَثَلاً إلاّ الشُّجاع ؛ فإنّه لا يَقِرّ في جُحره قَلَقاً . وسيخرجون إليكم . والله لئن بِتُّمْ هذه الليلة لا تشعُرون بهم إلاّ وهم مُنحدِرون عليكم . فقال لَقيطٌ . والله لَنَدخُلَنّ عليهم .

[صعود بني تميم الجبل ودفع بني عامر لهم]

فأَتَوهم وقد أخذوا حِذْرَهم . وجعل الأحوصُ ابنَه شُرَيحاً على تعبئة الناس . فأقبل لقيطٌ وأصحابه مُدِلِّين فأسندوا[3] إلى الجبل حتى ذَرَّت الشمس . فصعِد لقيطٌ في الناس وأخذ بحافَتَي الشَّجْن[4] . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أَتَوْك . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفُوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : حُلُّوا عُقُلَ الإبل ثم احدِروها واتْبَعُوا آثارها ، ولْيُتْبِعْ كلّ رجلٍ منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثةً ، ففعلوا ثم صاحوا بها ، فلم يَفْجأ الناسَ إلاّ الإبلُ تريد الماءَ والمَرعى ، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل ؛ وأقبلت الإبلُ تحطِمُ كلَّ شيء مَرّت به ، وجعل البعيرُ يُدَهْدِي بيديه[5] كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صَنعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بني أَسَدٍ : [من الرجز]

زعمـتَ أنّ العِيرَ لا تُقاتِلُ بَـلى إذا تَقَعْقَـعَ الرحائلُ[6]
واختلف الهِنْـدِيُّ والذّوابلُ وقالتِ الأبطالُ مَـنْ يُنازِلُ
بَـلى وفيها حَسَبٌ ونائلُ

---

1 الشرُّ في ل : والضرّ .
2 ل : أبي ليلى .
3 أسندوا إلى الجبل : اعتمدوا عليه .
4 الشجن : أعلى الوادي .
5 ل : بصدره .
6 تقعقع الشيء : اضطرب وتحرّك . والرحائل : جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشّديد .

[شعر لبعض بني عامر في الوقعة]

فانحطّ الناسُ مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْل . فلمّا بلغ الناس السَّهْلَ لم يكن لأَحدٍ منهم هِمّةٌ إلاّ أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، فانهزموا شرَّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول : [من الرجز]

لم أَرَ يوماً مثلَ يومِ جَبَلَهْ يومَ أتتنا أَسَدٌ وحَنْظَلَهْ
وغَطَفانُ والملوكُ أَزفَلَهْ نَضرِبُهم بقُضُبٍ مُنْتَخَلَهْ[1]
لم تَعْدُ أن أُفرِش عنها الصَّقَلَهْ حتى حَدَوْناهم حُداءَ الزَّوْمَلَهْ[2]

وجعل مَعْقِل بن عامر يرتجز ويقول : [من الرجز]

نحن حُماةُ الشِّعْبِ يومَ جبله بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَهْ[3]
وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَهْ[4]

المِعْبلةُ : السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو مِعْبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

[صد بني تميم لبني عامر]

وخرجت بنو تميمٍ من الخَليفِ على الخَيْلِ فكَرْكَرُوا الناسَ (يعني ردّوهم) وانقطع شُرَيْح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديداً هناك ، وجعل لقيطٌ يومئذٍ وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ[5] بديباج أعطاه إيّاه كِسْرى ، وكان أوّل عربيٍّ جَفَّف ، يقول : [من الرجز]

عَرَفْتكُمْ والدمعُ مِ العَيْن يَكِفْ لفارِسٍ أتلفتموه ما خُلِفْ
إنّ النَّشيلَ والشِّواء والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ[6]

---

1 الأزفلة : الجماعة . منتخلة : مختارة .

2 أفرش عنه : أقلع . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف إذا جلاه . يريد أنها حديثة الجلاء . الزوملة : الإبل .

3 حماة الشّعب في ل : سماة الخيل .

4 هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .

5 مجفف : عليه تَجفاف وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

6 النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشُّواء : ما شوي من اللحم أو غيره . والكأس الأنف : التي لم يشرب منها من قبل .

وصَفْوَةَ القِـدْرِ وتَعْجِيـلَ اللَّقَـفْ … للطاعنين الخيـلَ والخيلُ قُطُفْ[1]

وجعل لا يمرّ به أَحدٌ من الجيش إلاّ قال [له] : أنت واللهِ قتلتَنا وشَتَمْتَنا . فجعل يقولُ : [من الرجز]

يـا قَـوْمِ قـد أَحرقتموني باللَّوْمْ … ولَـم أُقاتِـلْ عامـراً قبـل اليَوْمْ

فاليـومَ إذ قاتلتُهـم فـلا لَوْمْ … تَقَدَّمـوا وقَدِّمـوني للقَـوْمْ

شَتّـانَ هـذا والعنـاقُ والنَّـوْمْ … والمَضْجَعُ البـاردُ في ظِـلٍّ الدَّوْمْ

وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه :

لكـن أَنا قاتلتها قبـلَ اليـوْمْ … إذ كنتُ لا تُعْصى أُموري في القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كَرّ فله خمسون ناقةً ، وجعل يقول :

أَكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أَرْحِبْ هَلا … ولن تَرَوْهُ الدَّهْـرَ إلاّ مُقْبِلا[2]

يحمـل زَغْفاً ورَئيساً حَجْفَلا … وسائـلاً في أَهلـه مـا فعلا[3]

وجعل يقول أيضاً :

أَشْقَـرُ إنْ لم تَتَقَـدَّمْ تُنْحَر … وإنْ تَـأَخَّرْ عـن هِياجٍ تُعْقَرِ[4]

ثم عاد يقول :

إنّ الشواء والنّشيـل والرُّغُـفْ

فأَجابه شُرَيح بن الأحوص : [من الرجز]

إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأَقْحِمْهُ الجُرُفْ … وقَـرِّب الأَشْقَـرَ حتـى تَعْتَرِفْ

وجوهَنا إنّـا بنو البِيضِ العُطُفْ

[سقوط لقيط في الموقعة]

وبينه وبينه جُرْفٌ مُنْكَرٌ ، فضرب لَقيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرُفَ ؛ فطعنه شُرَيح

---

1 اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام . قطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب ، وفي ل : جنف .

2 ارحب وهلا : مما تزجر به الخيل .

3 الزغف والزّغفة : الدرع المحكمة أو اللينة .

4 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 19/3 : «كالأشقر إن تقدّم نُحر» ، وإنْ تأخّر عُقر ، والعرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تتقدم تُنحر ، وإن تتأخر تعقر ، وذلك أن العرب تقول : شقر الخيل سراعها ، يطلب من فرسه أن يثبت ويلزم الوقار .

[ فسقطَ ] . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أنّ الذي طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفرٍ ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنتَفِق العُقَيْليّ قتله يومئذٍ وأنشأ يقول : [من الكامل]

ظَلّتْ تلومُ لِما بها عِرْسِي جَهْلاً وأنتِ حَليمةٌ أمْسِ
إنْ تقتلوا بَكْرِي وصاحبَه فلقد شَفَيْتُ بسَيْفِه نفسي
فقتلتُه في الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ في الشَّرقِ قبل تَرَحُّلِ الشمسِ

فزعموا أنّ عَوْفاً هذا قتل يومئذٍ ستّةَ نَفَرٍ ، وقُتِل ابنٌ له وابنُ أخ له . وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أنّ شُرَيحاً قتله ، وارتُثَّ وبه طَعَناتٌ ، والارتثاث أن يُحْمَل وهو مجروح ، فإنْ حُمِل مَيّتاً فليس بمرتثّ ، فبقي يوماً ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته : [من الرجز]

يا ليتَ شَعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ إذا أتاكِ الخبرُ المَرْسُوسُ[1]
أتَحْلِقُ القُرُونَ أم تَمِيسُ لا بَلْ تَمِيسُ إنّها عَروسُ

[شعر لدختنوس في أبيها]

دَخْتَنوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ . وجعلت بنو عَبْسٍ[2] يضربونه وهو ميّت ، فقالت دَخْتَنوس : [من الطويل]

ألا يا لَها الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكى لضَرْبِ بني عَبْس لَقِيطاً وقد قَضى
لقد ضربوا وجهاً عليه مَهابةٌ وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدى
فلو أنّكم كنتم غداة لَقِيتمُ لقيطاً صَبَرتُم للأسِنَّةِ والقَنا
غَدَرْتُم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ أصابَ لها القَنّاصُ من جانبِ الشَّرى[3]
فما ثَأْرُه فيكم ولكنّ ثأرَه شُرَيْحٌ وأردته الأسِنّةُ أو هَوى
فإن تُعْقِبِ الأيّامُ من عامرٍ يَكن عليهم حَرِيقاً لا يُرامُ إذا سما[4]
ليجزيهم بالقتلِ قَتْلاً مُضَعَّفاً وما في دِماءِ الحُمْسِ يا مالُ مِنْ بَوا[5]

---

1 المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رسّ له الخبر إذا ذكره له .
2 ل : بنو عامر .
3 الخضب : النّعام . والظليم الخاضب : الذي احمرّت ساقاه من أكل الربيع . أصاب : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضع .
4 من عامر يكن في ل : من فارس تكن .
5 البواء : السواء والتكافؤ .

ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها علينا من العار المجدِّع للعُلا
لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظت كِلابٌ وما أنتم هناك لِمَن رأى

وقالت دَخْتَنُوس أيضاً : [من الطويل]

لعمري لئن لاقت من الشرِّ دارمٌ عناءً لقد آبتْ حميداً ضِرابُها[1]
فما جَبُنوا بالشِّعبِ إذ صَبَرَتْ لهم ربيعةُ يُدْعى كَعْبُها وكلابُها
عَصُوا بسيوف الهِنْدِ واعتكرتْ لهم بَراكاءُ موتٍ لا يطير غُرابُها[2]

براكاءُ : مباركَةُ القتال وهو الجِدُّ في القتال . يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابُه . وقالت دختنوس : [من مجزوء الكامل]

بَكَر النَّعِيُّ بخير خِنْـ ـدِفَ كَهْلِها وشَبابِها
وبخيرها نَسَباً إذا عُـدَّتْ إلى أنسابِها
فرّت بنو أسدٍ حُرُو دَ الطيرِ عن أربابها[3]
لم يَحْفِلوا نَسَباً ولم يَلْوُوا لفيء عُقابها

[من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم]

وقُتِل يومئذٍ قُرَيظ بن مَعبد بن زُرارة ، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل ، وقُتِل الفَلَتانُ بن المنذر [بن سَلْمى بن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ ، وقُتِل أبو إياس بن حَرْمَلَةَ بن جَعْدَةَ بن العَجْلانِ] بن حَشْوَرَةَ بن عَجَبِ بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان وهو يقول : [من الرجز]

أقْدِمْ قَطِينُ إنّهم بنو عَبْسْ المَعْشَرُ الحِلّةُ في القَوْمِ الحُمْسْ

الحلّة : لم يكونوا يتشدّدون في دينهم . قال : واستُلحم[4] [عمرو بن] حَسْحاسِ بن وَهْبِ بن أعياء بن طَرِيف الأَسَدِيُّ ، فاستنقذه [مَعْقِلُ بن] عامرِ بن مَوْءَلة فداواه وكساه . فقال معقل في ذلك : [من الوافر]

يَدَيْتُ على ابن حَسْحاسِ بنِ وَهْب بأسفلِ ذي الجَذاةِ يدَ الكريمِ[5]

---

1 صدر البيت في ل : لعمري لقد لاقت من الشقّ .
2 عصا بالسيف : إذا أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه بها .
3 الحرود : التّنحّي .
4 استُلحم الرجل : روهق في القتال واحتوشه العدوَ .
5 يديت : اتخذت عنده يداً ، وذو الجذاة : موضع .

قَصَرْتُ لـه مـن الدّهماء لّما ... شهِدتُ وغاب مَنْ لَهُ مِنْ حميمِ
ولـو أنّـي أشاء لكنتُ منـه ... مكـانَ الفَرْقَدَيْـنِ مـن النُّجومِ
أُخبّره بـأن الجُـرْحَ يُشْوِي ... وأنّـك فـوق عِجْلِزةٍ جَمُومِ[1]

يقول : إن الجرح الذي بك شوًى لم يُصب منك مقتلاً .

ذكـرتُ تَعِلّـةَ الفتيـانِ يومـاً ... وإلحـاقَ المَلامـةِ بـالمُليمِ

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كَبْشةَ بنت الحجّاج بن معاوية بن قُشَيْر ، وكانت عند مالك بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر ، إنّهم يموتون ، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح : يا آل كِنْدَة ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأحْوَصِ ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدَة يقال له حَوْشبٌ ، فضربه شُريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه ، فخرج يعدو بنِصْف السيف وكان ممّا رعّب الناسَ مكانُه . وشدّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسَره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقيتْه بنو عَبْس ، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فأحْيُوه أوِ ائتوني بمِلْكٍ مثلِه . فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مَهيباً ، فقالوا : أمْهِلْنا . فانطلقوا حتى أتَوْا أبا بَراء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دُونَكم سَلْمى بنَ مالك فإنّه نديمه وصديقُه ، وكانا مشتبهين أحمرَين أشقرين ضخمةً أنوفهما ، وكان في سَلْمى حياء ، [ فأتَوْه] فقال : سأُكَلّم لكم طُفَيْلاً حتى يأخذَ أخاه فإنّه لا يُنجيكم من عوف إلاّ ذلك ، وايمُ الله لَيأتينّ شَحِيحاً[2] . فانطلقوا إليه ، فقال طفيلٌ : قد أتَوْني بك ، ما أعرَفَني بما جئتُم له ؛ أتيتموني تُريدون منّي ابن الجَوْن تُقِيدون به من عَوْف ، خُذوه ، فأعطاهم إيّاه ؛ فأتَوْا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه ؛ فسُمّي الجَزّازَ . فذلك قول نافع بن الخَنْجَر بن الحَكَم بن عُقَيْل بن طُفَيْلِ بن مالك في الإسلام : [من الوافر]

قَضَيْنا الجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت ... مَنِيّــةُ مَعْبَــدٍ فينـا هُـزالا

قال : وشهِدها لَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ، ويقال : كان ابن بِضْعَ عشرة سنة ، وعامرُ بن مالك يقول له : اليوم يَتِمْتَ من أبيك إن قُتِل أعمامك . وقُتِل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية ، وُجِدَ مقتولاً بين ظَهْرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلُغ

1 العِجلِزة : الشديدة الخلق القوية . والجموم من الخيل : الذي إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار .

2 ل : سجيحاً .

الفِتال ؛ وهو معاوية الضِّباب بنُ كِلابٍ . فقال أخوه حُصَيْنٌ للذي قتله : [من الرجز]

يا ضَبُعاً عثواءَ لا تَسْتأنِسي تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرَّذِي[1]

أقسم بالله وما حجّتْ بَلي [وما على العُزَّى تُعزه غني[2]

وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهَدِي] أُعْطيكمُ غيرَ صُدور المَشْرَفي

فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بِغَني هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوْذعي

والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي والحاملُ الثِّقْلِ إذا ينزلُ بي

وذكروا أنّ طُفَيْل بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبَلَةَ قال : وَيلكم ! وأين نَعَم هؤلاء ؟ فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غَطَفان ثم من بني الثَّرْماء ، فاستاق ألفَ بعير . فلقيه عُبيدة بن مالك فاستجداه . فأعطاه مائة بعير ، وقال : كأنّي بك قد لَقِيتَ ظَبْيانَ بن مُرّة بن خالد فقال لك : أعطاك من أَلْفِه مائةً ! فجئتَ مُغْضَبا . فلقي عُبيدة ظَبْيان ؛ فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أمائةً من ألفٍ ؟ فغضِب عُبيدة . قال : وذُكِر أنّ عُبيدة تسرَّع يومئذٍ إلى القتال ، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أن يفعل حتى يرى مُقاتَلاً ، فعصاهما وتقدّم ، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان . فأتى طُفيلاً فقال له : دونك السِّنانَ فانزعه ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً ، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً ، فأتى سَلمى بن مالك فانتزعه منه ؛ وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فَرِغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرَل[3] . وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً ، وتبِعه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْن بن وَهْب بن عُوَيمر بن رواحة العَبْسيّان ، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له : استأسر وقد قَدَرا عليه ، فيقول : مَنْ أنتما ؟ فيقولان : الزَّهْدَمانِ ، فيقول : لا أُستأسِرُ اليومَ لمولَيَيْنْ . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذُو الرُّقيبة بن سَلَمةَ بن قُشَير ، فقال لحاجب : استأْسِرْ . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مالكٌ ذو الرُّقيبة . فقال : أفعَلُ ، فلعمري ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكون عبداً . فألقى إليه رمحه ؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوْثاه . [وندر السيف] ، وجعل زَهدَمٌ يُريغ[4] قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أَتيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا .

---

1 الضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون إلى السواد مع كثرة شعر . لا تستأنسي في ل : لاستها فسي . الهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذي : المهزول الهالك ، والردي : الهالك .

2 بلي : قبيلة من العرب . تعزه غني في ل : الهدي ، وهو ما يهدى لمكة من النعم . وغني قبيلة من غطفان .

3 أغرل : أقلف لم تقطع غرْلَته .

4 يريغ : يطلب .

قال : ومَن أسيرُكما ؟ قالا : حاجبُ بن زُرارة . فخرج قيس يتمثّل قولَ حنظلة بن الشرقيِّ القَينيِّ أبي الطَّمَحان رافعاً صوته يقول : [من الطويل]

أَجَدُّ بنــي الشَّرْقِيّ أُولِعَ أنَّني ... مَتى أَسْتَجِرْ جاراً وإنْ عَزَّ يَغْدُرِ
إذا قلتُ أُوفى أدركتْه دَرُوكَةٌ ... فيا مُوزِعَ الجِيرانِ بالغَيِّ أقْصِرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمَين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ، ولكنه استأسَرَ لي وتركهما . فلم يَبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقيبة ، فقالوا : مَن أَسَرك يا حاجب ؟ فقال : أمّا مَن ردّني عن قَصدي ومنعني أن أنجو ورأى منّي عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذي استأسرتُ له فمالكٌ ؛ فحكِّموني في نفسي . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْمَ في نفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله أَلْفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائةٌ . فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مُغاضبةٌ [بعد ذلك] ؛ فقال قيسٌ : [من الوافر]

جَزاني الزهدمانِ جــزاءَ سَوْءٍ ... وكنتُ المرءَ يُجْزى بالكَرامهْ
وقــد دافعتُ قــد عَلِمتْ مَعَدٌّ ... بنــي قُــرْطٍ وعَمَّهــمُ قُدامهْ
رَكِبتُ بهم طريقَ الحقّ حَتَّى ... أَتَيْتُهـــمُ بهـــا مائـــةً ظُلامهْ

وقال جرير في ذلك : [من الوافر]

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقِيطاً ... كـأنّ عليــه حُلَّــةَ أُرْجُوانِ
وكُبِّل حاجبٌ بشَمامِ حــوْلاً ... فَحكّم ذا الرُّقيبةِ وهو عاني[1]

وأمّا عمرو بن [عمرو بن] عُدُس فأفلتَ يومئذٍ . فزعمتْ بنو سُلَيْمٍ أنّ الخيل عُرِضتْ على مِرْداس بن أبي عامرٍ يوم جَبَلة ، وكان أَبصرَ الناس بالخيل ، فعُرِضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كلابٍ ، فقال : واللهِ لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا ردائي بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال الكِلابيّ : فراكضتُه نهاراً على السَّواء ، واللهِ ما علمتُ أنّه سبَقني بمقدارٍ أَعرفه ، ثم زاد مكانه ونَقَصتُ . فقلت : قُمِر واللهِ مِرداسٌ ، وهَوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسَّوط فانكشفت ، فإذا هي خُنْثى ، لا ذَكَرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أنّي سُبِقْتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَمِيُّ . فقلت لا . ثم أخبرتُهم الخبرَ . فقال مِرداس : [من الطويل]

---

1 شمام : موضع .

تَمَطَّتْ كُمَيْتٌ كالهِراوةِ ضامرٌ لَعَمْرِو بن عمرٍو بعد ما مُسَّ باليَدِ
فلولا مَدى الخُنْثى وبُعْدُ جِرائها لَقاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حَقٌّ مُقَيَّدِ
تذكَّر رُبْطاً بالعراقِ وراحةً وقد خَفَق الأسيافُ فوق المُقَلَّدِ[1]

وزعم علماء بني عامر أنّه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم في آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون ، فلحِق قيسُ بن المُنتَفِق بن عامر [بن طُفَيْل] بن عُقَيْلٍ عمرَو بن عمرو فأسَره . فأَقبل الحارثُ بن الأبرص بن ربيعة بن عُقَيل في سَرَعان الخيلِ ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي ، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك ؟ تَجُزّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك ، ولك العهدُ لأفيَنَّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول : اقْتُلْ اقتُل . فلحِق عمرو بقومه . فلمّا كان الشهر الحرام خرج قيسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبِعه الحارث بن الأبرص حتّى قدِما على عمرو بن عمرو ؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال : اضربي على قيس الذي أنعم على عمِّك هذه القُبَّة . وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة . فجاءت بالقُبّة فرأتِ الحارثَ أهْيأهما وأجملَهما ، فظنّته قَيْساً فضربت القُبّة على رأسه وهي تقول : هذا والله رجلٌ لم يُطَّلَع الدَّهْرَ عليه بما اطَّلَع به عليّ . فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال : يا ابنةَ أخي ، عَلى مَن ضربتِ القُبّة ؟ فنعتتْ له نَعْتَ الحارثِ . فقال : ضربتِها والله على رجلٍ قتَل أباك وأمر بقتل عمّك . فجزِعتْ مما قال لها عمُّها . فقال الحارث بن الأبرص : [من الوافر]

أما تدرين يا ابنةَ آلِ زَيْدٍ أُمَيْنُ بما أُجَنَّ اليومَ صدري[2]
فكم من فارسٍ لم تُرزَئيه فتى الفتيانِ في عِيصٍ وقصرِ
رأيتُ مكانَه فصددتُ عنه فأعيا أَمره وشددتُ أزري
لقد آمرتُه فعَصى إماري بأُمِّ عزيمةٍ في جَنْبِ عمرو[3]
أمرتُ به لتَخْمُشَ حَنَّتَاهُ فضيّع أمرَه قيسٌ وأمري[4]

الحنّة : الزوجة . يقال حَنَّتُه ، وطَلَّتُه . ثم إن عمراً قال : يا حار ، ما الذي جاء بك ؟ فوالله ما لك عندي نِعمةٌ ، ولقد كنتَ سَيِّءَ الرّاي فيّ ، قتلتَ أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل

1 الرُّبط : جماعات الخيل ، والواحد ربيط . خفوق السيف : اضطرابه . والمقلَّد : موضع القلادة من العنق .
2 أُمَيْن : مصغّر آمنة تصغير ترخيم .
3 عزيمة في ل : غوية .
4 الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد .

كففتُ [ عنك ] ، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يد ، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلمّا جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً ، فخرج قيسٌ بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلاً ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنّه يُوشِك أن يرجع وأن يؤول إلى الحقّ فإنّه رجل حَسُودٌ . فلمّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كفَّ عنه ردَّ إليه ما أخذ منه .

وأمّا عُتَيبة بن الحارث بن شِهابٍ فإنّه أسِر يومئذٍ فقُيِّد في القِدّ ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة ، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ ، وكان له خليلاً ، فانتهى إليه مرداس وهو يقول : [من الطويل]

لعمرُك ما ترجو مَعَدٌّ ربيعَها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ

يزيد بن عمرو خير مَنْ شَدّ ناقةً ... بأقتادها إذا الرياحُ تُصَرْصِرُ[1]

تداعت بنو بكر عليّ كأنّما ... تداعت عليّ بالأحِزّة بَرْبَرُ[2]

تداعَوا عليّ أن رأوني بخَلْوةٍ ... وأنتم بأحْدان الفَوارس أبصرُ[3]

ويروى «بوُحْدان» . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه . فطَرقه البكريّون فسقَوْه الخمر حتى سكِر ، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها . فلمّا أصبح ندِم ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : أصاحٍ أنت أم سكران ؟ !

فانصرف فاطّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول : [من الطويل]

أجُنَّ بلَيْلى قلبُه أم تَذَكَّرا ... منازلَ منها حول قُرًّى ومَحْضَرا[4]

تَخِرُّ الهِدالُ فوق خَيْماتِ أَهْلِها ... ويُرْسون حِسّاً بالعِقال مُؤَطَّرا[5]

الحِسُّ : الفرس الخفيفة . والمؤطَّر : المعطوف .

1 الأقتاد : جمع قَتِد وهو خشب الرحل ؛ أو كل أداة الرحل .

2 الأحزّة : جمع حزيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد ، وفي ل : بالأخرّة : جمع خرير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد .

3 أحدان : جمع واحد كراكب وركبان .

4 قُرّى ومحضر : موضعان .

5 الهدال هنا ضرب من الشجر .

سَأبى وأستغنـــي كما قـد أمرتَني ... وأصرِفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا

وإنّ سُلَيْمــاً والحجــازُ مكانُهــا ... متــى آتِهــم أجِـدْ لبيتيَ مَهْجَرا

المهجَرُ : الموضع الصالح ؛ يقال : هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد [منه] وأصلح .

يُفَرِّج عنّــي حَدُّهــم وعَدِيدُهم ... وأُسْرِج لِبْدِي خارجيّاً مُصَدَّرا[1]

قَصَرْتُ عليـــه الحالبَيْنِ فَجَوْدُه ... إذا ما عـدا بـلّ الحِزامَ وأمطرا[2]

الحالبين : الراعيين . يقول احتبستهما .

فخُـــذْ إبــلاً إنّ العِتابَ كما تـرى ... على خَذَمٍ ثـمّ ارْمِ للنصر جعفرا[3]

فــإنّ بأكنــاف البِحار إلى المَــلا ... وذي النَّخْل مَصْحًى إن صحَوْتَ ومَسْكَرُا[4]

وأرْعــى من الأظلاف أثْلاً وحَمْضَةً ... وترعَــى مـن الأطْواء أَثْلاً وعَرْعَرا[5]

وانصرف يومئذٍ سِنانُ بن أبي حارثة المرّيّ في بني ذُبيان على حاميته ، فلحِق بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل[6] الكلابيّ ، وكان يسمّى الأسَد المجدَّعَ ، ومعه حَرْملةُ العُكْلِيّ ونفرٌ من النّاس ، فلحِق بسِنانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزاريّ في سبعين فارساً مـن بنـي ذُبيان . فقـال سنانٌ : يا مالــكٌ كُرَّ واحْمِنا ولك خَوْلَةُ بنت سنانٍ ابنتي أُزَوِّجُكها . فكرَّ مالكٌ فقتل معاوية ، ثم اتّبعه حرملة العُكْلِيّ وهو يقول : [من الرجز]

لأيِّ يــوم يَخْبَأ المرءُ السَّعَهْ ... مُوَدَّعٌ ولا تَــرى فيه الدَّعَهْ[7]

فكرّ عليه مالكٌ فقتله ، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب ، فكرّ عليه مالك فقتله ، ثم اتّبعه رجلان من قيس كُبّةَ من بَجِيلةَ ، فكرّ عليهما فقتلهما ، ومضى مالكٌ وأصحابُه . فقال مالك في ذلك : [من الكامل]

---

1 الحد هنا : الشوكة والقوة . المصدر من الخيل : السابق .

2 الجود هنا : العرق .

3 الخذم : السرعة في السير .

4 البحار : جمع بحرة وهي الفجوة من الأرض تتسّع ، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة ، أو هي الأرض العظيمة مع سعة . والملا : الأرض الواسعة أو الفلاة . صحوت في ل : سمعت .

5 الأظلاف : جمع ظلف وهو ما غلظ من الأرض وصلب . الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .

6 ل : الكاهن .

7 المودّع : المترف المنعم .

ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَرْمَلاً ولَقِيتُه لَدَداً وخيلي تَطْرُدُ[1]
أقبلتُه صَدْرَ الأَغَرِّ وصارماً ذَكَراً فخرّ على اليَدَيْنِ الأبعدُ[2]
وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه في صدر مارنةٍ يقوم ويقعدُ
وابنا ربيعةَ في الغُبارِ كلاهما وابنا غنيٍّ عامرٌ والأسْودُ
حتى تنفّس بعد نَكْظٍ مُجْحَراً أذهبتُ عنه والفرائصُ تُرْعَدُ[3]

النكظ الجهد . قال :

يعدو ببَزّي سابحٌ ذو مَيْعةٍ نَهْدُ المَراكِلِ ذُو تَليلٍ أقودُ[4]

فخطب إليه مالكٌ خَوْلة فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر وجد سِنانَ بن أبي حارثة وابنَيْه هَرِماً ويزيد على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهْلِكَهم ، فجزّ نَواصيَهم وأعتقهم . ثم إن عُرْوةَ أتى سناناً بعد ذلك يَستثيبه ثواباً يرضاه [فلم يثبه شيئاً] . فقال عروة في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَنْ مبلغٌ عنّي سناناً أَلُوكاً لا أريد بِها عِتابا
أَفي الخَضْراء تَقْسِمُ هَجْمَتَيْكم وعُرْوةُ لم يُثَبْ إلاّ التُّرابا[5]
فلو كان الجعافرُ طاوعوني غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُق الشَّرابا
أَتجْزِي القَيْنَ نِعْمَتَها عليكم ولا تَجْزي بنعمتها كِلابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِناناً انصرف ذاتَ يوم هو وناسٌ من طيِّىء وغيرهم قبل الوَقعة ، فبلَغه أنّ بني عامر يقولون : مننّا عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

والله ما مَنّوا ولكن شِكّتي مَنّتْ وحادرةُ المَناكِبِ صِلْدِمُ[6]
بخرير شول يومَ يُدْعى عامرٌ لا عاجزٌ وَرَعٌ ولا مستسلمُ[7]

---

1 اللّدد : مصدر لددت فلاناً ألده إذا خصمته وجادلته .

2 أقبلت الشيء الشيء : جعلته قبالته .

3 المحجر : المضطر الملجأ .

4 السّابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . وميعة كل شيء : أوله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السّير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفاً لنهد فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل .

5 الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل .

6 الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها .

7 الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

وأمّا بارقٌ فتدَّعي أَسْرَ سِنانٍ يومئذٍ على الثَّواب ، ثم أَتَوْه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقّرُ بن أَوْس بن حِمار البارقيُّ : [من الطويل]

مَتى تَكُ في ذُبيانَ منك صنيعةٌ    فلا تَحْمَدَنْها الدَّهْرَ بعد سِنانِ
يَظَلّ يُمَنِّينا بحسن ثوابِهِ    لكم مائةٌ يحدو بها فَرَسانِ
مخاضٌ أُؤدِّيها وجلّ لقائح    وأُكْرِمُ مثوى منكُم مَنَ اتاني
فجئناه للنُّعْمى فكان ثوابَه    رَغوثٌ ووَطْبا حازرٍ مَذِقانِ[1]
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى    يُؤامرهم فينا له أَمَلانِ[2]
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً    فلا تثقْن بالشكر في غَطَفانِ

[تاريخ يوم جبلة]

قال : وكان جَبَلةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مَوْلِد النبيّ ﷺ بتسع عشرة سنة . ووُلِد النبيّ ﷺ عام الفيل ، ثم أوحى الله إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقدِم عليه عامرُ بن الطُّفيل في السنة التي قُبض فيها ﷺ ، قال : وهو ابن ثمانين سنة .

[ما قيل في هذا اليوم من الشعر]

وقال المعقّر بن أَوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بني نُمَيْرِ بن عامر : [من الطويل]

أمِنْ آل شَعْثاءَ الحُمولُ البواكرُ    مع اللّيلِ أم زالتْ قُبَيْلُ الأباعرُ
وحلَّت سُلَيْمى في هضابٍ وأَيكةٍ    فليس عليها يومَ ذلك قادرُ
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى    كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[3]
وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ    عليها إذا أُمستْ من اللهِ ناظرُ
معاويةُ بنُ الجون ذُبْيان حولَه    وحَسّانُ في جَمْع الرِّبابِ مُكاثِرُ
فمرّوا بأطناب البيوت فردّهم    رجالٌ بأطراف الرِّماحِ مساعِرُ[4]
وقد جمعوا جمعاً كأن زُهاءه    جَرادٌ هوى في هَبْوةٍ متطايرُ[5]

---

1 الرغوث : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .

2 يؤامرهم : يُشاورهم .

3 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني : 22/99 «قد ألقى عصاه» .

4 مساعر : جمع مِسعر . ومسعر الحرب الذي يؤرثها فتحمى به الحرب .

5 الهبوة : الغبار الثائر .

فباتــوا لنـــا ضَيْفاً وبِتْنا بنَعْمةٍ لنـــا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرُ
ولم نَقْرِهــم شيئاً ولكنّ قَصْدَهم صَبُوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشَّمس حازرُ[1]
صَبَحْناهمُ عنــد الشُّروق كتائبـاً كأركان سَلْمى شَبْرُهــا متواتِرُ[2]
كأنّ نَعـــامَ الدَّوّ بـــاضَ عليهمُ وأَعْيُنُهــم تحت الحبِيكِ جواحرُ[3]

الحَبِيكُ في البَيْض إحكام عملها وطرائقها .

من الضاربين الكَبْشَ يمشون مَقْدَماً إذا غَصّ بالريق القليـلِ الحناجرُ[4]
وظــنّ سَراةُ القــومِ ألاَّ يُقَتَّلوا إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وعامِرُ[5]
ضربنا حَبِيكَ البَيْض في غَمْر لُجَّةٍ فلم يَبْقَ في الناجين منهم مفاخِرُ
ولم ينــجُ إلاّ مَنْ يكون طِمِرّه يُوائـــلُ أو نَهْــدٌ مُلِــحٌّ مُثابِرُ[6]
هَوى زَهْدَمٌ تحت الغُبار لحاجبٍ كما انقضّ أَقنى ذو جناحين ماهرُ[7]
همـــا بطـــلان يَعْثُران كلاهمـا أراد رئاس السيف والسيف نادرُ[8]
ولا فضلَ إلاّ أن يكــون جَــراءةٌ وذُبيـانُ تسمــو والرؤوسُ حواسرُ
ينــوءُ وكفَّــا زَهْدَمٍ مــن ورائه وقــد عَلِقتْ مـــا بينهن الأظافِرُ
يفرِّج عنّـــا كلَّ ثَغْـــرٍ نخافُــه مِسَحٌّ كسِرْحان القَصيمةِ ضامرُ[9]

القصيمة من الرمل : ما أنبتت الغَضى والرِّمْثَ .

وكلُّ طَمُــوحٍ في العِنانِ كأنّها إذا اغتمست في الماء فَتْخاءُ كاسِرُ[10]

---

1 قصدهم في ل : قصرهم . لدينا في ل : لنا من .
2 سلمى : جبل في بلاد طيىء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع .
3 جواحر : غائرات .
4 كبش القوم : رئيسهم وسيّدهم .
5 بالسفح في ل : بالصفح .
6 الطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر إلى ملجإ لينجو . النهد : القويم الضخم .
7 القنا : نتوء في وسط قصبة الأنف وإشراف .
8 رئاس السيف : مقبضه . ونادر : ساقط .
9 المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صبّاً . والسرحان : الذئب .
10 الفتخاء الكاسر : العقاب .

لها ناهض في المهد قـد مَهَدتْ له كما مَهَـدتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ[1]

وبهذا البيت سمِّي مُعَقِّراً واسمه سُفيان بن أَوس . وإنّما خَصَّ العاقرَ لأنّها أقلُّ دَلاًّ[2] على الزوج من الوَلُودِ فهي تصنع له وتُداريه .

تخـاف نِساءٌ يبتدرنَ حليلَها مُحَرَّدةٌ قد حَرَّدَتْها الضرائرُ[3]

وقال عامر بن الطُّفَيْلِ بعد ذلك بدَهْرٍ : [من الوافر]

ويـومَ الجَمْـعِ لاقَيْنا لَقِيطاً كَسَوْنـا رأسَه عَضْباً حُساما
أَسَرْنـا حاجِبـاً فثَـوى بِقدٍّ ولم نترك لنسوتـه سَواما[4]
وجَمْعُ الجَـوْن إذ دَلَفُوا إلينا صَبَحْنا جَمْعَهم جَيْشاً لُهاما[5]

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك : [من الكامل]

وهُمُ حُماةُ الشِّعْب يومَ تواكلتْ أسَدٌ وذُبْيـانُ الصَّفا وتميمُ
فارتَثَّ كَلْماهم عَشيّةَ هَزمِهم حَـيٌّ بمُنْعَرَجِ المَسِيلِ مُقِيمُ[6]

تمّ اليوم والحمد لله والمنّ .

* * *

## صوت

[من الطويل]

أيجمُل مـا يُؤْتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
فلـو أنّنا كنّا رجـالاً وكنتمُ نساءً حِجالٍ لم نُقِرَّ بذا الفعلِ

الشعر لعَفِيرة بنت عِفارٍ ، وقيل بنت عبّاد ، الجَدِيسيّة التي يقال لها الشَّمُوس . والغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم .

---

1 الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقلّ للنهوض .
2 ل : دالة .
3 التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .
4 القِدّ : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الإبل الراعية .
5 وجمع الجون في ل : وجمع الحزم . اللهام : الكثير .
6 الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

# 184 ـ [مقتل عمليق وسببه]

[عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله]

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قِيل عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفضَّل أن عِمْليقاً مَلِكَ طَسْمٍ بن لاوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام ، وجَدِيسٍ بن لاوَذ بنِ إرَم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم في موضع اليَمامة .

[احتكام امرأة من جديس وزوجها إليه]

كان في أوّل مملكته قد تمادى في الظّلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحقّ ، وأنّ امرأةً من جَدِيسٍ كان يقال لها هُزَيلةُ ، وكان لها زوج يقال له قرقس ، فطلّقها وأراد أخْذَ ولدها منها ، فخاصمته إلى عِمْليقٍ ، فقالت : «يا أيّها الملك إنّي حملته تسعا ، ووضعته دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ، حتى إذا تمّـتْ أوصالُه ، ودنا فِصالُه ، أراد أن يأخذَه مِنّي كَرْها ، ويترُكني من بعده وَرْها[1] . فقال لزوجها : ما حُجَّتُك ؟ قال : «حُجَّتي أيـّها الملـك أنـّي قد أُعطيتُها المَهْرَ كاملاً ، ولم أصِبْ منها طائلاً ، إلاّ وليداً خاملا ، فافعَلْ ما كنتَ فاعلا» . فأمر بالغلام أن يُنْزَع منهما جميعاً ويُجْعلَ في غِلمانه ، وقال لهُزيلة : «ابْغِيه ولداً ، ولا تَنْكِحي أحداً ، واجْزِيه صَفَداً»[2] . فقالت هزيلة : «أمّا النكاح فإنّما يكون بالمَهْر ، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهْر ، وما لي فيهما من أمر» . فلمّا سمع ذلك عِمْليقٌ أمر بأن تباعَ هي وزوجها ، فيُعْطى زوجُها خُمْسَ ثمنها . وتُعْطى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها . فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

أتينا أخـا طسم ليحكم بيننا فأنفـذ حكماً في هزيلة ظالما
لَعَمْري لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعاً ولا كنتَ فيما تُبرم الحكم عالما
نَدِمتُ ولم أنْدَمْ وأنّى بعَثْرتي وأصبح بعلي في الحكومة نادِما

[أمر ألا تزوّج بكر من جديس حتى يفترعها]

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألاّ تزوّج بِكْرٌ من جَدِيسٍ وتُهْدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاًّ . فلم يزل يفعل هذا حتى زُوّجت

1 الورهاء : الخرقاء . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب .

2 الصفد : العطاء .

الشَّمُوس وهي عَفِيرةُ بنت عَبّاد أخت الأسْوَد الذي وقع إلى جبل طيّىء فقتلته طيىء وسكنوا الجبل من بعده . فلمّا أرادوا حَملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْلِيقٍ . لينالَها قبله ، ومعها القِيان يتغنَّين : [من الرجز]

ابدَيْ بِعِمْليقٍ وقُومي فاركَبي ... وبادِري الصُّبْحَ لأمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلقَيْنَ الذي لم تطلُبي ... ومـا لِبِكْرٍ عنـده من مَهْرَبِ

[تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه]

فلمّا أنْ دخلتْ عليه افترعها وخلّى سبيلَها . فخرجتْ إلى قومها في دِمائها شاقّة درْعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدمُ يسيل[1] وهي في أقبح منظرٍ ، وهي تقول : [من الرجز]

لا أَحـدٌ أَذَلّ مـن جَدِيسِ ... أَهكـذا يُفْعَـلُ بـالعَرُوسِ
يرضى بهـذا يـا لَقوْمي حُرُّ ... أَهْدى وقد أَعطى وسِيقَ المَهْرُ
لأخـذةُ المـوتِ كذا لنفسه ... خيرٌ مِـنَ انْ يُفْعَلَ ذا بعِرْسِهِ

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتِيَ إليها : [من الطويل]

أَيَجْمُلُ مـا يُؤْتـى إلى فَتَياتكم ... وأنتم رجـالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
وتُصْبحُ تمشي في الدِّمـاء عَفِيرةٌ ... جِهاراً وزُفّتْ في النساء إلى بعلِ
ولـو أنّنـا كنّا رجـالاً وكنتم ... نساءً لَكُنّـا لا نُقِـرّ بذا الفعلِ
فموتُوا كِرامـاً أو أَميتوا عَدُوّكم ... ودِبّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْلِ
وإلاّ فَخَلُّـوا بطنَهـا وتحمَّلـوا ... إلى بَلَدٍ قَفْرٍ ومُوتـوا مـن الهُزْلِ
فللبينُ خيرٌ مـن مُقامٍ على أذًى ... ولَلْمَوْتُ خير من مُقامٍ على الذُّلّ
وإن أنتـمُ لم تَغضَبوا بعـدَ هذه ... فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحْلِ
ودونَكُم طِيـبَ العروس فإنّمـا ... خُلِقتم لأثواب العروس وللغِسْلِ[2]
فبُعْدًا وسُحْقاً للـذي ليس دافعاً ... ويختال يمشي بيننا مِشْيَةَ الفَحْلِ

[ائتمار جديس للغدر به وبقومه]

فلمّا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشر جَديس ! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلاّ بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزُنا

---

1 ل : يتبيّن .

2 الغِسْل : ما يغتسل به .

وإدهاننا[1] ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ[2] . فأَطيعوني فيما آمرُكم به ، فإنّه عِزُّ الدَّهر ، وذهابُ ذلّ العمر ، واقبَلوا رأيي . قال : وقد أَحْمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر وأَحمى وأقوى . قال فإنّي أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً . فإذا جاءوا يرفُلون في الحُلَلِ ثُرْنا إلى سيوفنا وهم غارّون فأهمدناهم[3] بها . قالوا : نفعل . فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفُلون في الحلي والحُلَل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفَهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفْلة فلم يَدَعوا منهم أحداً . فقال الأسود في ذلك : [من البسيط]

ذُوقِــي ببغيك يــا طَسْمٌ مجلِّلة فقد أتيتِ لَعَمْرِي أعجبَ العجبِ
إنّا أبينــا فلــم ننفكّ نقتُلهم والبَغْيُ هيّج منّـا سَورةَ الغضبِ
ولــن يعــودَ علينـا بغيُهم أبداً ولن يكونوا كذي أنْفٍ ولا ذنبِ
وإن رَعَيْتــم لنــا قُرْبى مُؤكَّدةً كنَّا الأقاربَ في الأَرحام والنسبِ

[غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيىء له]

ثم إنّ بقيّة طسم لجئوا إلى حسان بن تُبّع ، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق ، فأقام بجبلي طيِّىء قبل نزول طيىء إيّاهما . وكانت طيىء تسكن الجُرْفَ من أرض اليمن . وهو اليومَ مَحَلَّة مُراد وهمدان ، وكان سيِّدُهم يومئذٍ أسامة بن لؤي بن الغَوث بن طيِّىء ، وكان الوادي مَسبَعةً ، وهم قليلٌ عَدَدُهم ، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه إلى قابلٍ ، وكانت الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم ، فاستوحشت طيِّىء لذلك وقالت : قد ظعَن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلمّا همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدِ رِيفٍ وخِصْبٍ ، وإنّا لنرى في بَعَره النَّوى . فلو أنّنا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لكنّا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فأَجمَعُوا أَمرَهم على ذلك . فلمّا كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين . فقال أُسامة بن لؤي : [من الرجز]

1 الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة .

2 النصف : إعطاء الحق .

3 أهمدناهم : أمتناهم .

اجْعَلْ طَرِيباً كحبيبٍ يُنْسى لكلّ قَـوْمٍ مُصْبَـحٌ ومُمْسى

قال : وطَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به . فهجمت طيىء على النخل في الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة ، وإذا هم برجلٍ في شعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عبّاد ، فهالَهم ما رأوْا من عِظَم خَلقه وتخوّفوه ، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستَبروها هل يرون بها أحداً غيرَه فلم يَرَوْا . فقال أُسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث : أي بُنيّ ! إنّ قومك قد عرَفوا فضلكَ عليهم في الجَلَد والبأس والرّمي ، فإن كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخِرَ الدّهر ، وكنتَ الذي أنزلتَنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله . فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن ، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه ، وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغَوْثُ بسهمٍ فقتله ، وأقامت طيىء بالجبلين بعده ، فهم هنالك إلى اليوم .

# 185 ـ [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]

## صوت

[من الطويل]

إذا قبّل الإنسانُ آخــرَ يشتهي ثناياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فــإن زاد زاد اللهُ في حَسناتــه مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وِزْرا

الشعر لرجل من عُذرةَ . والغناء لعَريب ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري]

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرِّياشيّ قال قال حمّاد الراوية . أتيتُ مكّةَ فجلستُ في حَلْقةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعة ، فتذاكروا من العُذْريّين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديقٌ من عُذْرةَ يقال له الجَعد بن مِهْجَعٍ ، وكان أحدَ بني سَلامان ، وكان يَلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سريعَ السَّلْوةِ ، وكان يُوافي الموسمَ في كلّ سنة ؛ فإذا راث[1] عن وقته تَرَجَّمْتُ[2] عنه الأخبار ، وتوكّفتُ[3] لـه الأسفـار[4] حتى يقدَم . فغمّنـي ذاتَ سنـةٍ إبطـاؤه حتى قدِم حُجّاج عُذْرةَ ، فأتيتُ القومَ أَنْشُد صاحبي ، وإذا غلامٌ قد تنفّس الصُّعَداء ثم قال : أعَنْ أبي المُسْهِرِ تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهات ! أصبح والله أبو المُسْهِرِ لا مُؤْيساً فيُهْمَل ولا مرجوّاً فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما حُبّي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضِي بِـهِ فأموت

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهوُّركما في الضَّلال ، وجَرِّكما أذيالَ الخَسار ، فكأنّكما لم تسمَعا بجَنّة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منه يا ابنَ أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أمَا واللهِ يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلُك مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلاّ أنّك وأخاك كالبُرْد والبِجادِ لا تَرقَعُه ولا يَرْقَعُك ، ثم صرَفتُ وجهَ ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

1 راث : أبطأ .
2 ترجمته : تظننت ، من الرجم .
3 وتوكفت : توقعت وانتظرت .
4 الأسفار : جماعة المسافرين .

أرائحــةٌ حُجّــاجُ عُذْرَةَ وِجْهةً ... ولمّا يَرُح في القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقي من الهوى ... متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ وإن قلتُ يَسمعِ
أَلا ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه ... فلي زَفَراتٌ هِجْنَ مـا بين أَضلُعِي
فــلا يُبْعِدَنْــكَ الله خِلاً فإنّني ... سأَلقى كما لاقيتَ في كلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرفات . فبينا أَنا كذلك إذ أَنا بإنسان قد تغيّر لونه وساءت هيئته ، فأدنى ناقتَه من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْل ، وطُولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

لئن كانــت عُدَيّةُ ذاتَ لبٍّ ... لقــد علمتْ بأنّ الحبَّ داءُ
أَلَم تنظُـرْ إلى تغيير جسمي ... وأنّــي لا يفارِقُنِــي البكاءُ
ولــو أنّي تكلّفــتُ الذي بي ... لقَفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاءُ[1]
فإنّ معاشري ورجــال قومي ... حُتُوفهــم الصَّبابــةُ واللِّقاءُ
إذا العُذْريُّ مات خَلِيَّ ذَرْعٍ ... فــذاك العبــدُ يبكيــه الرِّشاءُ

فقلت : يا أَبا المُسْهِر إنّها ساعة تضْرَب إليها أُكباد الإبل من شَرْقِ الأرض وغَرْبها . فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِناً أن تظفرَ بحاجتك وأن تُنْصَرَ على عَدُوِّك . قال فتركني وأقبل على الدّعاء . فلمّا نزلت الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أن يُفِيضوا سمعتُه يتكلّم بشيء ، فأصغيتُ إليه ، فإذا هو يقول : [من الرجز]

يــا رَبَّ كلِّ غَــدْوةٍ ورَوْحــهْ ... من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحى ولَوْحَهْ
أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحهْ

[الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها]

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأُخبرنّك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفةَ ، فأقبل عليّ وقال : إنّي رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ ، وذو المال لا يُصْدِره ولا يُرْوِيه الثِّماد[2] . وقَطَر الغيث أرضَ كَلْبٍ ، فانتجعتُ أَخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْني جُمَّةَ[3] الماء ، وكنتُ فيهم في خير أَحوال . ثم إنّي عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحَوذان ، فركبتُ فرسي وسَمَطت[4] خَلْفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت ،

1 قف : يبس .
2 الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا ماء له .
3 جُمة الماء : معظمه .
4 سمط هنا : علق .

حتى إذا كنت بين الحيّ ومَرْعى النَّعَم رُفِعَتْ[1] لي دوحة عظيمةٌ ، فنزلتُ عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظِلِّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحيّ ورُفِعتْ لي شخوصٌ ثلاثة ، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُد مِسْحَلاً[2] وأتاناً[3] ، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصرَيه ، فقلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْس أعْجلته لذّةُ الصيد فترك ثوبَه ولبس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلاّ يسيراً حتى طعَن المسْحَلَ وثنّى طعنةً للأتان فصرَعهما ، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول : [من الرجز]

نَطْعُنُهم سُلْكى ومخلوجةً كَـرَّكَ لأمَيْنِ على نابـلِ[4]

فقلت : إنّك قد تَعِبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجلَه فنزل فشدّ فَرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدِّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذُؤَيب : [من الطويل]

وإنّ حديثاً منكِ لـو تَبْـذُلِينَهُ جَنى النَّحْلِ في ألبان عُوذٍ مَطافِلِ[5]

فقمتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسَر العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانَك اللهُمَّ ! ما أعظمَ قُدرتَك وأحسنَ صَنعتَك ! . فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : ممّا راعني من جمالك وبَهرني من نورك . قال : وما الذي يروعُك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابّ ، ثم لا يدري أينعَم بعد ذلك أم يبأس . قلت : لا يصنَع الله بك إلاّ خيراً . ثم تحدَّثنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : وما هذا الذي أرى قد سَمَطتَ في سَرْجِك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أرَبٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرب منه وجعل ينكُت أحياناً بالسَّوْط على ثناياه ، فجعل والله يتبيّن لي ظِلُّ السوط فيهن . فقلت : مهلاً فإنّي خائفٌ أن تكسِرهنّ . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنّهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ . قال : ثم رفَع عقيرته يتغنّى : [من الطويل]

إذا قبّـل الإنسانُ آخـر يشتهي ثناياه لَـمْ يأثَمْ وكان لـه أجْرا
فـإن زاد زاد الله في حَسناتـه مثاقيلَ يمحو الله عنه بهـا الوِزْرا

---

1 رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .
2 المسحل : الحمار الوحشيّ .
3 الأتان : الحمارة الوحشية .
4 السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . اللأم : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى .
5 عوذ : جمع عائذة وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فبرقتْ لي بارقةٌ تحت الدِّرْع . فإذا ثَدْيٌ كأنّه حُقٌّ عاجٍ . فقلت : نَشَدْتُك الله أَمْرأةٌ ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّي[1] أكره العشيرَ وأُحِبّ الغَزَل . ثم جلستْ فجعلتْ تشرب معي ما أفقَد من أنسها شيئاً حتى نظرتُ إلى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة . فوالله ما راعَني إلاّ مَيْلُها على الدوحة سَكْرى . فزُيِّن لي والله الغَدْرُ وحَسُنَ في عيني ، ثم إنّ الله عصَمني منه ، فجلستُ حَجرةً منها . فما لبثتْ إلاّ يسيراً حتى انتبهتْ فَزِعةً ، فلاثت عِمامَتها برأسها ، وجالت في مَتْن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصُّحْبة خيراً . قلت : أَو ما تزوِّدينني منك زاداً ؟ فناولتني يدَها ، فقبَّلتها فشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت ، فذكرتُ قول الشاعر : [من البسيط]

كأنّها إذ تقضَّى النوم وانتبهت سَحابةٌ ما لها عَينٌ ولا أَثَرُ

قلت : وأين الموعدُ ؟ قالت : إنّ لي إخوةً شُرساً وأبا غَيُوراً . ووالله لأن أَسُرّك أحبُّ إليّ من أن أَضُرَّك ، ثم انصرفت . فجعلت أُتبعها بصَري حتى غابت ، فهي والله يا ابنَ أبي ربيعة أحلّتني هذا المَحَلَّ وأبلغتني . فقلت له : يا أبا المُسْهِر إن الغَدْر بك مع ما تذكر لمليح . فبكى واشتدّ بكاؤه . فقلت : لا تَبْكِ ؛ فما قلتُ لك ما قلتُ إلاّ مازحاً ، ولو لم أَبلُغ في حاجتك بمالي لسعيتُ في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال لي : خيراً . فلمّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي فشدّ على بعير له ، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أدَمٍ كانت لأبي ربيعة المخزوميّ ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطْرَفَ خَزٍّ ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كَلْبٍ ، فنَشَدْنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيِّد الحيّ وإذا الناس حَوْلَه ، فوقفت على القوم فسلّمت ، فردّ الشيخ السلام ، ثم قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة . فقال : المعروف غيرُ المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : الكُفْء ، والرَّغْبَة . قلت : إنّي لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زَهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشرَفِك ، ولكني أتيتُ في حاجة ابن أُختكم العُذْرِيّ ، وهاهو ذاك . فقال : والله إنّه لكَفِيءُ الحَسب رفيعُ البيت ، غيرَ أنّ بناتي لم يَقَعْنَ إلاّ في هذا الحيّ من قُرَيش . فوجَمتُ لذلك ، وعَرف التغيُّرَ في وجهي فقال : أما إنّي صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك . قلت : وما ذاك فمثلي مَنْ شَكَر ؟ قال : أُخيِّرها فهي وما اختارت . قلت : ما أنصفتَني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيار غيرَك . فأشار إليّ العُذْريُّ أن دَعْه يخيّرها . فأرسل إليها : إنّ من الأمر كذا وكذا . فأرسلتْ إليه : ما كنتُ لأَستبدَّ برأي دون القرشيِّ ، فالخيار في قوله ، حكّمه . فقال لي : إنّها قد ولّتْك أَمرَها فاقْضِ ما أنت قاض . فحَمِدْتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه

---

1 ل : إنها تكره .

وقلت : اشهَدوا أنّي قد زوّجتها من الجَعْدِ بن مِهْجَع وأصدقتها هذا الألَف الدِّينارِ ، وجعلتُ تَكرِمَتها العبدَ والبعيرَ والقبّة ، وكسوتُ الشيخ المِطْرَفَ ، وسألته أن يبنيَ بها عليه في ليلته . فأرسل إلى أُمّها ، فقالت : أتخرُج ابنتي كما تخرج الأَمَةُ ! . فقال الشيخ : هَجِّري[1] في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، ثم أُهديتْ إليه ليلاً ، وبِتُّ أنا عند الشيخ . فلمّا أصبحتُ أتيت القُبّة فصِحْتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثّر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدتْ لي والله كثيراً مما كانت أخفتْه عنّي يوم لَقِيتها . فسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

كتمتُ الهوى لمّا رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتًى بعضَ الصديق يريدُ
وأن تَطْرَحَنّي أو تقولَ فُتَيَّةٌ ... يَضُرّ بها بَرْحُ الهوى فتعودُ
فورّيتُ عمّا بِي وفي داخل الحَشى ... من الوجدِ بَرْحٌ فاعلَمَنَّ شديدُ

فقلت : أَقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول : [من الطويل]

كفيتُ أخي العذريَّ ما كان نابَه ... وإنّي لأعباء النوائب حَمّالُ
أما استُحْسنتْ منّي المَكارِمُ والعُلا ... إذا طُرِحتْ ! إنّي لمالِي بَذّالُ

وقال العذري : [من الطويل]

إذا ما أبو الخَطّاب خلّى مكانه ... فأُفٍّ لِدُنْيا ليس من أَهلها عُمَرْ
فلا حَيَّ فِتْيانُ الحجازين بعدَه ... ولا سُقِيتْ أَرضُ الحجازين بالمطرْ

## صوت

[من الكامل]

إنّ الخليطَ قَدْ ازْمَعوا تَرْكِي ... فوقفتُ في عَرَصاتهم أبكي
جِنِّيَّةٌ بَرَزتْ لتقتُلَني ... مَطْلِيّةُ الأَصداغ بالمسكِ
عجباً لمثلكِ لا يكونُ له ... خَرْجُ العِراقِ ومِنْبَرُ الملكِ

الشعر لابن قَيس الرُّقَيّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذْكَر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

---

1 هجّري : بادري وأسرعي .

# [ 186 ] ـ أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[نسب عائشة بنت طلحة]

عائشة بنت طلحة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عامر بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم . وأُمّها أُمّ كُلثوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق . أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال مُصعَبٌ :

[كانت لا تستر وجهها]

كانت عائشة بنت طلحة لا تستُر وجهَها من أحد . فعاتبها مُصعَبٌ في ذلك ، فقالت : إنّ الله تبارك وتعالى وَسَمني بِمَيسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم ، فما كنتُ لأستُره ، ووالله ما فيَّ وَصْمةٌ يقدِر أن يذكُرَني بها أحدٌ . وطالت مُرادَّةُ مصعبٍ إيّاها في ذلك ، وكانت شَرِسة الخلق . قال : وكذلك نساء بني تَيم هنّ أشرس خَلق الله وأحظاه عند أزواجهن . وكانت عند الحُسَين بن عليٍّ صلوات الله عليهما أُمّ إسحاق بنت طَلحة ، فكان يقول : والله لَربّما حَمَلتْ ووضعتْ وهي مُصارِمةٌ لي لا تكلّمني .

[غضبها على مصعب]

قال : نالت عائشة من مُصعَبٍ وقالت : عَلَيّ كظَهر أمِّي ، وقعدتْ في غُرفة وهيّأت فيها ما يُصلحها . فجَهد مصعبٌ أن تكلّمه فأبتْ . فبعث إليها ابن قيس الرقيّات ، فسألها كلامَه ، فقالت : كيف بيميني ؟ فقال : هاهنا الشَّعْبيُّ فقيهُ أهل العِراق فاستفتيه . فدخل عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء . فقالت : أتُحلّني وتخرج خائباً ؟ فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم . وقال ابن قيس الرُّقيّات لمّا رآها : [من الكامل]

جِنّيَّـــةٌ بَـــرَزتْ لتقتلنا مَطْلِيَّـةُ الأقراب بالمِسْكِ[1]

وذكر باقي الأبيات .

[غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب ]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم قال : كان أشْعَب يألَف مصعباً ، فغضِبت عليه عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أشْعب . فقال : مالي إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . قال . عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى

1 الأقراب : جمع قُرُب وهو الخاصرة .

عائشة فقال : جُعِلْتُ فِداءَك ! قد علمتِ حُبّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليك من غير مَنالةٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضت تقضِين بها حَقّي وترتهنين بها شُكري . قالت : وما عَناك ؟ قال : قد جعل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إنْ رَضِيت عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فارْضَيْ عنه حتى يُعْطِيني ثم عُودِي إلى ما عَوّدك الله من سُوء الخُلق . فضَحِكتْ منه ورضيتْ عن مصعب . وقد ذكر المدائنيُّ أنّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأنّ الرسول إليها والمخاطِب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عَتيق .

[وصف عزّة الميلاء لها ولامرأتين]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي حُدِّثت عن صالح بن حسّان قال : كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمّى عَزّة المَيْلاء يألَفها الأشراف وغيرُهم من أهلِ المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنّا خطَبنا فانظري لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومَنْ خطبتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يا ابن أبي أُحَيْحةَ ؟ قال : عائشةَ بنت عثمان . قالت : فأنت يا ابن الصِّدّيق ؟ قال : أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتي مَنْقَلي (تعني خُفَّيها) فلَبِستْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها ، فإذا هي بجماعة يزحَم بعضُهم بعضاً ، فقالت : يا جارية أنظري ما هذا . فنظرت ثم رجعت فقالت : امرأةٌ أُخِذَت مع رجل . فقالت : داءٌ قديم ، امضِ ويلَكِ . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتُك ! كُنّا في مأدُبة أو مأتم لقريش ، فتذاكروا جمالَ النساء وخَلْقَهن فذكروك ، فلم أَدرِ كيف أَصِفُك فديتُكِ . فألقي ثيابكِ ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزّة : خُذي ثوبَك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتَكِ وبَقِيتْ حاجتي . قالت عَزّة : وما هي بنفسي أنت ؟ قالت : تُغَنّيني صوتاً . فاندفعت تغنّي لحنَها : [من الطويل]

## صوت

خَليليَّ عُوجا بالمَحَلّة من جُمْلِ ... وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والحبلِ

نَقفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلى ... تَعاقَبُها الأيّام بالريح والوبْلِ

فلو درَج النملُ الصِّغارُ بجلدها ... لأندبَ أعلى جِلْدِها مَدْرَجُ النّملِ[1]

وأحسنُ خلقِ الله جيداً ومقلةً ... تُشبَّه في النسوان بالشادن الطِّفْلِ[2]

---

1 أندب على جلدها : ترك فيه ندوباً . والندب : أثر الجرح .

2 الشادن : من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . والطِّفل : الناعم الرَّخْص .

الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعمر العُذْريّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى . فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضّة وغير ذلك ، فدفعتْه إلى مولاتها فحملتْه . وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، حتى أتتِ القومَ في السقيفة . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً ، محطوطةُ المتنين[1] ، عظيمة العجيزة . ممتلئة الترائب[2] ، نقيّة الثغر وصَفْحة الوجه ، فرعاءُ الشعر[3] ، لفاء الفَخِذين[4] ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن[5] ، ذات عُكَنٍ[6] ، ضخمة السُّرّة ، مُسَرْوَلَة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يا ابن أبي أُحيحة فإنّي والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ ، ليس فيها عيب . والله لكأنّما أُفرِغتْ إفراغاً ، ولكن في الوجه رَدّة[7] ، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنِس به . وأمّا أنت يا ابن الصِّدِّيق فوالله ما رأيت مثل أُمِّ القاسم ، كأنّها خُوط[8] بانة تنثني ، وكأنّها جَدْلُ عِنان ، أو كأنها جانٌّ[9] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ . ولكنّها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملأ كلٌّ شيء مثلَه . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ .

[تُشْبه خالتها أم المؤمنين]

أخبرني الطُّوسيّ وحِرْميٌّ عن الزبير عن عمّه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزّبيريّ والمدائنيّ ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك ، قالوا جميعاً : إنّ أُمّ عائشةَ بنتِ طلحة أُمُّ كلثوم بنت أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، وأمّها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زُهير من بني الخَزرج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها . فزوّجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن

---

1 محطوطة المتنين : ممدودتها . والمتنان : جنبتا الظهر .

2 الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .

3 فرعاء الشعر : طويلته .

4 واللفف في الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

5 خميصة البطن : ضامرته .

6 العكن : الأطواء في البطن ، الواحدة عكنة .

7 الردّة : القبح مع شيء من الجمال .

8 الخوط : الغصن الناعم .

9 الجان : حيّة كحلاء العين لا تؤذي . الخشف : ولد الظبية .

أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرِها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنى ، وعبدَ الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة وتزوّجها الوليد بن عبد الملك ، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ . وكان ابنها طلحةُ من أجواد قريش ، وله يقول الحزين الدِّيليُّ : [من المتقارب]

فإنْ تـك يـا طَلْحُ أعطيتَني عُذافِـرةً تَسْتَخِـفّ الضِّفارا[1]
فمـا كان نَفْعُـك لي مَـرّةً ولا مَرّتـين ولكـن مِرارا
أبوك الذي صـدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّـك بيضـاء تَيْمِيّـةٌ إذا نُسِب الناسُ كانوا نُضارا

[مصارمتها لزوجها]

قال : فصارمت عائشةُ بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غَضْبى ، فمرّت في المسجد وعليها مِلْحَفَةٌ تريد عائشة أُمّ المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنّها من الحُور العِين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر . وكان زوجُها قد آلى منها ، فأرسلتْ عاشئة : إنّي أخاف عليك الإيلاء[2] ، فضمّها إليه . وكان مُولياً منها فقيل له : طَلِّقْها ، فقال : [من الطويل]

يقولـون طَلِّقْها لأُصْبحَ ثاوياً مُقيماً عليّ الهـمُّ ، أحلامُ نائمِ
وإنّ فِراقي أهـلَ بَيْتٍ أُحِبُّهم لهم زُلفةٌ عندي لإحدى العظائمِ

فتوفّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فما فتحتْ فاها عليه ، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذُنوبها التي تعدّدها . ثم تزوّجها بعده مُصعَب بن الزُّبير ، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وبلغ ذلك أخاه فقال : إن مصعباً قدّم أيْرَه ، وأخّر خَيْرَه . فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مَروان فقال : لكنّه أخّر أيْرَه وخيرَه . وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحَق به بمكّة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلاّ بالبيداء ، وقال له : إنّي لأرجو أن تكون الذي يُخسَف به بالبيداء ، فما أمرتُك بنزولها إلاّ لهذا . وصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

[عاسرت مُصعباً ثم ياسرته]

قال وحدّثني المدائنيّ عن سُحَيْم بن حَفْص قال : كان مصعب بن الزبير لا يقدِر عليها إلاّ

1 العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . الضِّفار : ما يُشَدّ به البعير من الشعر المضفور .
2 الإيلاء : اليمين ، وهو أن يقسم الزوج ألاّ يقرب امرأته ، وحكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف ، فإمّا أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

بتَلاحٍ ينالها منه وبضَرْبها . فشكا ذلك إلى ابن أبي فَروة كاتبه . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنْتَ لي . قال : نَعَمْ ! افعَلْ ما شئتَ فإنّها أفضلُ شيء نِلتُه من الدنيا . فأتاها ليلاً ومعه أسْودان فاستأذن عليها . فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال نعم . فأدخلته . فقال للأسودين : احفِرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شُؤْم مولاتِك ، أمرني هذا الفاجر أن أدفِنها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَمٍ حرامٍ . فقالت عائشة : فأنظِرْني أذْهَبْ إليه . قال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفِرا . فلمّا رأتِ الجِدّ منه بكتْ ثم قالت : يا ابن أبي فَروة إنّك لَقاتلي ما منه بدٌّ ؟ قال : نعم ، وإنّي لأعلم أنّ الله سيجزيه بعدك ، ولكنّه قد غضِب وهو كافر الغَضَبِ . قالت : وفي أيِّ شيء غَضَبُه . قال : في امتناعك عنه ، وقد ظنّ أنّك تُبغِضينه وتتطلّعين إلى غيره فقد جُنّ . فقالت : أَنشُدُك اللهَ إلاّ عاودتَه . قال : إنّي أُخاف أن يقتلني . فبكتْ وبكى جوارِيها . فقال : قد رَقَقتُ لك ، وحلف أنه يغرِّر بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَن عنّي ألاّ أعود أبداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيامٌ بحقّك ما عشتُ . قال : فأعطيني المَواثيقَ ، فأعطتْه . فقال للأسودين : مَكانَكما ، وأتى مصعباً فأخبره . فقال له : استوثِقْ منها بالأيمان ، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب .

[أخبار لها مع مصعب]

قال : ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبِّحة[1] ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت أحبّ إليَّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرّة ، فطالت مصارمتها له وشقّ ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفِر ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها . فقالت : الآن يصلح أن تخرجي إليه . فخرجتْ فهنّأته بالفتح وجعلت تمسَح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إنّي أُشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أُخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المِسعَر قال : كان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بعائشة بنتِ طلحة ، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودَماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعِفّةً ، وإنّها دعت يوماً نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهنّ في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و] المِجْمَرُ[2] ، وخلعت على كلّ امرأةٍ منهنّ ، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخزّ

1 التصبّح : نوم الغداة .

2 المجمر : العود الذي يتبخر به .

ونحوهما ، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزّة ، هاتي يا عَزّة فغنّينا ، فغنّتهن في شعر امرىء القيس : [من المتقارب]

وثَغْـرٍ أغَـرَّ شَتِيتِ النباتِ لذيـذِ المُقبَّـلِ والمُبْتَسَمْ

ومـا ذقتُـه غيرَ ظَـنٍّ بـه وبالظنِّ يقضِي عليك الحَكَمْ

وكان مصعبٌ قريباً منهنّ ومعه إخوانٌ له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ ، فصاح : يا هذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على وصفتِ ، فبارك الله فيك يا عزّة ! ثم أرسل إلى عائشة : أمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا إليك مع مَنْ عندك ، وأمّا عزّة فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود إليكِ ، ففعلتْ . وخرجت عزّة إليه فغنّته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزّة إنّك لَتُحسِنِين القولَ والوصف ، وأمَرها بالعَوْد إلى مجلسها ، وتحدَّثَ ساعةً مع القوم ثم تفرَّقوا .

[خطبها بشر بن مروان فتزوّجت عمر بن عبيد الله]

وقال المدائنيّ ، وذكره القَحْذَميّ أيضاً في خبره ، : فلمّا قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرٌ بن مروان ، وقدِم عُمَرُ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بِشْر بن مروان خَطبها ، فأرسل إليها جاريةً لها وقال : قُولي لابنة عمِّي يقرئك السلامَ ابنُ عمّك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول ، وأنا ابن عمّك وأحقُّ بك ، وإن تزوّجتُ بك ملأتُ بيتَك خيراً ، وحِرَكِ أيْراً . فتزوّجته فبنى بها بالحِيرة ومهدت له سبعةَ أفْرِشةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع ، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ . قال : فلقيته مولاةٌ لها فقالت : أبا حفص فديتُك ! قد كَمُلتَ في كلّ شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره إنّ بشراً بعث إليها عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر يخطبها عليه ، فقالت له : يا مصارع قلة ! أمَا وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمِّك غيركَ ! فأين بك عن نفسك ؟! قال : أوَ تفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوّجها . وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : لمّا بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنّك الليلةَ ، فلم يصنَع إلاّ واحدةً . فقالت له لمّا أصبح : قُمْ يا قَتّال . قال : وقالت له حينئذٍ : [من الرمل]

قـد رأيناك فلم تَحْلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبرْ

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزُّبيريّ وعصبيّة . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق .

[ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القَحْذَميٍّ أنّ عمر بن

عبيد الله لمّا قَدِم الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هديّة ، وقال لمولاتها : لك عليّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلةَ . وأمر بالمال فحُمِل فأُلقي في الدار وغُطّي بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها . أهذا فرشٌ أم ثِياب ؟ قالت : انظُرِي إليه ، فنظرتْ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءُ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَباً ؟ قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخولُه إلاّ بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ؟ فوجهُك والله أحسنُ من كلّ زينة ، وما تَمُدِّين يدَك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليكِ أن تأذَني له . قالت : افعلي . فذهبتْ إليه فقالت له : بتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأُدْنِيَ إليه طعامٌ فأكل الطعام كلّه حتى أعرى الخِوان ، وغَسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرتُه فتوضّأ ، وقام يصلّي حتى ضاق صدري ونِمْتُ ، ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخُلْ ، فأدخلتُه وأسبلتُ السترَ عليهما . فعددتُ له في بقيَّة الليل على قلّتها سَبْعَ عشرة مرّة دخل المتوضّأ فيها . فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ والله ما رأيتُ مثلكَ ، أكلتَ أكْلَ سبعة ، وصلَّيت صلاةَ سبعةٍ ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على مَنكِبِ عائشة ، فضحِكتْ وغطّت وجهها وقالت : [من الرمل]

قـد رأيناك فلم تحلُ لنا    وبلوناك فم نرضَ الخبرْ

ويدلّ أيضاً على بطلان خبره أنه لمّا مات ندَبته قائمةً ، ولم تندُب أحداً من أزواجها إلاّ جالسةً فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمهم عليّ وأمسّهم رحِماً بي ، وأردتُ ألاّ أتزوّج بعده . وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها . أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير بن حرب عن محمد بن سلاّم . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

## ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها

[في خلوتها مع عمر]

قال المدائنيّ في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحّيت ، ودخل عُمر بن عُبَيد الله ، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا نتشهّى لهذه الفحول بكلّ ما حرّكها وكلّ ما قدَرنا عليه .

[ندم ضرتها بعد أن رأتها متجردة]

قال المدائنيّ : وحدّثني مسلمة بن مُحاربٍ قال : قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلَفٍ ـ

وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود ـ لمولاة لعائشة بنت طلحة : أرِيني عائشة متجرِّدة ولك ألفا درهم . فأخبرتْ عائشةَ بذلك . قالت : فإنّي أتجرَّد ، فأعلميها ولا تعرِّفيها أنّي أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفتْ عليها مقبلةً ومدبرةً ، فأعطتْ رملةُ مولاتَها ألفَيْ درهم ، وقالت : لَوَدِدْت أنّي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أَرَها . قال : وكانت رملة قد أسنّت ، وكانت حسنةَ الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف .

وفيها وفي عائشة يقول الشاعر : [من البسيط]

انْعَمْ بعائشَ عَيْشاً غيرَ ذي رَنَقٍ وانبِذْ برملَةَ نَبْذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ

ويقال : إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيّام إقرائها ثم تغتسل ، تُريه أنّها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حَيْضِها . فقال في ذلك بعضُ الشعراء : [من الخفيف]

جعلَ اللهُ كلَّ قَطْرةِ حَيْضٍ قَطَرتْ منكِ في حَمالِيقِ عيني

[أخبار لها مع عمر بن عبيد الله]

أخبرنا بذلك الجوهريّ عن عمر بن شبّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبي مُحَلِّم عن أبي بكر بن عيّاش قال : قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصاب منها طِيب نَفْسٍ : ما مرّ بي مثلُ يومِ أبي فُدَيكٍ[1] . فقالت له : اعْدُدْ أيّامَكَ واذكُرْ أفضلَها ، فعدَّ يومَ سجِستانَ ويوم قَطَرِيٍّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن في أيّامك أشجعَ منك فيه . قال : وأيّ يوم ؟ قالت : يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ . تُريد قبْحَ وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانيَ سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين ، فتأيّمتْ بعده ، فخطبها جماعةٌ فردّتهم ، ولم تتزوّج بعده أحداً .

قال المدائنيّ : كان عمر بن عبيد الله من أشدّ الناس غَيْرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ ، فقال لها : انفُضي الترابَ عنّي . فأخذتْ مِنْديلاً تنفُض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصعَبٍ ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثني القَحْذَميّ قال : كانت عائشة بنت طلحة من أشدِّ الناس مغايظةً لأزواجها ، وكانت تكون لمن يجيء يحدِّثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء

---

1 أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، قُتِل في معركة مع جيش عبد الملك بن مروان سنة 73هـ .

الأمير ضَمَّتْ عليها مِطْرَفَها وقَطَّبتْ . وكانت كثيراً ما تَصف لعمر بن عبيد الله مصعباً وجمالَه ، تَغِيظه بذلك فيكاد يموت .

[طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجّت]

وقال المدائنيّ حدَّثني مَسلمة بن مُحارِب وعُبيد الله بن فائد ، وأُخبرنا به حِرْميّ عن الزبير عن عمّه ومحمد بن الضحّاك ، قالوا : دخلتْ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّة ، فقالت : يا أَميرَ المؤمنين ، مُرْ لِي بأعوانٍ . فضمّ إليها قوماً يكونون معها ، فحجّت ومعها ستّون بغلاً عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرَض لها عُروة بن الزبير فقال : [من الرجز]

عائشُ يا ذاتَ البغالِ السِّتّينْ أَكُلَّ عـــامٍ هكـــذا تَحُجّينْ

فأرسلت إليه : نَعَمْ يا عُرَيَّة ، فتَقَدَّمْ إن شئتَ ؛ فكفّ عنها . ولم تتزوّج حتى ماتت .

[حجّت مع سكينة بنت الحسين]

وقال غير المدائنيّ : إنّ عائشة بنت طلحة حجّت وسُكَيْنة بنت الحسين عليهما السلام معاً ، وكانت عائشةُ أَحسنَ آلةً وثَقَلاً[1] . فقال حاديها : [من الرجز]

عائشَ يـا ذات البغال السِّتّين لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحُجّين

فشقّ ذلك على سُكينة . ونزل حاديها فقال : [من الرجز]

عائش هــذي ضَرَّةٌ تشكوك لولا أَبوهــا مــا اهتدى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكُفَّ فكَفَّ .

[بهر موكبها في الحج عاتكة بنت يزيد]

وقال : إسحاق بن إبراهيم في خبره حدَّثني محمد بن سَلاّم عن يزيد بن عِياض قال : استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحجّ ، فأُذِن لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري ؛ فإنّ عائشةَ بنت طلحة تَحُجُّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ فيها . فلمّا كانت بين مكّة والمدينة إذا مَوكِبٌ قد جاء فضغَطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألتْ عنها فقالوا : هذه خازنتُها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغَطهم ، فسألتْ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِبابُ والهوادِجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

[كبر عجيزتها مثار العجب]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبيصةُ عن ابن عائشة عن أُمّه عن سلاّمة مولاة جَدَّته أُثَيْلَة

---

1 الثقل : المتاع .

بنت المُغِيرةِ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ قالت :

زُرْتُ مع مولاتي خالتَها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفةٌ[1] ، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهي جالسةٌ كأنّها غيرُها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلمَ ما هي ، فلمّا وجدتْ مسَّ أصبعي قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلتُ فداءَك ! لم أدرِ ما هو ، فجئت لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مِمّا عَجِبْتِ منه .

[إعجاب أبي هريرة بجمالها]

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَة عن أبيه عن جدِّه : أنّ عائشة نازعتْ زوجَها إلى أبي هريرة ، فوقع خِمارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحانَ الله ؛ ما أحسنَ ما غَذَّاك أهلُك ! لكأنّما خرجتِ من الجَنَّة !!

[إعجاب مَنْ بمجلس هشام بعلمها]

قال ابن عائشة وحدّثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفَدَك ؟ قالت : حَبَستِ السماءُ المطرَ[2] ، ومَنَع السلطان الحقَّ . قال : فإنّي أبُلُّ رَحِمَكِ وأعرِف حقَّك ، ثم بعث إلى مشايخ بني أُمَيَّة فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمُروا عندي الليلةَ فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلاّ أفاضتْ معهم فيه ، وما طلعَ نجمٌ ولا غارَ إلاّ سَمّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أُنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتي عائشة . فأمَر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة .

[مرّ بها النُّميري الشاعر فاستنشدته وخيره معها]

أخبرني عمِّي عن الكُرانيّ عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدَّثني ابن عمران البزَّازيّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتُناضِل بين الرُّماة . فمرّ بها النُّميريّ الشاعر ، فسألتْ عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتُوني به . فقالت له لمّا أتوْها به : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينب[3] . فامتنع وقال : ابنةُ عمِّي وقد صارتْ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لَمّا فعلتَ . فأنشدها قولَه : [من الطويل]

نزلـنَ بفـخٍّ ثـمّ رُحْنَ عشيّةً يُلَبّـين للرحمـن مُعْتَمِـراتِ[4]

1 وصيفة : جارية شابة .

2 ل : القطر .

3 هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

4 فخ : وادٍ بمكة . الاعتمار : القصد والزيارة .

يخبِّئن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى ... ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتجراتِ[1]
ولمّا رأتْ رَكْبَ النميريّ أعرضتْ ... وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ
تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ ... بِه زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا وصفتَ إلاّ كرماً وطيباً وتُقًى ودِينا ، أعْطُوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها ، فقالت : عليّ به فجاء . فقالت : أنشِدْني من شعرك في زينب . فقال : أَوَ أُنْشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَواليها ، فقالت : دَعُوه ؛ فإنّه أراد أن يستَقِيد لابنة عمِّه ، هاتِ . فأنشدها : [من الكامل]

ظعَنَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغَدَوْا بلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجيزتُها ... نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ
ما صَبَّحتْ زوجاً بطَلْعتها ... إلاّ غَدا بكواكب الطَّلْقِ[2]
قُرَشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها ... عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
بيضاءُ مِن تيم كَلِفْتُ بها ... هذا الجنون وليس بالعشقِ

قالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبَّحت زوجاً بوجهي غَدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق . أعْطُوه ألفَ درهم واكسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُميريُّ .

[أخر الحارث بن خالدٍ الصلاة لتتمّ طوافها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن محمد بن سَلاّم : أنّ عبد الملك ولّى الحارث بن خالد على مكّة . فأذَّن المؤذِّن ، وخرج للصلاة ، فأرسلت إليه عائشةُ بنت طلحة : قد بقي من طَوافي شيءٌ لم آتِه ، وكان يتعشّقها ، فأمَر المؤذِّن فكَفَّ عن الإقامة ، ففرَغت من طوافها . وبلغ ذلك عبدَ الملك فعزَله . فقال : ما أهْوَنَ والله غَضَبَه وعزْلَه إيّاي عليّ عند رِضاها عنّي .

[كانت معناة بعجيزتها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال : قال سَلْمُ بن قُتَيبة : رأيتُ عائشة بنتَ طلحة بمِنًى أو مسجدِ الخَيْفِ ، فسألتني مَن أنت ؟ قلت : سَلْمُ بن قُتَيبة . فقالت : رَحِمَ الله مصعباً ؛ ثم ذهبتْ تقوم ومعها امرأتان تُنْهِضانها ، فأعجزتْها أليتاها من عظمهما ، فقالت : إنّي

1 الاعتجار : ليّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .
2 زوجاً في ل : وجهاً .

بكما لَمُعَنَّاةٌ ، فذكرتُ قولَ الحارث : [من الكامل]

وتنـــوء تُثقِلُهـــا عَجيزتُهـا نَهْضَ الضعيفِ ينـوء بالوَسْقِ

وروى هذا الخبرَ هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني أبو عمرو بن خلّاد عن المدائنيّ قال : قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منك إلاّ معاوية أوّلَ يومٍ خطَب على مِنْبرِ رسول الله ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار في الليلة القَرَّةِ في عين المقرور .

[ردّت أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة قال : كتب أبانُ بن سَعِيدٍ إلى أخيه يحيى يخطُب عليه عائشة بنتَ طلحة . ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أَيْلَة ؟ قال : أراد العُزلة . قالت : اكْتُبْ إلى أُخيك : [من الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ عــدوًّا ولا مستنفعٌ بـك نافعُ

## صوت

[من الطويل]

إذا المــالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه صنيعة تَقْوى أو صديــقٌ تُوامِقُهْ
مَنَعْتَ وبعضُ المَنْــعِ حَزْمٌ وقُوّةٌ فلَم يَفْتَلِتْك المـــالَ إلاّ حقائقُهْ[1]

عروضه من الطويل . توامقه : تفاعله من الموامقة ، أي تَوَدّه ويودّك ؛ يقال وَمَقْته أمِقُه أي أحببتُه . ويفتلتك أي يُخرِجه من يدك وقَبْضَتِك . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ، ويقال إنّه للهُذليّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[عمران الطلحي يتمثل ببيتين لكثير]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدَّثنا طلحة بن عبد الله قال حدَّثني أبو مَعمرٍ عافيـةُ بن شَيْبَة قال حدَّثني العُتبيُّ قال : أفلس صَيْرَفِيٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمرُّوا بابن عِمران الطّلحيّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابه ، فسألوه ، فقرعَ بمِخْصَرته[2] ثم رفع رأسَه إليهم فقال : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءَه صنيعةُ تَقْـوى أو صَدِيقٌ تُوامِقُهْ

---

1 حقائقه : أي حقوقه .

2 المخصرة : ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه .

بَخِلتَ وبعضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقوّةٌ فلَمْ يفتَلِتْكَ المالَ إلاّ حقائقَهْ

إنّا واللهِ ما نَحِيدُ عن الحقّ ، ولا نتدفّق في الباطل ، وإنّ لنا لحقوقاً تشغَل فضولَ أموالِنا ، وما كلُّ مَن أفلس من صَيارِفةِ المدينة قَدَرنا أن نَجْبُرَه ؛ قُومُوا . قال : فقُمْنا نستبق الباب .

[الأبرش يتمثل أمام هشام ببيتي كثيّر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو مَسلمة[1] المَدينيّ قال أخبرني أبي قال : كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مُمْلِقاً ليس في ديوانٍ ولا عَطاء ، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوماً : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل ، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألاّ يَعْرِضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبَق هشاماً يومئذٍ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه . فعرَض له الأنصاريّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤ من الأنصار ، وقد بلغتُ هذه السنَّ ولستُ في ديوانٍ . فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفرِضَ لي فَعَلَ . قال : فأقبل عليه هشامٌ فقال : والله لا أفرِض لك حتّى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ، ثم أقبل على الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جُمعة يقول : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه صنيعةُ تَقْوى أو خليلٌ توامقُهْ

منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوّة فلم يفتَلِتك المالَ إلاّ حقائقُهْ

* * *

[من شعر عمرو بن شأس]

## صوت

[من الطويل]

فوانَدَمي على الشبابِ ووانَدَمْ نَدِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذَمّ

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عِراراً بالهَوان ومن يُرِدْ عِراراً لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ

فإن كنتِ منّي أو تريدين صُحْبتي فكوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأَدَمْ

وإلاّ فبِيني مثلَ ما بان راكبٌ تيمّمَ خِمْساً ليس في وِرده يَتَمْ[2]

---

1 ل : أبو سلمة .

2 في ديوان الحماسة :

وإلاّ فسيري مثل ما سار راكب تجشّم خمساً ليس في سيره أمم

فإنّ عِـراراً إن يكن ذا شكيمةٍ ... تَعافِينَهـا منـه فما أَمْلِكُ الشِّيَمْ
وإنّ عِراراً إن يكـن غيرَ واضح ... فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ
وإنّـي لأُعطـي غَثَّهـا وسمينها ... وأَسرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادْلَهَمّ
حِذاراً على مـا كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرٍو بن شأس الأسديّ . والغناء في الأوّل والثاني من الأبيات لمعبد ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق . وذكر عمرو أنّ فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حَبَشٍ ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنّه لسُلَيم . الشامخ : الذي يشمَخ بأنفه زَهْواً وكِبْراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت[1] له : يعني للسِّمْن فلا تُفسده . والأدَمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أَدَمٌ ، كما يقال أَفِيقٌ وأفَقٌ[2] . واليَتَم[3] : الغفلة والضَّيعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختُلِج عن أُمِّه . والعرب تقول : «لا تخلِج الفَصِيلَ عن أُمّه ، فإنّ الذئب عالِمٌ بمكان الفصيلِ [اليتيم]» . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللِّجام ، وجَمعُها شكائمُ . قال عُوَيْفُ القَوافي : [من الطويل]

أَقـولُ لِفِتْيانٍ كـرامٍ تَرَوَّحُوا ... على الجُرْدِ في أفواههن الشكائمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْن : الأسود والأبيض أيضاً ؛ وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَميمٌ . وامرأةٌ عميمةٌ ، ونخلٌ عميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُّرى : السيرُ ليلاً . وادلهمّ : اشتدّ سواده . والحَرْجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِّرَمُ : جمع صِرمةٍ وهي القِطعة من الإبل يعني أن هذه الريح إذا هبّت طَرد الرعاءُ الإبل إلى مُراحِها وأعطانِها فتسكُن فيها .

1 الرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره .
2 الأفيق والأديم : الجلد المدبوغ .
3 قيل معنى اليتم هنا : الإبطاء .

# [ 187 ] ـ نسب عمرو بن شأْس[1] وأخباره في هذا الشعر وغيره

[ نسبه ]

هو عمرو بن شأْس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن ذُؤَيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسدِ بن خُزيمة . وهذا الشعر يقوله في امرأته أُمّ حسّان وابنه عِرار بن عمرو ، وكانت تُؤذيه وتعيِّره بسواده .

[شعر يخاطب به امرأته التي تؤذي ابنه عراراً]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابيّ : كانت امرأة عمرو بن شأْس من رهطه ، ويقال لها أُمُّ حسّان ، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء ، وكانت تعيِّره وتُؤْذِي عِراراً وتشتُمه ويشتمها . فلمّا أعيتْ عمراً قال فيها : [من الطويل]

ديارَ ابنــةِ السَّعْدِيِّ هِيهِ تَكَلَّمي ... بدافِقةِ الحَوْمانِ فالسَّفْحِ من رَمَمْ[2]
لَعَمْرُ ابنــةِ السَّعْدِيِّ إنِّي لأتَّقي ... خلائقَ تُؤْبى في الثَّراء وفي العَدَمْ
وقفتُ بهــا ولم أكن قبلُ أرتجي ... إذا الحَبْلُ من إحدى حَبائبي انصرمْ
وإنِّــي لَمُــزْرٍ بالمَطِـيِّ تَنَقُّـلي ... عليــه وإيقاعــي المُهنَّدَ بالعِصَمْ[3]
وإنِّــي لأُعْطِـي غَثَّها وسَمِينَها ... وأَسْرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادلهمّ
إذا الثلجُ أضحى في الديار كأنّه ... مَناثرُ مِلْحٍ في السُّهول وفي الأَكَمْ[4]
حِذاراً على مــا كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ
وأتــرك نَدْمــاني يَجُـــرّ ثيابَه ... وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ[5]
ولكنّهــا مــن رَيّــةٍ بعـد رَيّةٍ ... مُعَتّقــةٍ صهبــاء راووقُها رَذَمْ[6]

1 انظر أخباره في : ابن سلام الجمحي 46–47 والشعر والشعراء 1/425–426 والمرزباني 212–213 واللآلي 750–751 .
2 هيه : للاستزادة . والحومان ورمم : موضعان .
3 مزر : مستخف متهاون . العصم : القلائد ، واحدتها عصمة .
4 مناثر جمع مَنْثَر وهو اسم مكان من نثر .
5 الأرصال : المفاصل ، واحدها وصل .
6 راووق الخمر : ناجودها الذي تروّق فيه . الرذم : ممتلىء .

مــن العانيات مــن مُدامٍ كأنها ... مَذابحُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بها الشَّمَمْ[1]
وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ ... وإذ لا أُجيب العاذلات من الصممْ
أَلَم يأتِهــا أنّــي صَحَوْتُ وأنّني ... تحالمتُ حتى مــا أُعارِم من عَرَمْ[2]
وأطرقتُ إطراق الشُّجاعِ ولو يرى ... مَساغاً لِنابَيْهِ الشجاعُ لقــد أَزَمْ[3]
وقــد علمــتْ سعدٌ بأنّي عميدُها ... قديماً وأنّي لستُ أُهْضِمُ من هَضَمْ

يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهضَّمُه فيطلبني بمثل ذلك ، أي أرفع نفسي عن هذا .

خُزَيْمــةُ رَدّاني الفَعــالَ ومَعْشَرٌ ... قديماً بَنَوْا لي سُورةَ المَجْدِ والكَرَمْ[4]
إذا مــا وَرَدْنا الماءَ كانــت حُماتَه ... بنو أَسَدٍ يوماً على رَغْمٍ مــن رَغَمْ
أرادتْ عِــراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ ... عِراراً لَعَمْري بالهــوانِ فقد ظَلَمْ

[طلّق امرأته، ثم ندم وقال شعراً]

وذكر باقِيَ الأبيات . قال ابن الأعرابيّ وأبو بكر الشَّيبانيّ : فجَهِد عمرو بن شأسٍ أن يُصلح بين ابنه وامرأته أُمّ حَسّأن فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلمّا رأى ذلك طلّقها ، ثم ندِم ولام نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَذَكَّر ذِكْــرى أُمِّ حَسّانَ فاقْشَعَرّ ... على دُبُــرٍ لَمّا تَبَيَّنَ مــا ائتمرْ[5]
فكِدتُ أذوقُ الموتَ لو أنّ عاشقاً ... أَمَــرَّ بمُوساه الشواربَ فانتحرْ[6]
تذكّرتُها وَهْناً وقــد حال دونها ... رِعانٌ وقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجرْ[7]
فكنتُ كذات البَوِّ لمــا تَذَكّرتْ ... لهــا رُبَعاً حَنَّتْ لِمَعْهَدِه سَحَرْ[8]
حِفاظــاً ولم تَنْزِعْ هوايَ أثيمةٌ ... كذلك شأوُ المــرء يَخْلِجُه القَدَرْ

---

1 العانيات : الأسيرات .
2 عرم عرامة وعراماً : إذا اشتدّ .
3 الشجاع : الحيّة الذكر . وأزم : عضّ .
4 ردّاني : ألبسني . سورة المجد : منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .
5 ائتمر : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطىء أخرى .
6 الشوارب : عروق في الحلق .
7 الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر الليل . ورعان : جمع رَعن وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل .
8 البوّ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والرُّبَع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .

قال ابن الأعرابيّ : الأثيمة الفعيلة من الإثم ، وهي مرفوعة بفعلها ، كأنّه قال : [لم] تنزع الأثيمةُ هواي . تَخْلِجه : تَصرِفه . شأوُه : هَمُّه ونيَّته . قال وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

أَلَم تَعْلَمِي يا أُمَّ حَسَّانَ أنّني إذا عَبْرَةٌ نَهْنَهْتُها فَتَخلّتِ[1]

رجعتُ إلى صَدْرٍ كجَرَّةِ حَنْتَمٍ إذا قُرِعتْ صِفْراً من الماءِ صَلَّتِ[2]

[خبر ابنه عرار مع عبد الملك]

أُخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق بن محمد بن سَلاّم ، وأُخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن سلاّم : لمّا قتل الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بعث برأسه مع عِرار بن عمرو بن شأس الأسديّ ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجّاج ، جعل عبدُ الملك يعجَب من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عِراراً إن يَكُنْ غيرَ واضح فإنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحِك عرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبدَ الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكتَ ويْحك ؟! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال لا . قال : أنا والله هو . فضحِك عبد الملك ثم قال : حَظٌّ وافق كلمةً ، وأحسنَ جائزتَه وسرَّحه .

[شعره في قتل ملك من غسان]

وقال الطوسيّ : أغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عدِيٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِرٍ الغسّانيّ على بني أَسَدٍ ، فلقيتْه بنو سَعْدِ بن ثعلبة بن دُودَانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيّاً ، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذار أخوا ربيعة ، وأُمُّهما امرأة من كِنانة يقال لها تُماضِرُ إحدى بني فَرّاس بن غَنْم وهي التي يقال لها مقيِّدة الحمار . فقالت فاختة بنت عديٍّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِيٍّ رِماحَ بني مُقَيِّدة الحمارِ

ولكنّي خشيتُ على عديٍّ رماحَ الجِنِّ أو إيّاكَ حارِ

تعني الحارثَ بن أبي شمر خاله .

قَتِيلٌ ما قتيلُ ابنَيْ حُذارٍ بعيدُ الهَمِّ طَلاَّعُ النِّجارِ

ويروى : «جواب الصحاري» . فقال عمرو بن شأس في ذلك : [من الطويل]

1 نهنهتها : كففتها .

2 كجرة في ل : كطسَّة . والحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة . وصلّت : صوتت .

### صوت

متى تَعْرِفِ العينانِ أَطلالَ دِمْنَةٍ ... لليلى بأعلى ذي مَعارِكَ تَدْمَعا[1]
على النحرِ والسِّرْبالِ حتى تَبُلَّهُ ... سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدّارِ مَجْزَعا
خليليَّ عُوجا اليومَ نَقْضِ لُبانَةً ... وإلاّ تَعُوجا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعا
وإن تنظُراني اليومَ أَتْبَعْكما غداً ... قِيادَ الجَنيبِ أو أذلَّ وأَطوعا

وهي قصيدة . غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهي في غير هذا الموضع الحِقْدُ ؛ يقال : في صدره عَلَيَّ إحْنَةٌ ، وتِرَةٌ ، وضَبٌّ وحَسِيكَةٌ ، ودِمْنَةٌ . وعُوجا : احبِسا وتَلَبَّثا ، عاجَ يَعُوج عِياجاً . وما أَعِيجُ بكلامك أي ما أَلتفت إليه . واللُّبانة : الحاجة ؛ يقال : لي في كذا لُبانةٌ ولبونة ولُماسةٌ ، ووَطَرٌ ، وحَوْجاء ممدودةً . وقوله «لا ننطلق معاً» ، يقول إن لم تَقِفا تأخّرت عنكما فتفرّقنا . وتنظُراني تُنْظِراني ، يقال نظرته أنظُره ، وأنظرته أُنظِره ، إنظاراً ونَظِرةً أيضاً إذا أخّرته ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾ . والجنيب : المجنوب من فرس وغيره ، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رِئته من شدّة العَطَش .

[شعره في خطبة ابنة مجاوره]

وقال الطوسيّ قال الأصمعيّ : جاور رجلٌ من بني عامر بن صَعْصَعَةَ عمرَو بن شأْس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطَبها عمرو إلى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لأنّي أكره أن يقول الناس غصَبه أمرَه ، ولكن إذا أتيتُ قومي فاخطُبْها إليّ أُزَوِّجْكَها . فوجَد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألاّ يتزوّجها أبداً إلاّ أن يُصِيبها مَسْبِيَّة . فلمّا ارتحل أبوها هَمّ عمرٌو بغزو قومها ، فسار في أثر أبيها . فلمّا وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جِواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجتْ رأسها من الهَودج تنظُر إليه . فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِياً متذمِّماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

### صوت

إذا نحن أدلَجْنا وأنتِ أمامنا ... كَفى لِمَطايانا بوجهكِ هادِيا
أليس يزيدُ العِيسَ خِفَّةَ أذْرُعٍ ... وإن كُنّ حَسْرى أن تكوني أماميا[2]

---

1 ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .

2 الحسرى : جمع حسير وهي الدابة المتعبة .

ولولا اتّقاءُ اللهِ والعَهدُ قد رأى — مَنِيّتَه منّي أبوك اللّياليا
ونحن بنو خيرِ السِّباع أكيلةً — وأحْرَبه إذا تنفّس عاديا[1]
بنو أسَدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بنابِهِ — عظامَ الرجالِ لا يُجيب الرّواقيا
متى تَدْعُ قيساً أدْعُ خِنْدِفَ إنّهم — إذا ما دُعُوا أسمعتَ ثَمَّ الدّواعيا
لنا خاضرٌ لم يَحْضُرِ الناسُ مثلَه — وبادٍ إذا عدُّوا علينا البَواديا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيلٍ في الأوّل والثاني من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

[ابن سيرين ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا الحِزاميّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم قال : قلت لابن سيرين : ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ . حَسَنُه حسنٌ ، وقبيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول في النَّسيب ؟ قال : لعلّك تريد مثلَ قول الشاعر : [من الطويل]

إذا نحن أدلجنا وأنتِ أمامنا — كفى لمطايانا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أذرُعٍ — وإن كُنَّ حَسْرى أن تكوني أماميا

قال : وأراد بإنشاده إيّاهما أنّك قد رأيتَني أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إيّاه ، فلو كان به بأسٌ ما أنشدته .

## صوت

[من الطويل]

فإنْ تكُنِ القَتْلى بَواءً فإنّكم — فتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فتًى كان أحْيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ — وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ

عروضه من الطويل . البَواء بالباء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ بَبَواء ، أي ما هو له بكفء أن يُقْتَل به . و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة . وآل عوف نداء . وخَفّان : موضع مشهور . وخادر : مقيم في مَكْمَنه وغِيله ، وهو مأخوذ من الخدْر[2] .

الشعر لليلى الأخيليّة تَرثي توبة بن الحُمَيِّر . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ . وفي هذه القصيدة عدّة أغانٍ تُذْكَر مع سائر ما قاله توبةُ في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مَقتله إن شاء الله تعالى .

---

1 أحربه : أي أحرب السباع ، أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفترس الناس .
2 من معاني الخدر : أجمة الأسد .

# [ 188 ] ـ ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحميّر معها[1] وخبر مقتله

[نسب ليلى الأخيليّة]

هي ليلى بنت عبد الله بن الرَّحّال ، وقيل ابن الرحّالة ، بن شَدَّاد بن كَعْب بن معاوية ، وهو الأخْيَل وهو فارس الهَرّار ، ابن عُبادة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدِّمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحُمَيِّر يهواها .

[كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه]

وهو توبة بن الحُمَيِّر بن حَزْم بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عُقَيل .

أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن حَبِيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدَّثنا محمد بن عليّ أبو المُغيرة قال حدَّثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدَّثني أُنَيْس بن عمرو العامريّ قال : كان توبة بن الحميِّر أحدَ بني الأسديّة ، وهي عامرة بنت والبةَ بن الحارث ، وكان يتعشّق ليلى بنتَ عبد الله بن الرحّالة ويقول فيها الشعر ، فخطبَها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها وزوّجها في بني الأدْلَع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم يَرَ منها إليه بشاشةً ، فعلم أنّ ذلك لأمرٍ ما كان ، فرجع إلى راحلته فركِبها ومضى ، وبلَغ بني الأدْلَع أنّه أتاها فتبِعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك : [من الطويل]

نأَتْكَ بليلى دارُها لا تزورُها ... وشَطَّتْ نَواها واسْتَمَرَّ مَرِيرُها[2]

وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابَنِي منها الغَداةَ سُفُورُها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان توبة بن الحميّر إذا أتى ليلى الأخيليّة خرجتْ إليه في بُرْقع . فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه إلى السُّلطان ، فأباحهم دَمَه إن أتاهم . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلمّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه . فلمّا رآها سافرةً فَطِنَ لِما أرادتْ وعلِم أنّه قد رُصِد ، وأنّها سَفَرتْ لذلك تحذِّره ، فركض فرسَه فنجا . وذلك قوله : [من الطويل]

---

1 وردت ترجمتها في الشعر والشعراء 1/448–451 ، وثمة ذكر لها في ترجمة توبة بن الحمير 1/445–447 وفي الأمالي 1/86–89 .

2 النّوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر ، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة .

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقـد رابَني منها الغـداةَ سفورُها

قال أبو عُبيدة وحدَّثني غير أُنَيْس أنّه كان يُكْثِر زيارتَها ، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْتِبْ[1] ، وشَكَوه إلى قومه فلم يُقْلِع ، فتظلّموا منه إلى السلطان فأهدر دمَه إن أتاهم . وعلمتْ ليلى بذلك ، وجاءَها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْه بمجيئه ليَقتلنّها ، ولئن أنذرتْه بذلك ليَقتلنّها . قالت ليلى : وكنت أعرِف الوجهَ الذي يجيئني منه ، فرَصدوه بموضعٍ ورصدته بآخر ، فلمّا أقبل لم أقدِر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسي . فلمّا رأى ذلك أنكره فركِب راحلتَه ومضى ففاتهم .

[ضافها رجل من بني كلاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو زيادٍ الكِلابيُّ قال : خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أَوْحَشَ وأرْمَلَ[2] ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بِوادٍ ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ ، فأبصر امرأة وصِبياناً يدورون بالخِباء فلم يكلِّمه أحدٌ . فلمّا كان بعد هَدْأةٍ من الليل سمِع جَرْجَرَةَ إبلٍ رائحةٍ ، وسمِع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخَها على البيت ، ثم تقدّم فسمِع الرجلَ يُناجي المرأةَ ويقول : ما هذا السَّوادُ حِذاءَك ؟ قالتْ : راكبٌ أناخ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلِّمه . فقال لها : كذبتِ ، ما هو إلاّ بعضُ خُلاَّنك ، ونَهض يضربها وهي تناشده . قال الرجل : فسمعتُه يقول : والله لا أترك ضَرْبَك حتى يأتِيَ ضيفُك هذا فيُغيثَك . فلمّا عيلَ صبرُها قالت : يا صاحبَ البعير يا رَجُلُ ؛ وأخذ الصحميّ هِراوَتَه ثم أقبل يُحْضِر[3] حتى أتاها وهو يضربها ، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعاً ، ثم أدركتْه المرأة فقالت : يا عبد الله ، ما لك ولنا ؟ نَحِّ عنّا نفسَك ، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلتَه كلَّها وقد ظنَّ أنّه قتل الرجل وهو لا يدري مَنِ الحيُّ بعدُ ، حتى أصبح في أخبيةٍ من الناس ، ورأى غنماً فيها أَمَةٌ مولَّدة ، فسألها عن أشياء حتى بلغَ به الذكر ، فقال : أخبريني عن أُناسٍ وجدتُهم بشِعْبِ كذا . فضحِكَت وقالت : إنّك لتسألني عن شيء وأنت به عالِم . فقال : وما ذاك لله بلادُك ؟ فوالله ما أنا به عالِم . قالت : ذاك خِباء ليلى الأخيليّة ، وهي أحسنُ الناس وجهاً ، وزوجها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزب بها عن الناس فلا يَحُلّ بها معهم ، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضيفها ، فكيف نزلتَ أنت بها ؟ قال : إنّما مررتُ فنظرتُ إلى الخباء ولم أَقْرَبْه ، وكتَمها الأمرَ .

---

1 ل : لم يرضهم .
2 أوحش هنا : جاع . وأرمل : نفذ زاده .
3 الإحضار : العدو .

وتحدَّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَن هو . فلمّا أخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال : [من الوافر]

أَلا يــا ليلَ أُخْتَ بنــي عُقَيْلٍ أنــا الصَّحْمِيُّ إنْ لم تَعْرِفيني
دَعَتْنِي دعوةً فحَجَزتُ عنها بصَكّاتٍ رفعتُ بهــا يميني[1]
فإنْ تَــكُ غَيْرةٌ أُبْرِئكَ منها وإن تَكُ قد جُنْنتَ فذا جُنوني

[سألها الحجّاج عن توبة]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا رشد بن حَنْتَم الهِلاليّ قال حدَّثني أيُّوب بن عمرو عن رجل يقال له وَرقاء قال : سمعتُ الحَجّاجَ يقول لليلى الأخيليّة : إنّ شبابَك قد ذهب ، واضمحلّ أمرُك وأمر توبة ؛ فأُقسم عليك إلاّ صَدَقْتِني ، هل كانت بينكما رِيبةٌ قَطُّ أو خاطبكِ في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيّها الأمير إلاّ أنّه قال لي ليلةً وقد خَلَونا كلمةً ظننتُ أنّه قد خضَع فيها لبعض الأمرِ ، فقلتُ له : [من الطويل]

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها فليس إليها مــا حَيِيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه وأنت لأخْــرى فارغٌ وحَلِيلُ

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموت . قال لها الحجّاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجَّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقَيل فاعْلُ شَرَفاً ثم اهْتِف بهذا البيت : [من الطويل]

عفــا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً من الدهرِ لا يَسْرِي إليّ خَيالُها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له : [من الطويل]

وعنه عفا ربِّي وأحسَنَ حِفْظَه عزيزٌ علينــا حاجــةٌ لا ينالُها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع في قصيدة توبة : [من الطويل]

نأتك بليلى دارها لا تزورها

## صوت

حمامــةَ بطــن الوادِيَيْن تَرَنَّمي سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِي مَطِيرُها
أبيني لنــا لا زالَ رِيشُكَ ناعماً ولا زلتِ في خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها[2]

1 حجزت : دفعت وكففت .
2 البرير : ثمر الأراك .

وأُشْرِفُ بالقَوْزِ اليَفاعِ لعلّني ... أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرُها[1]
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ ... فقد رابني منها الغداةَ سُفورُها
عليّ دِماءُ البُدْنِ إن كان بَعْلُها ... يرى لِيَ ذنباً غيرَ أنّي أزورُها[2]
وأنّي إذا ما زرتُها قلتُ يا اسْلَمي ... وما كان في قولي اسْلَمي ما يَضيرُها
وغيَّرني إن كنتِ لَمّا تَغيَّري ... هَواجِرُ تكْتنينَها وأسيرُها
وأدماءَ من سِرِّ المَهاري كأنّها ... مَهاةُ صُوارٍ غيرَ ما مَسَّ كُورُها[3]
قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفةٍ ... مَخُوفٍ رَداها كلّما استَنَّ مُورُها[4]
ترى ضُعَفاء القومِ فيها كأنّهم ... دَعاميصُ ماءٍ نَشَّ عنها غديرُها[5]

غنّى في الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو. وغنّى في الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملاً بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجِّم، وذكر غيرُهما أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع. وغنّى فيها الهذليّ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ. وغنّى ابن محرز في «عليّ دماءُ البُدْن» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وعن ابن مِسْجَحٍ في:

وغيّرني إن كنتِ لَمّا تَغيَّري

وما بعده لحنٌ ذكَر أنّ عبد الله بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغَنِّيَ بها، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شبَّة عن إسحاق الموصليّ عن ابن الكلبيّ في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابنِ مِسجَحٍ، وذكر الهشاميّ أنّ اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

[رأى الأصمعيّ في شعر لتوبة]

حدَّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدَّثني مَن أنشد الأصمعيّ: [من الطويل]

عليّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها ... يرى لِيَ ذنباً غيرَ أنّي أزورها

---

1 القوز: الكثيب من الرمل. واليفاع: المشرف.
2 البدن: جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة.
3 الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح. والمهاري: جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة أو إلى بلد. وسرها: محضها وأفضلها. المهاة: البقرة الوحشية. والصّوار: قطيع البقر.
4 أجواز: جمع جوز، وجوز كل شيء وسطه. والتنوفة: الفلاة لا ماء فيها. واستنّ: هاج وثار. والمور: الغبار التي تثيره الرياح.
5 الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت. نش: يبس ونضب.

وأنّي إذا ما زرتُها قلت يا اسْلَمي فهل كان في قولي اسْلَمي ما يَضِيرُها

فقال الأصمعيّ : شكوى مظلومٍ ، وفعلُ ظالم .

[مقتل توبة وسببه وكيف كان]

أُخبرني بالسبب في مقتلِ توبةَ محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ عن أبي عُبيدة ، والحسنُ بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمد بن عليّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدةَ ، وأُخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، ورواية أبي عُبيدة أتمُّ واللَّفظ له . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْبِ بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ أنّه كان بينه وبين بني عامر بن عوْفِ بن عُقَيْلٍ لِحاءٌ[1] ، ثم إنّ توبةَ شهِد بني خَفاجةَ وبني عَوْفٍ وهم يختصمون عند هَمّام بن مُطرف العُقَيليّ في بعض أمورهم . قال : وكان مَروانُ بن الحكَم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سُفيان ، فاستعمله على صَدَقات بني عامر . قال : فوثَب ثَوْرُ بن أبي سِمعان بن كعب بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل على توبة بن الحميِّر فضربه بجُرْزٍ[2] وعلى توبة الدرعُ والبَيْضةُ ، فجرح أنفُ البيضة وجهَ توبة . فأمر همام بثَوْر ابن أبي سِمعانَ فأُقْعِدَ بين يدَي توبة ، فقال : خُذْ بحقِّك يا توبة . فقال له توبة : ما كان هذا إلاّ عن أمرك ، ما كان ليجترىء عليّ عند غيرك . وأمّ همّام صوبانة بنت جَوْن بن عامر بن عَوف بن عُقَيْل ، فاتّهمه توبةُ لذلك ، فانصرف ولم يقتصَّ منه . فمكثوا غيرَ كثيرٍ ، وإنّ توبة بلَغه أنّ ثور بن أبي سِمْعانَ خرج في نفرٍ من رَهْطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالَهم بموضع يقال له جُرَيْرٌ بتَثْلِيثٍ ، قال : وبينهما فلاةٌ ، فاتّبعه توبةُ في ناس من أصحابه ، فسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنّه عند رجلٍ من بني عامر بن عقَيْل يقال له ساريةُ بن عُمَيْر بن أبي عديّ وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لا نَطْرُقُهم عند سارية الليلةَ حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يُصبحون . فقال لهم ساريةُ : ادّرِعُوا[3] الليلَ ؛ فإنّي لا آمَنُ توبةَ عليكم الليلةَ فإنّه لا ينام عن طلبكم . قال : فلمّا تَعَشَّوا ادّرعوا الليلَ في الفلاة . وأقعد له توبةُ رجلين فغفَل صاحبا توبة . فلمّا ذهب الليلُ فزِع توبة وقال : لقد اغتررتُ إلى رجلين ما صنَعا شيئاً ، وإنّي لأعلم أنّهم لم يُصبحوا بهذه البلاد ، فاقتصّ آثارهم ، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعَث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دُونَكما هذا الجملَ فأَوْقِراه من الماء في مَزادتَيْه ثم اتّبِعا أَثَري ، فإنْ خَفِي عليكما أن تُدْرِكاني فإنّي سأُنوِّر لكما

1 لحاء : مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء إذا نازعه .

2 الجرُز : عمود من حديد .

3 يقال : ادّرع الليل وتدرعه إذا دخل فيه يسري ، كأنّه لبس ظلمته .

إن أمسيتما دوني . وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى إذا انتصف النهارُ جاوز عَلَماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ إلى جنب قُرون بَقَرٍ ؟ ، وقرون بقر مكان هنالك ، فإنّ ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنّه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْتَريّة ، وذلك من أرْمى مَنْ رمى . فمَنْ له يختلِجه[1] دون القوم فلا يَنْذَرون[2] بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فاحْذَرْ لا يَضْربنّك ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبين اصحابه فافْعَلْ . فخلّى طريقَ فرسِه في غَمْضٍ[3] من الأرض ، ثم دنا منه فحَمل عليه ، فرماه ابن الحَبْتَريّة ، قال : وبنو الحَبْتَرِ ناسٌ من مَذْحِجٍ في بني عُقَيل ، فعقَر فرسَ عبد الله أخي توبة واختلّ[4] السهمُ ساقَ عبد الله ، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابَه فأنذرهم ، فجمعوا رِكابَهم وكانت متفرّقةً . قال وغَشِيهم توبة ومن معه ، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالَهم وجعلوا السَّمُراتِ في نحورهم وأخذوا سِلاحهم ودَرَقَهم ، وزَحف إليهم توبة ، فارتمى القومُ لا يُغْني أحدٌ منهم شيئاً في أحد . ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ[5] له أخوه عبد الله ، قال : يا أخي لا تُتَرِّسْ لي ؛ فإنّي رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع التُّرْسَ ، عسى أن أُوافق منه عند رَفْعِه مَرْمًى فأرميَه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمةِ ثديه فصرَعه . وجالَ القومُ فغَشِيهم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صَرعى وهم سبعةُ نفرٍ . ثم إنّ ثوراً قال انتزعوا هذا السهمَ عنّي . قال توبة : ما وضعناه لننتزعَه . فقال أصحابُ توبة : انْجُ بنا نأخذ آثارَنا ونَلْحَق راويتَنا ، فقد أخذنا ثأْرَنا من هؤلاء وقد مُتْنا عَطَشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يمنَعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبة : ما أنا بفاعلٍ وما هم إلاّ عشيرتُكم ، ولكن تجيء الراوية فأَضَع لهم ماءً وأَغْسِلُ عنهم دماءَهم وأُخَيل[6] عليهم من السِّباع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بعَمْقٍ[7] . فأقام توبةُ حتى أتته الراويةُ قبل الليل ، فسقاهم من الماء وغسَل عنهم الدماء ، وجعل في أساقيهم[8] ماءً ، ثم خيَّل لهم بالثّياب على الشجر ، ثم مضى حتى

1 يختلجه : ينتزعه .
2 فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون .
3 الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض .
4 اختله السهم : أصابه ونفذه .
5 يترس له : يستره بالترس .
6 التخييل هنا : وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع .
7 عمق : موضع .
8 الأساقي : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سِقاء وهو وعاء الماء وفي مختار الأغاني «وجعل لهم في أشنانهم ماء» والأشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق .

طرَق من الليلِ ساريةَ بن عُوَيمر بن أبي عَدِيّ العُقَيْليّ فقال : إنّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسَمُراتٍ من قُرون بقر ، فأدرِكوهم ، فمَن كان حيّاً فداوُوه ، ومَن كان مَيِّتاً فادْفِنوه ، ثم انصرف فلحِق بقومه . وصبّح ساريةُ القومَ فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يَمُت غيره . فلم يزل توبةُ خائفاً . وكان السَّليلُ بن ثَوْرٍ المقتول رامياً كثيرَ البَغْي والشرّ ، فأُخبر بغرّةٍ من توبة وهو بقُنّةٍ من قِنان الشَّرَفِ يقال لها قُنَّةُ بني الحُمَيِّر ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقَه ؛ فترقّى توبةُ ورجلٌ من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو في الجبل : هأنذا مَن تبغُون فاجْتَنِبوا البيوت . فقالوا : إنّكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خُذوا ما استدف[1] لكم من ماله ، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا . ثم إنّ توبة غزاهم ، فمرّ على أفْلَتَ بن حَزْن بن معاوية بن خَفاجة ببَطْنِ بِيشةَ . فقال : يا توبة أين تُريد ؟ قال : أريد الصبيان من بني عَوْف بن عُقَيْلٍ . قال : لا تفعَل فإنّ القوم قاتِلُوك ، فمَهْلاً . قال : لا أقلع عنهم ما عشتُ ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِر و[ هو] يرتجز ويقول : [من الرجز]

تنجُو إذا قِيلَ لها يَعاطِ تنجو بهم من خَلَل الأمشاطِ[2]

حتى انتهى إلى مكانٍ ، يقال له حَجْرُ الرّاشدة ، ظليلٍ ، أسْفَلُه كالعمود ، وأعلاه منتشر ، فاستظلّ فيه [ هو] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مرّتْ عليه إبلُ هُبَيرةَ بن السَّمِينِ أخي بني عوف بن عُقَيلٍ واردةً ماءً لهم يقال له طَلوبٌ ، فأخذها وخلّى طريقَ راعِيها ، وقال له : إذا أتيتَ صُدْغَ البقرة مولاك فأخبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ ، ثم انصرف توبةُ [يَطْرُدُ الإبلَ] . قال : فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادى في بني عَوْف وقال : حَتّامَ هذا ؟ . فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتّبعوه . ونهضت امرأةٌ من بني خَثْعَمٍ مِنْ بني الهِرّةِ كانت في بني عَوف وكانت تُؤخِّذ[3] لهم ، فقالت : أرُوني أَثَره ، فخرجوا بها فأرَوْها أثَره ، فأخذتْ من تُرابه فسافتْه فقالت : اطلُبوه فإنّه [ سَيُحْبَس] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلاوَمُوا [ بينهم] وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إلاّ وقد سبقكم . قال : وخرج توبةُ حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كِلاب جعل نِذارتَه[4] وحبَس أصحابَه . حتى إذا كان بِشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْدٌ من كَبِدِ المَضْجع جعل ابن عَمٍّ له يقال له قابضُ بن عبد الله رَبيئةً [ له] على رأس الهضبة فقال : انظُر فإنْ شخَص لك شيء فأعْلِمْنا .

1 استدف : تهيأ وأمكن .

2 يَعاطِ : زجر للإبل ، ويزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

3 تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

4 النذارة : الإنذار .

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر : يا توبةُ إنّك حائنٌ[1] ، أُذَكِّرك الله ، فوالله ما رأيتُ يوماً أشْبَهَ بسَمُراتِ بني عوف يومَ أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه ، فانْجُ إن كان بك نجاةٌ . قال : دَعْنِي ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظُر لنا . قال : ويَرجع بنو عوف بن عُقَيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقَوْنَ رجلاً من غَنِيٍّ ، فقالوا له : هل أحسستَ في مجيئك أثَر خيلٍ أو أثَرَ إبلٍ ؟ قال : لا والله . قالوا : كذبتَ وضربوه . فقال : يا قومُ لا تضربوني ، فإنّي لم أجِدْ أثراً ، ولقد رأيتُ زُهاءَ كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتيك الهَضبة ، وما أدري ما هو . فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن رُوَيْبة لينظر ما في الهَضبة . فأشرف على القوم ، فلمّا رآهم ألْوى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا ، فحمَلَ أوَّلَهُم على القوم حتى غَشِي توبةَ ، وفزِع توبةُ وأخوه إلى خيلهما ، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدِر على أن يُلجِمَها ولا وقفتْ له ، فخلّى طريقها ، وغَشِيَه[2] الرّجلُ فاعتنقه ، فصرَعَه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِس الدِّرْعَ على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبة فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد يُناشده رَحِمَ صَفِيّةَ ، وصفيّة أُمٌّ له من بني خَفاجة . وغَشِي القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه ، وعَلِقَهم عبدُ الله بن الحمِّير يَطْعَنُهم بالرُّمح حتى انكسر . قال : فلمّا فرَغوا من توبة لَوَوْا على عبد الله بن الحمِّير فضربوا رجلَه فقطعوها . فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . وانصرف بنو عوف بن عُقَيْل ، وولّى قابضٌ منهزماً حتى لَحِق بعبد العزيز بن زُرارةَ الكِلابيِّ فأخبره الخبر . قال : فركِب عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مَروان بن الحكَم ، فكافأ بين الدَّمَين وحُمِلَت الجِراحات . ونزل بنو عَوفِ بن عُقَيلٍ البادية ولحِقوا بالجزيرة والشام .

[رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة : وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَمٍ ومَهْرَةَ وبني الحارث بن كَعبٍ . وكانت بينهم وبين بني عُقَيلٍ مُغاورات ، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مَسِيرةِ يومٍ منها ؛ فيُصِيبُ ما قدرَ عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه القوم ، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدِروا عليه فانصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حيناً . ثم إنّه أغار في المرّة الأولى التي قُتِل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحمِّير ورجلٌ يقال له قابض بن أبي عُقَيل ، فوجد القومَ قد حَذِروا فانصرف توبةُ مُخْفِقاً لم يُصِبْ شيئاً . فمرّ برجل من بني عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْلٍ مُتَنَحِّياً عن قومه ، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من

1 الحائن : الهالك .

2 غشيه هنا : لحقه وأدركه .

رَهْطِهِ واطَّرَدَ إبلَهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدَ العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان بن عَوف بن كِلاب ، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبي سِمعان المقتول ، فقال له خُزَيمة : صِرْ إلى بني عَوْف بن عامر بن عُقَيلٍ فأخبِرهم الخبرَ . فركِبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بني خَفاجةَ ، وقد أمِن في نفسه فنزل ، وقد كان أسْرى يومَه وليلته ، فاستظلّ ببُرْدَيه وألقى عنه دِرْعَه وخلّى عن فرسه الخَوصاءِ تتردّد قريباً منه ، وجعل قابضاً ربيئةً له ونام ، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين لئلاّ يَفْطِنَ لهم أحدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه . فقال توبةُ : ما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد ، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلبتْه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُر بهم قابضٌ حتى غَشُوه ، فلمّا رآهم طار على فرسه . وأقبل القومُ إلى توبة ، وكان أوّل مَن تقدّم غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ[1] يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْبِ بن عَوفِ بن عامر بن عُقَيلٍ ؛ ثم تلاه ابن عمِّه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا . فلمّا سمِع توبةُ وَقْعَ الخيلِ نهضَ وهو وَسْنانُ فلبس دِرعَه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخَوصاء فأتته ، فلمّا أراد أن يَركَبها أهوتْ تَرْمَحه[2] ، ثلاثَ مرّاتٍ ، فلمّا رأى ذلك لطمَ وجهَها فأدبرت ، وحال القومُ بينه وبينها . فأخذ رُمْحَه وشدَّ على يزيد بن رُوَيبة فطعنَه فأنفذ فخذيه جميعاً . وشدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلمّا رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له : فَرَرْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحُمَيِّر في ذلك . قال أبو عُبيدة وحدّثني أيضاً مُزَرّع بن عبد الله بن هَمّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال : كان أهلُ دارٍ من بني جُشَم بن بكر بن هوازِن يقال لهم بنو الشَّريد حلفاء لبني عداد بن خَفاجة في الإسلام ، فكان بينهم وبين خَميسِ بن ربيعة رَهْط قَومِه قتالٌ على ماءةٍ تُدْعى الحُلَيْفَةَ وعامّتها لجَدٍّ بن همّام . قال وشهِد عبد الله بن الحميِّر ذلك وهو أعرج ، عَرَجَ يوم قُتل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غَناءٍ . فقالت بنو عُقَيل : لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا [ منه ] بغير أفوق ناصل[3] .

[ قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه ]

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم : [من الوافر]

تَـأَوَّبَنـــي بعارمـــةَ الهمـومُ كما يعتــادُ ذا الدَّيْنِ الغريمُ[4]

---

1 الفرس العري : الذي لا سرج عليه .

2 ترمحه : ترفسه .

3 الأفوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط نصله . ونصل السهم : الحديدة التي في رأسه .

4 تأوبني الشيء : رجع إليّ ليلاً . عارمة : موضع .

كأنّ الهَمَّ ليس يُريـدُ غيري ولـو أمسى لـه نَبَطٌ ورُومُ
عَـلامَ تقـومُ عاذلتي تلومُ تُؤرّقني وما انجاب الصَّريمُ[1]
فقلتُ لهـا رُوَيْداً كي تَجَلَّى غَواشي النَّوْمِ والليـلُ البهيمُ
أَلَمّـا تَعْلَمِـي أنّـي قديماً إذا مـا شئتُ أعصِي مَنْ يلومُ
وأنّ المـرءَ لا يَدْرِي إذا ما يَهُـمُّ عَـلامَ تحمِلـه الهُمومُ
وقد تُعْدِي على الحاجات حَرْفٌ كرُكنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عقيمُ[2]
مُداخَلَةُ الفَقـارِ وذاتُ لَوْثٍ على الحُـزَّانِ مُقْحَمَةٌ غَشُومُ[3]
كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ بذاتِ الحـاذِ مَعْقِلُه الصَّريمُ[4]
طَبـاه بِرِجْلَـةِ البَقّـارِ برق فبـات الليـلَ مُنْتَصِباً يَشيمُ[5]
فبينا ذاك إذ هَبَطـتْ عليـه دَلُـوحُ المُـزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ[6]
تَهُبُّ لهـا الشَّمالُ فتمتريها ويَعْقُبُهـا بنافحـةٍ نسيمُ[7]
يُكِبُّ إذا الرَّذاذُ جـرى عليه كما يُصْغِي إلى الآسي الأَمِيمُ[8]
إذا مـا قـال أَقْشَعَ جانباهُ نَشَتْ مـن كلّ ناحيةٍ غيومُ[9]
فأشْعِـرَ ليلـه أرَقـاً وقُـرّاً يُسَهّـره كما أَرِقَ السَّليـمُ
ألا مَنْ يشتري رِجلاً بِرِجْلٍ تَخَوَّنَـها السِّلاحُ فمـا تَسُومُ[10]

---

1 الصريم : الليل والصبح ، من الأضداد . وانجاب : انشق .

2 تعدى : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل في الصلابة . الرعن : الجبل الطويل ، وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة .

3 اللوث هنا : القوة . الحزان : جمع حزين وهو المكان الغليظ المنقاد . ومن معاني المقحم : البعير الذي يسير في المفازة من غير راعٍ ولا سائق . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شيء عن هواها .

4 الجأب : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ : موضع بنجد . والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل .

5 طباه : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع .

6 الدلوح من السحاب : كثير الماء . والواهية من السحاب : التي تنبثق بالماء انبثاقاً شديداً . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك .

7 تمتريها : تحتلبها . والنافحة : وصف من نفحت الريح ، إذا هبّت .

8 يكبّ في ل : يلث ، ويكبّ : يريد أنه يطأطىء رأسه . يصغي : يميل . والأميم : المشجوج في أم رأسه أي دماغه .

9 نشت : أصله نشأت .

10 تخوّنها : تنقّصها وغيّر حالها . والسّوم هنا : سرعة المرء .

تَلومُـــكَ في القتالِ بنو عُقَيْلٍ     وكيـــف قِتالُ أعرَجَ لا يقومُ
ولـــو كنتُ القتيلَ وكان حيّاً     لَقاتـــلَ لا ألَـــفٌ ولا سئومُ[1]
ولا جَثّامـــةٌ وَرَعٌ هَيُـــوبٌ     ولا ضَرَعٌ إذا يُمْسي جَثُومُ[2]

قال : ثم إنّ خَفاجَـةَ رَهْطَ تَوبةَ جمعوا لبني عَوفِ بن عامر بن عُقَيل الذين قتلوا توبةَ ، فلمّا بلغهم الخبرُ لحِقوا ببني الحارث بم كعب ، ثم افترقتْ بنو خَفاجة . فلمّا بلغ ذلك بني عوف رجعوا ، فجمعتْ لهم بنو خَفاجة أيضاً قبائلَ عُقَيْل . فلمّا رأت ذلك بنو عَوف بن عامر بن عُقَيل لحِقوا بالجزيرة فنزلوها ؛ وهم رهط إسحاق بن مُسافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيل . ثم إنّ بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مَروان بن الحَكَم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سُفيان ، فقالوا : نَنْشُدُك اللهَ أنْ تفرِّقَ جماعتَنا ، فعَقَل[3] توبةَ وعقَل الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل ، فأدّتها بنو عامر . قال : فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلةُ توبةَ فلحِقوا بالجزيرة ، فلم يبقَ بالعالية[4] منهم أحدٌ ، وأقامت بنو رَبيعة بن عُقَيلٍ وعُروة بن عُقَيل وعُبادة بن عُقَيل بمكانهم بالبادية .

[رواية أبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عُبيدة وحدَّثنا مُزَرّع بن عمرو بن همّام ، قال أبو عبيدة : وكان معي أبو الخطّاب وغيره ، قال : تَوبة بن حُمَيِّر بن ربيعة بن كَعب بن خَفاجة بن عَمرِو بن عُقَيل ، وأمّه زُبيدة . فهاج بينه وبين السَّليل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عُقيل كلامٌ ، وكان شرِّيراً ونظيرَ توبةَ في القوّة والبأس ، فبلغ الحَوْرُ[5] (وهو الكلام) إلى أن أوعد كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسَّليلُ على غَديرٍ من ماء السماء ، فرمى توبةُ السليلَ فقتله . ثم إنّ توبةَ أغار ثانيةً على إبل بني السَّمِين بن كَعب بن عَوف بن عُقَيل واردةً ماءَهم فاطّرَدَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيْبة ، وعبدُ الله بن سالمٍ ، ومُعاوية بن عبد الله ، قال أبو عُبيدة : ولم يذكر غيرَ هؤلاء ، فانصرفوا يجنُبون[6] الخيل يحمِلون المَزادَ ، فقَصُّوا أثر توبةَ وأصحابِهِ فوجدوهم وقد أخَذوا في المَضْجَعِ من أرض بني كِلابٍ في أرضٍ

---

1 الألف هنا : الرجل الثقيل الكثير اللحم . وهو أيضاً المقرون الحاجبين . وسئوم : ملول .

2 الجثامة هنا : النؤوم الذي لا ينهض للمكارم أو البليد . والورع : الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده . والضرع : الضعيف الجبان . والجثوم الذي يلزم مكانه فلا يبرح ، والذي يتلبد بالأرض .

3 عقل فلاناً : وداه أي دفع ديته .

4 العالية : اسم لكلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة .

5 الحور : الاسم من المحاورة .

6 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

دَمِثةٍ[1] تَربةٍ ، فضَلّتْ فرسُ توبةَ الخَوْصاءُ من الليل ، فأقام واضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابُ الإبلَ ، وهم ثلاثة نَفَرٍ سوى تَوبة : المُحْرِزُ أحدُ بني عمرو بن كِلابٍ ، وقابِضُ بن أبي عُقَيل أحدُ بني خَفاجةَ ، وعبدُ الله بن حُمَيِّرٍ أخو توبةَ لأُمِّه وأبيه . فلمّا أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنى ظَلَمٍ[2] قريبة منه ليس دونها وجاحٌ[3] فأشلاها[4] حتى أتته ، ثم خرج يعدُو حتى لحِق بأصحابه ، فانتهَوْا إلى هضبةٍ بكَبِدِ المَضجَع ، فارتَقى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَب[5] ، فرآه القوم ولم يَرَهم عند طلوع الشمس ، وبالت الخوصاء حين انتهتْ إلى الهضبة ، فقال القوم : إنّه لطائر أو إنسان . فركِب يزيد بن رُوَيْبة وكان أحدثَ القومِ سِنّاً ، وأُمُّه بنت عَمِّ توبةَ ، فأغار رَكْضاً حتى انتهى إلى الهضبة ، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيَّةٌ من رَغْوته ، وإذا أثرُ توبةَ يعرِفونه ، فرجعَ فخبَّر أصحابَه . واندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لها الشُّجْرُ من أرض بني كِلابٍ ، فقالوا بالظَّهيرةِ ، فلم يَشْعُرْ شِعْره إلاّ والإبلُ قد نَفَرتْ ، وكانت بَرْكاً[6] بالهاجرة ، من وَئيد[7] الخيل . فوثب توبةُ ، وكان لا يضع السيف ، فصَبّ الدِّرْعَ على السيف متقلِّدَه وَهَلاً ، وداجت القوم ، فطلب قائمَ السيف فلم يقدِر عليه تحت الدِّرع فلم يستطع سَلَّه ، فطار إلى الرُّمح فأخذه ، فأهْوى به طَعْناً إلى يزيد ين رُوَيْبة ، وقد كان يزيد عاهد اللهَ ليقتُلَنَّه أو ليأخذَنَّه ، فأنفذ فَخِذَ يزيدَ ، واعتنقه يزيدُ فعضَّ بوجنَتَيْه ، واستدبره عبدُ الله بالسيف ففلقَ رأسَ توبة . وهَيَّتَ[8] توبةُ حين اعتوره الرجلان بقابضٍ : يا قابض فلم يَلْوِ عليه ، وفرّ قابضٌ [ و] الكلابيّ ، وذبّ عبدُ الله بن حُمَيِّر عن أخيه ؛ فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب رُكبتَه فاختلعت (أي سقطتْ) . فأتى قابضٌ من فَوْرِه ذلك عبد العزيز بن زُرارة أحدَ بني أبي بكر بن كِلابٍ فقال : قُتِل توبة . فنادى في قومه ، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال : أين تريد ؟ فقال : قُتِل توبة . فقال أبوه طوط سُحْقاً لك ! أتطلب بدمِ توبةَ أنْ قتلته بنو عُقَيْلٍ ظالماً لها باغياً عادياً عليها ! قال لكنّي أُجنّه إذاً . قال أبوه : أمّا هذه فنَعَمْ . فألقى السِّلاحَ وانطلق حتى أجنّه ، وحمل أخاه عبدَ الله بن حميِّر . قال : فأهلُ البادية يزعمون أنّ مُحْرِزاً سُحِر فأخِذ عن سيفه .

---

1 الأرض الدمثة : السهلة اللينة .
2 أدنى ظلم : أي أدنى شيء .
3 الوجاح : الستر .
4 أشلى الدابة : دعاها إليه .
5 الطلب هنا : جمع لطالب .
6 البرك هنا : جماعة الإبل الباركة .
7 الوئيد هنا : الصوت العالي الشديد .
8 هيت بفلان : صاح به ودعاه .

[رثت ليلى توبة بعدّة قصائد]

فقالت ليلى الأخيليّة بنت عبد الله بن الرحّالة بن شدّاد بن كَعْب بن معاوية فارس الهرّار بن عُبادة بن عُقَيل : [من الطويل]

نظـرتُ ورُكْنٌ من ذِقانَيْنِ دونَهُ ... مَفاوِزُ حَوْضى أيّ نَظْـرةِ ناظِرِ [1]

لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهمُ ... فلم تَقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصري

فوارسَ أجـلى شأوُها عن عَقِيرةٍ ... لِعاقِرِهـا فيهـا عَقِيـرةُ عـاقِرِ

شأوها : سُرْعتها وهو الطَّلَقُ وجريها ، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعني توبةَ . لعاقرها : تعني لعاقر توبة ، تُريد يزيدَ بن رُوَيبة . ووجهٌ آخر : في عَقِيرةٍ عاقرٍ معنى مَدْحٍ أيْ عقيرة كريمة لعاقرها . ووجهٌ آخر : عَقيرة لعاقرها : فيها الهلاكُ بعَقْرِها .

فآنستُ خيـلاً بالرُّقَـيِّ مُغيرةً ... سَوابِقُهـا مثـلُ القَطـا المُتَواتِرِ [2]

قَتِيلُ بنـي عَـوْفٍ وأَيصُرُ دونَه ... قتيـلُ بنـي عَـوْفٍ قتيلُ يُحابِرِ [3]

تَـوارِدَه أسيافُهـم فكأنّمـا ... تَصادَرْنَ عن أَقطاعِ أبيضَ باترِ [4]

مـن الهِندُوانِيـاتِ في كلِّ قِطْعةٍ ... دَمٌ زلّ عن أُثْرٍ من السَّيفِ ظاهرِ [5]

أتتْـه المنايـا دون زَغْفٍ حصينةٍ ... وأسمـر خَطِّـيٍّ وخَوْصاءَ ضامرِ [6]

على كلّ جَـرْداء السَّراة وسابحٍ ... دَرَأْنَ بشُبَّـاكِ الحديـدِ زوافرِ [7]

عَوابسَ تعـدُو الثَّعْلبيّـةَ ضُمَّراً ... وهُنّ شَواحٍ بالشَّكيم الشواجرِ [8]

فـلا يُبْعدَنْـكَ اللهُ يا تَوْبَ إنّما ... لِقاءَ المنايا دارعـاً مثـلُ حاسرِ

---

1 ذِقان : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب . وحوضى هنا : نجد من منازل بني عقيل ، وهو أيضاً : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة ينتهي إلى ابن كلاب .

2 الرقى : موضع . المتواتر : الذي يجيء بعضه إثر بعض .

3 أيصر : موضع ببلاد بني عقيل .

4 الأقطاع : جمع قِطْع وهو ما قطع من حديد أو غيره .

5 الأثر : فرند السيف ورونقه .

6 الزغف : الدروع المحكمة . والخوصاء الضامر : الفرس .

7 الجرداء من الخيل : القصير الشعر ، وهو مدح في الخيل . السراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجري .

8 الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات أفواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة .

فــإلاّ تَــكُ القَتْلى بَــواءً فإنّكم ... سَتَلْقَوْن يوماً وِرْدُه غيرُ صادرِ[1]
وإنّ السليــلَ إذ يباوِي قَتِيلَكم ... كموحومةٍ من عَرْكِها غيرِ طاهرِ[2]
فإن تكُــنِ القَتْلى بَــواءً فإنّكم ... فَتًى مـا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فَتًــى لا تَخَطَّاه الرِّفاقُ ولا يرى ... لِقِدْرٍ عِيــالاً دون جــارٍ مُجاوِرِ
ولا تأخذُ الكُومُ الجِلادُ رماحَها ... لتوبــةَ في نَحْسِ الشِّتاء الصَّنابرِ[3]
إذا مــا رأتْــه قائمــاً بسلاحه ... تَقَتْــه الخِفــافُ بالثِّقال البَهازِرِ[4]
إذا لم يَجُــدْ منها بِرِسْلٍ فقَصْرُه ... ذُرى المُرْهَفاتِ والقِلاصِ التَّواجِرِ[5]
قَرى سيفَه منهــا مُشاشاً وضَيْفَه ... سَنــامَ المَهارِيسِ السِّباطِ المَشافِرِ[6]
وتَوْبَــةُ أحْيــا مـــن فتاةٍ حيِيَّةٍ ... وأجرأُ مــن لَيْثٍ بخَفّانَ خادِرِ[7]
ونِعْــمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إنْ كان ليس بفاجرِ[8]
فتــى يُنْهِلُ الحاجــاتِ ثــم يَعُلُّها ... فيُطلِعُهــا عنــه ثَنايــا المَصادِرِ

## صوت

[من الطويل]

كأنّ فتى الفِتْيانِ تَوْبــةَ لم يُنِخْ ... قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ[9]
ولَــم يَبْنِ أبــراداً عِتاقــاً لِفِتْيةٍ ... كِرامٍ ويَرْحَلْ قبــل فَيْءِ الهواجرِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصٍّ صنعته وغنائه .

---

1 يباوي : يساوي .
2 ومرحومة : بها داء الرحم . والعرك : الحيض .
3 الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السّنام من الإبل . والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . يقال : أخذت الابل رماحها : إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدّة برده .
4 البهازر من الإبل : العظام ، واحدتها بهزرة .
5 الرِّسل : اللبن . والمرهفات : الدقيقات والتواجر هنا : الإبل النافقة في التجارة وفي السّوق .
6 المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهاريس من الإبل : الجسام الثقال . ورباط المشافر : طويلتها .
7 خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر : مقيم .
8 صدر البيت في ل : ونعم فتى الدنيا وإنْ كان فاجراً .
9 الكراكر : جمع كِركرة وهي هنا رحى زور البعير أو صدره .

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عنه وبَطْنُه لَطِيف كطَيِّ السِّبِّ ليس بحادِرِ[1]

فتًى كان للمولى سناءً ورفعةً وللطارق الساري قِرًى غيرَ باسرِ[2]

ولم يُدْعَ يوماً للحِفاظِ وللنَّدا وللحَرْبِ يرمي نارَها بالشرائرِ

وللبازلِ الكَوْماء يرغو حُوارُها وللخيلِ تعدو بالكُماةِ المَساعرِ[3]

كأنّكَ لم تَقْطعْ فلاةً ولم تُنِخْ قِلاصاً لدى فأْوٍ من الأرضِ غائرِ[4]

وتُصْبِحْ بمَوْماةٍ كأنّ صَرِيفَها صَريفُ خَطاطِيفِ الصَّرى في المَحاورِ[5]

طوتْ نَفْعَها عنّا كِلابٌ وآسَدَتْ بنا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ[6]

وقد كان حقّاً أن تقولَ سَراتُهم لَعاً لأخينا عالياً غيرَ عاثرِ[7]

ودَوِّيّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطا تَخَطَّيْتَها بالنّاعجاتِ الضّوامرِ[8]

فتَاللهِ تَبْني بيتَها أُمُّ عاصمٍ على مثله أُخْرى الليالي الغوابرِ[9]

فليس شِهابُ الحربِ تَوْبةُ بعدَها بغازٍ ولا غادٍ برَكْبٍ مُسافرِ

وقد كان طَلاّعَ النّجادِ وبَيِّن اللـ ـسان ومِدْلاجَ السُّرى غيرَ فاترِ

وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحى وسائقَ أو معبوطةً لم يُغادِرِ[10]

وكنتَ إذا مولاك خاف ظُلامةً دعاك ولم يهْتِفْ سواك بناصرِ[11]

---

1 السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

2 المولى هنا : ابن العم أو الحليف . وباسر : عابس .

3 البازل : الناقة التي انشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار : ولد الناقة . والمساعر : جمع مِسْعَر وهو الذي يوقد نار الحرب .

4 الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

5 الموماة : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خُطاف ، وهو حديدة جحناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور ، والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغيّر . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة .

6 آسدت : هيجت وأغرت .

7 لعا : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش يقال : لعا لفلان عالياً إذا دعي له .

8 الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الإبل ، البيض الكريمة أو هي التي يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنَّعْج : ضرب من سير الإبل سريع .

9 الغوابر هنا : الباقيات .

10 انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الإبل ونحوها كالرفقة من الناس . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر .

11 ولم يهتف في ل : ولم يعدل

فإنْ يَــكُ عبدُ اللهِ آسى ابــنَ أُمّه | وآبَ بــأسلاب الكَمِــيِّ المُغاوِرِ[1]
وكان كذاتِ البَـوِّ تَضْرِب عنــده | سِباعاً وقــد ألقَيْنَــه في الجَراجِرِ[2]
فإنّــك قــد فارقتَــه لــك عاذراً | وأنّى لِحَــيٍّ عُــذْرُ مَنْ في المَقابِرِ
فأقسمــتُ أبكــي بعــد تَوْبةَ هالكاً | وأحفِلُ مَــنْ نالــتْ صروفُ المَقادرِ
على مثــلِ هَمَّــامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ | لِتَبْكِ البَواكــي أو لبِشْرِ بــن عامرِ
غُلامــانِ كانــا استَوْرَدا كلَّ سَوْرَةٍ | من المَجْدِ ثــمّ استوثقا في المَصادِرِ[3]
رَبيعَــيْ حَيــاً كانا يَفِيضُ نَداهُما | على كُلِّ مغمــورٍ نَــداهُ وغامرِ
كأنَّ سَنــا نارَيْهمــا كلَّ شَتْــوةٍ | سَنا البَرْقِ يبــدو للعيــون النواظرِ

وقالت أيضاً ترثي توبةَ ، عن أُمّ حُمَيِّر ، وأُمُّها ابنةُ أخي تَوْبَةَ ، عن أُمِّها . قال أبو عبيدة : أُمّ حُمَيِّر أُختُ أبي الجرّاح العُقَيليّ . قال : وأمّها بنت أخي توبة بن حُمَيِّر . قال : وكان الأصمعيّ يُعْجَبُ بها : [من الطويل]

أيــا عَيْنُ بَكِّــي توبــةَ ابنَ حُمَيِّرٍ | بسَحٍّ كفيــضِ الجَــدْوَلِ المُتَفَجِّرِ
لِتَبْــكِ عليــه مــن خَفَاجةَ نسوةٌ | بمــاءِ شؤونِ العَبْــرة المتحــدِّرِ[4]
سَمِعْــنَ بَهيْجــا أرهقــتْ فذكرنَه | ولا يبعثُ الأحــزانَ مثلُ التَّذَكُّرِ[5]
كأنّ فَتــى الفِتيــانِ توبــةَ لم يَسِرْ | بنَجْــدٍ ولم يَطْلُــعْ مــع المُتَغوِّرِ[6]
ولم يَــرِدِ المــاءَ السِّدامَ إذا بَــدا | سَنا الصُّبْحِ في بادي الحواشي مُنَوَّرِ[7]
ولَم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجاجَ ويَمْلأُ الـ | ـجِفانَ سَدِيفاً يــوم نَكْباء صَرْصَرِ[8]

---

1 آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات .
2 الجراجر : الحلوق .
3 السُّورة من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه .
4 خفاجة : رهط توبة وهو جدّ له .
5 أرهقت : أدركت ، أو ألحقت وأغشت .
6 المتغور : الذي يأتي الغور .
7 الماء السِّدام : القديم المندفن . وفي رواية الكامل : «في أعقاب أخضر مدبر» ، الأخضر هنا الليل . والعرب تسمّي الأسود أخضر .
8 الضجاج : المجادلة والمشاركة والمشاغبة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التي تنحرف في مهبها فتجيء ، بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

ولم يَغْلُ بالجُرْدِ الجيادِ يَقُودُها بسُرّةَ بين الأشْمَسات فأيْصُرِ[1]

وصحراءَ مَوْماةٍ يَحارُ بها القَطا قَطَعْتَ على هَوْلِ الجَنانِ بمِنْسَرِ[2]

يقودون قُبّاً كالسَّراحين لاحَها سُراهُمْ وسَيْرُ الراكبِ المُتَهَجِّرِ[3]

فلمّا بَدَتْ أرضُ العدوّ سَقَيْتَها مُجاجَ بَقِيّاتِ المَزادِ المُقَيَّرِ[4]

ولّما أهابُوا بالنِّهابِ حَوَيْتَها بخاظِي البَضِيعِ كَرُّه غيرُ أعْسَرَ[5]

مُمَرٌّ كَكَرِّ الأنْدَرِيِّ مُثابِرٍ إذا ما وَنَيْنَ مُهْلِبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ[6]

فألوتْ بأعناقٍ طِوالٍ وراعَها صَلاصِلُ بَيْضٍ سابغٍ وسَنَوَّرِ[7]

ألَم تَرَ أنّ العبدَ يقتل ربَّه فيظهَرُ جَدُّ العبد من غير مَظْهَرِ

قتلتم فتًى لا يُسْقطُ الرَّوْعُ رُمْحَه إذا الخيلُ جالت في قَناً متكسِّرِ

فيا تَوْبُ لِلهَيْجا ويا تَوْبُ للنَّدى ويا تَوْبُ للمُسْتَنْبِحِ المتنوِّرِ[8]

ألا ربَّ مكروبٍ أجَبْتَ ونائلٍ بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومُنْكَرِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

أقسمتُ أرثي بعد توبةَ هالكاً وأحْفِلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْه في الحياةِ المَعايرُ

وما أحدٌ حيٌّ وإنْ عاشَ سالماً بأخلَدَ ممّن غيّبته المقابرُ

ومَنْ كان ممّا يُحْدِثُ الدهرُ جازعاً فلا بُدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ

وليس لِذِي عيشٍ عن الموتِ مَقْصَرٌ وليس على الأيّامِ والدّهرِ غابرُ[9]

ولا الحيُّ ممّا يُحْدِثُ الدهرُ مُعْتَبٌ ولا المَيْتُ إن لم يَصبِرِ الحيُّ ناشرُ

---

1 أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وسرّة وأيصر : موضعان .

2 المِنْسَر : قطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير ، والجماعة من الخيل .

3 القلب : الدقاق الخصور . والسراحين : الذئاب . ولاحها : غيرها . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة .

4 المُجاج : اسم لما تَمجّه من فيك . والمزاد : الأسقية .

5 النهاب : جمع منهب وهو الغنيمة . والخاظي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم .

6 المُمرّ : الحبل الذي أُجيد فتله . والكرّ هنا : الحبل الغليظ . والأندري : المنسوب إلى أُندرين قرية كانت بالشام . ونين : فترن وضعفن . إهاب الفرس للشد : متابعته للجري . إحضار الفرس : ارتفاعه في عدوه .

7 صلاصل البيض : أصواتها . والسنوّر : جملة السلاح .

8 المتنوّر : الذي يبصر النار من بعيد .

9 مقصر : محيد أو مصرف . غابر هنا : باق .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الله صائرُ
وكُلُّ قَرِينَيْ أُلْفَةٍ لِتَفَرُّق ... شَتاتاً وإنْ ضَنّا وطال التّعاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ حَيّاً ومَيِّتاً ... أَخا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ

ويُرْوى :

(فلا يُبْعِدَنْك الله يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ)
فآليتُ لا أنفَكّ أبكيك ما دعتْ ... على فَنَنٍ ورقاءُ أو طارَ طائرُ
قتيلُ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتا له ... وما كنتُ إيّاهم عليه أُحاذِرُ
ولكنّما أخشى عليه قبيلةً ... لها بدروب الرّوم بادٍ وحاضرُ

وقالت ترثيه : [من البسيط]

كم هاتفٍ بَكَ من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوْبُ للضيف إذ تُدْعى وللجارِ
وتَوْبُ للخَصْمِ إن جارُوا وإن عَدَلوا ... وبدّلوا الأَمْرَ نَقْضاً بعد إمرارِ[1]
إن يُصْدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْهُ موارِدَه ... أو يُوردوا الأمرَ تُحْلِلْهُ بإصدارِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

هَراقتْ بنو عَوْفٍ دماً غيرَ واحدٍ ... له نَبَأٌ نَجْديُّه سَيَغُورُ
تداعتْ له أفناءُ عوفٍ ولم يكن ... له يوم هَضْبِ الرّدْهَتَيْنِ نصيرُ[2]

وقالت ترثيه : [من البسيط]

يا عينُ بَكّي بدَمْعٍ دائمِ السَّجَمِ ... وابْكي لتوبةَ عند الرَّوْعِ والبُهَمِ[3]
على فَتًى من بني سعدٍ فُجِعْتُ به ... ماذا أُجِنّ به في الحُفْرَةِ الرَّجَمِ[4]
من كلِّ صافيةٍ صِرْفٍ وقافيةٍ ... مثلِ السِّنانِ وأَمْرٍ غيرِ مُقْتَسَمِ
ومُصْدِرٍ حين يُعْيي القومَ مُصْدِرُهم ... وجَفْنةٍ عند نَحْسِ الكوكب الشَّبِمِ[5]

وقالت تعيِّر قابضاً : [من الطويل]

جزى الله شَرّاً قابضاً بصَنِيعِهِ ... وكلُّ امرىء يُجْزى بِما كان ساعيا

---

1 عدلوا في ل : عندوا .
2 أفناء الناس : أخلاطهم .
3 البهم هنا : مشكلات الأمور ، واحدتها بُهمة .
4 الرجم هنا : القبر .
5 الشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

دعــا قابضاً والمُرْهَفــاتُ يَرِدْنَــه ... فقُبِّحــتَ مدعــوّاً ولَبَّيْــكَ داعِيا

وقالت لقابض وتَعْذِر عبدَ الله أخا تَوبةَ : [من الطويل]

دعــا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلُّه ... ومــا قابضٌ إذ لم يُجبْ بنَجيبِ

وآسى عُبَيْدُ الله ثــمّ ابــنَ أُمِّه ... ولــو شاء نَجَّى يوم ذاك حَبِيبي

[توبة وزنجي في الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو الجرّاح العُقَيْليّ عن أُمِّه دِينار بنت خَيْبَريّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميِّر قال : خرجتُ إلى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أُنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريح ، وأخذتُ تُرْسي فألقيتُه فوقي ، وألقيتُ نفسي بين المُضْطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْمِ إذا شيءٌ قد تجلّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَك عليّ ، ونشزْتُ عنه ثم قَمَصْتُ[1] منه قُماصاً فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيت السيفَ ، ونَهض نحوي فضربتُه ضربةً انخزَلَ منها ، وعُدْتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سَبُعٌ ؛ فلمّا أصبحتُ إذا هو أسْوَدُ زِنْجيٌّ يضرِب برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كِدتُ أبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخةٍ مُوقَرةٍ ثياباً من سَلَبه ، وإذا جاريةٌ شابّة ناهدٌ وقد أوثقها وقَرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنّه قتَل مولاها وأخذها منه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلي . قال أبو الجرّاح قالت أُمِّي : وأنا أدركتُها في الحيِّ تخدُم أهلَنا .

[حديث معاوية مع ليلى في توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عَطاء بن مُصْعَب القُرَشيّ عن عاصم اللَّيْثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال : سأل معاويةُ بن أبي سُفيان ليلى الأخيليّة عن توبةَ بن الحُمَيِّر فقال : ويحكِ يا ليلى ؛ أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّاً ، والناس شجرةُ بَغْي يحسُدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنانِ ، حديدَ اللِّسان ، شَجاً للأقران ، كريمَ المَخْبَر ، عفيف المئزَر ، جميلَ المَنْظَر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟ قالت قلت ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه : [من الطويل]

بَعيــدُ الثَّرى لا يبلغُ القومُ قَعْرَه ... أَلَــدُّ مُلِــدٌّ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُه[2]

1 القُماص : الوثب .

2 ألدّ : الكثير الجدل والخصومة . وملد : وصف من ألِيدت بفلان ، إذا عسرت عليه في الخصومة .

إذا حَـلَّ رَكْبٌ في ذَراه وظِلّهِ لِيَمْنَعَهـم مِمّـا تُخـافُ نَوازِلُهْ
حماهم بنَصْلِ السَّيْفِ من كلِّ فادحٍ يخافونه حتّى تمـوتَ خَصائلُهْ[1]

فقال لها معاوية : ويحـكِ ؛ يزعمُ الناس أنّـه كان عاهراً خارباً[2] . فقالت من ساعتها :

مَعـاذَ إلهـي كان واللهِ سَيِّـداً جَواداً على العِـلاّتِ جَمّاً نَوافِلُهْ
أغَـرَّ خَفاجيّاً يـرى البُخْلَ سُبّةً تَحَلَّـبُ كَفّـاهُ النَّـدى وأنامِلُهْ
عفيفـاً بعيـدَ الهَـمِّ صُلْباً قناتُه جَميـلاً مُحَيّـاهُ قليـلاً غوائلُهْ
وقد عِلِمَ الجوعُ الذي بات سارياً على الضَّيْف والجيرانِ أنّك قاتلُهْ
وأنّك رَحْبُ الباعِ يا تَوْبُ بالقِرى إذا مـا لئيمُ القومِ ضاقت مَنازِلُهْ
يَبيتُ قريـرَ العينِ مَنْ بات جارَه ويُضْحِـي بخيرٍ ضيفُـه ومُنازِلُهْ

فقال لها معاويةُ : ويحكِ يا ليلى ؛ لقد جُزْتِ بنوبة قَدْرَه . فقالت : واللهِ يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مقصِّرة في نَعْته وأنّي لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهلُه . فقال لها معاوية : مِنْ أيِّ الرجالِ كان ؟ قالت : [من الطويل]

أتتْـه المَنايـا حـين تَـمَّ تَمامُه وأقصر عنـه كلُّ قِـرْنٍ يُطاوِلُهْ
وكان كليث الغابِ يحمي عَرينَه وترضى بـه أشبالُـه وحلائلُهْ
غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه وسُمٌّ زُعـافٌ لا تُصابُ مَقاتِلُهْ

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها : خبِّريني بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلاّ والذي فيه من خِصال الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ : [من الطويل]

جـزى اللهُ خيراً والجـزاءُ بِكَفّـه فتًى مـن عُقَيْـلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ
فتًـى كانـتِ الدُّنيـا تهونُ بأسْرِها عليـه ولا يَنفَـكُّ جَـمَّ التَّصَرُّفِ
ينـالُ عَلِيّـاتِ الأمـورِ بهَوْنَـةٍ إذا هـي أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ[3]

---

1 الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر وفي ل : قادح . الخصائل : جمع خصلة ، وهي كل لحمة فيها عصب .

2 خارب : لص .

3 الهونة : الرفق والسهولة . والخِرق : السخي أو الظريف في سخاوة . ومشرف : جعله له شرف .

هو الذَّوْبُ بَلْ أُرْيُ الخَلايا شَبيهُه ... بدِرْياقةٍ من خمر بَيسانَ قَرقَفِ[1]

فيا تَوْبُ ما في العيش خيرٌ ولا نَدًى ... يُعَدّ وقد أمسيتَ في تُرْب نَفْنَفِ[2]

وما نِلتُ منك النَّصْفَ حتى ارتمت بك الـ ... ـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعْجَفِ[3]

فيا أَلْفَ أَلْفٍ كنتَ حَيّاً مُسَلَّماً ... لألقاكَ مثلَ القَسْوَرِ المُتَطَرِّفِ[4]

كما كنتَ إذ كنتَ المُنَحَّى من الرَّدى ... إذا الخيلُ جالت بالقَنا المُتَقَصِّفِ

وكَمْ من لَهِيفٍ مُحْجَرٍ قد أجبتَه ... بأبيضَ قَطّاعِ الضَّرِيبةِ مُرْهَفِ[5]

فأنقذتَه والموتُ يَحْرِقُ نابَه ... عليه ولم يُطْعَنْ ولم يُتَنَسَّفِ[6]

[ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن ابن أبي سعد قال حُدِّثت عن القَحْذَميّ عن مُحارِب بن غُصَيْن العُقَيْلِيّ قال : كان توبةُ قد خرج إلى الشام ، فمرَّ ببني عُذْرةَ ، فرأته بُثينةُ فجعلتْ تنظر إليه ، فشقّ ذلك على جميلٍ ، وذلك قبل أن يُظهر حبّه لها . فقال له جميل : مَنْ أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحميِّر . قال : هل لك في الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدّت عليه بثينةُ مِلْحَفةً مُوَرَّسة[7] فأتزر بها ، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ . ثم قال : هل لك في النِّضال ؟ قال نعم ، فناضله[8] فنضَله جميلٌ . ثم قال له : هل لك في السِّباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل . فقال له توبة : يا هذا إنّما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبِطْ بنا الواديَ ، فصرَعه توبةُ ونضَله وسبَقه .

[عبد الملك يسألها عن سبب حب توبة لها]

أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة قال : بلغني أنّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك ابن مَروان وقد أسنّت وعجزَتْ ، فقال لها : ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَكِ ؟ قالت : ما رآه الناسُ فيك حين ولَّوْك . فضحِك عبد الملك حتى بدت له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها .

---

1 الذّوب : العسل . الأري : العسل أيضاً . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر .
2 النفنف : المفازة .
3 وما نلت في ل : وما ينل . السهم الأعجف : الرقيق .
4 القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .
5 المحجر : المضيّق عليه .
6 حرق الأنياب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيظ . وتنسف في الصراع : قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره .
7 مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .
8 النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

[وفود ليلى على الحجّاج وحديثه معها]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهِلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرْقاء قال : كنتُ عند الحجّاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأة تَهْدِر كما يهدِر البعيرُ النادّ[1] . قال أدْخِلْها . فلمّا دخلت نسبَها فانتسبتْ له . فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النُّجومِ[2] ، [وقِلّةُ الغيوم] ، وكَلَب البَرْد[3] ، وشِدّة الجَهْد ، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدّ[4] . قال : فأخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُقْشَعِرَّة[5] ، والفِجاجُ مُغْبَرّة ، وذو الغنى مُخْتَلّ[6] ، وذو الحَدِّ مُنْفَلّ . قال : وما سببُ ذلك ؟ قالت أصابتنا سِنون[7] مُجْحِفةٌ[8] مُظلمة ، لم تدَع لنا فصيلاً[9] ولا رُبعاً ، ولم تُبْقِ عافطةً[10] ولا نافِطةً[11] ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزّقت العِيال ، وأفسدت الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتَقَدّماً . وقال في الخبر : قال الحجّاج . هذه التي تقول : [من الكامل]

نحنُ الأَخايِلُ لا يـزالُ غُلامُنا ... حتى يَدِبَّ على العصا مشهورا

تَبْكِي الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفَّنا ... جَزَعاً وتَعْرِفُنا الرِّفـاقُ بُحورا

ثم قال لها : يا ليلى ، أنشدِينا بعض شعرِكِ في تَوبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصِبْـه في الحيـاةِ المَعايِرُ

ومـا أحـدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً ... بأخْلَـدَ ممّـن غيّبتـه المقابرُ

فلا الحَيّ ممّا أحدث الدَّهْرُ مُعْتَبٌ ... ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحيُّ ناشرُ

---

1 النّاد : الشارد .

2 إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .

3 كلب البرد : شدّته .

4 الرد : الكهف والمعقل .

5 اقشعرار الأرض : تقبضها من المحل .

6 مختل : محتاج .

7 السنون : القحوط .

8 مجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفي الأمالي «مبلطة» بدل «مظلمة» . والمبلطة : المفقرة .

9 الفصيل : ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمّه للفطام .

10 العافطة : الضائنة .

11 النافطة : الماعزة .

وكلُّ جديـدٍ أو شبابٍ إلى بِـلى وكلُّ امرئٍ يوماً إلى الموت صائرُ
قتيلُ بنـي عَـوْفٍ فَيـا لَهْفَتا له ومـا كنـتُ إيّـاهم عليه أحاذرُ
ولكنّنـي أخشى عليــه قبيلـةً لهـا بدُروب الشام بادٍ وحاضرُ

فقال الحجّاج لحاجبه : اذهَبْ فاقطَعْ لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطَعَ لسانها ، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ اقطَعْ لسانَها بالصلة والعطاء ، فارجعْ إليه واستأذنه . فرجع إليه فاستأمره[1] ، فاستشاط عليه وهَمَّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأُدخلت عليه ، فقالت : كادَ وعهدِ الله يقطع مِقْولي ، وأنشدته : [من البسيط]

حَجّاجُ أنت الذي لا فوقَـه أحدٌ إلاّ الخليفـةُ والمُسْتَغْفَـرُ الصَّمَدُ
حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إن نُهِجتْ وأنت للنّاسِ في الدّاجي لنا تَقِدُ[2]

أُخبرنا الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سَلَمة بن أيّوب بن مَسلمة الهمدانيّ قال : كان جدّي عند الحجّاج ، فدخلتْ عليه امرأة بَرْزةٌ[3] ، فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيليّة . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : كنتُ عند الحجّاج . وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنيّ عن جُويرية عن بِشْرِ بن عبد الله بن أبي بكر : أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غُلامٌ إذا هـزّ القناةَ سقاها

قال لها : لا تقولي «غلامٌ» ، قولي «هُمامٌ» . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زِدْني ، فقال : اجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جُلسائه : إنّها غَنَمٌ . فقالت : الأميرُ أكرمُ من ذلك وأعظمُ قَدْراً من أن يأمر لي إلاّ بالإبل . قال . فاستَحْيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنّما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأُخبرنا [به] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبّة عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلتِ مكانَ غُلامٍ هُمامٌ ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره مَن تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدينا ما قُلتِ في توبة ، فأنشدته قولَها : [من الطويل]

---

1 استأمره : استشاره .
2 نهجت : سلكت .
3 المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون وهي عفيفة . والبرزة أيضاً : البارزة المحاسن .

فإنْ تكُــنِ القَتْلى بَــواءً فإنّكم ... فَتًى ما قتلتم آلَ عَـوْفِ بن عامرِ
فتًــى كان أحْيـا مــن فَتاةٍ حَيِيّةٍ ... وأشجع مــن لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ[1]
أتتـه المنايـــا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ ... وأسْمَرَ خَطِّــيٍّ وجَرْداءَ ضامرِ
فنِعْمَ الفتــى إنْ كان توبةُ فاجراً ... وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأنّ فتــى الفِتْيانِ تَوْبــةَ لم يُنِخ ... قلائص يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنّك لَتَصِفِينَ هذا الرجلَ بشيء ما تعرفه العرب فيه . فقالت : أيّها الرجل هل رأيتَ توبة قطُّ ؟ قال لا . فقالت : أما والله لو رأيتَه لَوَدِدْتَ أنّ كلَّ عاتقٍ[2] في بيتك حاملٌ منه ؛ فكأنّما فُقِيء في وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمّان . فقال له الحجّاج : وما كان لك ولها ! .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المُغيرة قال سمعتُ أبي يقول سَمِعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ الحجّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نَعَم أصلح الله الأمير ، تحمِلني إلى ابن عمِّي قُتيبة بن مُسلمٍ ، وهو على خُراسان يومئذٍ ، فحمَلها إليـه ، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تريد البادية ، فلمّا كانت بالرّيِّ ماتت ، فقَبْرُها هناك . هكذا ذكر الأصمعيُّ في وفاتِها وهو غلطٌ . وقد أخبرني عمِّي عن الحَزَنْبَل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْدِيّ عن ابن أبي سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعيّ عن ابن الخصيبِ الكاتب . واللفظُ في الخبر للحَزَنْبَل ، وروايته أتمّ : أنّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ ، فمرّتْ بقبر تَوبة ومعها زوجها وهي في هَودجٍ لها . فقالت : والله لا أبرحَ حتى أُسَلِّم على توبة ، فجعل زوجها يمنَعها من ذلك وتأبى إلاّ أن تُلِمّ به . فلمّا كثُر ذلك منها تركَها ، فصَعِدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة ، فقالت : السلامُ عليك يا توبةُ ، ثم حوّلت وجهَها إلى القوم فقالت : ما عَرَفْتُ له كِذبَةً قَطُّ قبلَ هذا . قالوا : وكيف ؟ قالت : أليس القائلَ : [من الطويل]

## صوت

ولــو أنّ ليـلى الأخيليّةَ سَلَّمتْ ... عَــليّ ودوني تُرْبَــةٌ وصفائحُ[3]

---

1 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 208/2 أشجع «من أسامة» و «من ليث عرّيسة» . وورد في المصدر نفسه 337/1 «أجرأ من ليث بخفّان» وذكر بيت الشعر الوارد هنا .

2 العاتق : الشابة .

3 ودوني في ل : وفوقي .

لَسَلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ[1]
وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أناله ألا كُلُّ ما قَرَّت به العينُ صالِحُ

فما بالُه لم يُسَلِّم عليَّ كما قال . . وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنةٌ ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعتْ وطارت في وجه الجمل ، فنفَر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفِنتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنّى في الأبياتِ المذكورة آنِفاً حَكَمٌ الواديّ لَحْنَيْنِ ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَش ، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر ، وذكر أبو العَنْبَس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الواديّ .

[كان توبة شريراً كثير الغارات]

قال أبو عبيدة : كان توبة شِرِّيراً كثير الغارةِ على بني الحارث بن كعب وخَثْعَمٍ وهَمْدان ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث إليهن ، وقال : [من الطويل]

أَيَذْهَبُ رَيْعانُ الشَّبابِ ولم أَزُرْ غرائرَ من هَمْدانَ بِيضاً نُحورُها

قال أبو عبيدة : وكان توبةُ ربّما ارتفع إلى بلاد مَهرة فيُغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرَةَ وبلاد عُقَيلٍ مَفازةٌ مُنْكَرَةٌ لا يقطعها الطَّيرُ ، وكان يحمل مَزادَ الماء فيدفِن منه على مَسيرة كلِّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بها المفازة ، وإنّما كان يتعمَّد حَمارَّة القَيْظ وشِدّة الحرّ ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

[ليلى عند عاتكة زوجة عبد الملك]

أخبرني حِرْمِيٌّ عن الزبير عن يحيى بن المِقدام الرَّبعيّ عن عمِّه موسى بن يعقوب قال : دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأةً بدويّة أنكرها ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا الوالهةُ الحَرَّى ليلى الأخيليّة . قال : أنتِ التي تقولين : [من الطويل]

أريقتْ جِفانُ ابنِ الخَليعِ فأصبحتْ حِياضُ النَّدى زَالَتْ بهنّ المراتِبُ[2]
فعُفاتُه لَهْفى يطوفون حوله كما انقضّ عرشُ البئر والوِرْدِ عاصبُ[3]

---

1 زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

2 ابن الخليع : من آباء توبة . زالت في ل : زلّت .

3 العفاة : طالبو المعروف . واللهف : الحزن والتحسر . عاصب : جامع .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أَبْقَيْتِ لنا ؟ قالت : الذي أبقاه الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نَسَباً قُرَشيّاً ، وعيشاً رَخِيّاً ، وإمْرةً مُطاعةً . قال : أفْرَدْتِه بالكَرَم ! قالت : أفردتُه بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنّها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينٍ تُسْقِيها وتَحْمِيها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعْتُها في شيء من حاجاتها . لتقديمها أعرابيّاً جِلْفاً على أمير المؤمنين . قال : فوَثَبَتْ ليلى فقامتْ على رجْلِها واندَفعتْ تقول : [من الوافر]

سَتَحْمِلُني ورَحْلِي ذاتُ وَخْدٍ ... عليها بنتُ آباءٍ كرامِ[1]
إذا جعلتْ سوادَ الشّام جَنْباً ... وغُلِّقَ دونَها بابُ اللِّئامِ
فليس بعائدٍ أبداً إليهم ... ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظَّلامِ
أَعاتِكُ لو رأيتِ غَداةَ بِنّا ... عَزاءَ النَّفْسِ عنكمُ واعتزامي
إذاً لَعَلمتِ واستَيْقَنْتِ أنّي ... مُشَيَّعةٌ ولم تَرْعَيْ ذمامي
أأجعلُ مثلَ توبةَ في نَداهُ ... أبا الذِّبّانِ فُوهُ الدَّهْرَ دامِي[2]
مَعاذَ اللهِ ما عَسَفَتْ برَحْلِي ... تُغِذّ السَّيْرَ للبلدِ التِّهامي[3]
أَقُلْتِ خليفةٌ فَسِواه أحْجى ... بإمْرَتِه وأَوْلى باللِّئامِ
لِئامِ الملك حين تُعَدُّ كَعْبٌ ... ذوو الأخطار والخُطَطِ الجِسامِ[4]

فقيل لها : أيُّ الكَعبين عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أخالُ كَعْباً كَكَعْبي .

[رواية أخرى في وفودها على الحجاج]

أُخبرنا اليزيديّ عن الخليل بن أَسَدٍ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثَّقفيّ عن عبد الملك بن عُمَير عن محمد بن الحَجّاج بن يوسف قال : بينا الأميرُ جالسٌ إذ استُؤذِن لليلى . فقال الحجّاج : ومَن ليلى ؟ قيل : الأخيليّة صاحبة تَوبة . قال : أدْخِلوها . فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعْجاء العَينين حَسنةُ المِشْية إلى الفَوَه[5] ما هي ، حَسَنةُ الثَّغْر ، فسلَّمتْ فرَدّ الحجّاج عليها ورحّب بها فدَنَتْ ، فقال الحجّاج ، دَراكِ ضَعْ لها وِسادةً يا غلام ، فجلستْ . فقال : ما أعمَلَكِ إلينا ؟ قالت : السلامُ على الأمير ، والقضاءُ لحقّه ، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَكِ ؟

---

1 الوخد : ضرب من السّير .
2 أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره .
3 عسفت : سارت وخبطت .
4 كعب : من آباء ليلى .
5 الفوه : سعة الفم .

قالت : تركتُهم في حال خِصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكَلأ . وأمّا الأمْنُ فقد أمنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خَوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أُنْشدك ؟ فقال : إذا شئتِ فقالت : [من الطويل]

[أحَجَّاجُ إنّ اللهَ أعطاكَ غايـةً ... يُقصِّرُ عنهـا مَـنْ أُرادَ مَداها]
أحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاحُكَ إنّما الـ ... ـمَنايا بكَفِّ اللهِ حيـث تراها
إذا هبَط الحجّـاجُ أرضاً مريضةً ... تتَبَّـع أقصـى دائهـا فشَفاها
شَفاها من الدّاءِ العُضالِ الذي بها ... غُـلامٌ إذا هَـزّ القنـاةَ سَقاها
سَقاهـا دِمـاءَ المارقـينَ وعَلّها ... إذا جَمَحتْ يوماً وخِيفَ أذاها
إذا سَمِع الحجـّاجُ رِزَّ كَتيبةٍ ... أعَـدَّ لهـا قبـل النُّزول قِراها[1]
أعـدّ لهـا مصقولـةً فارسيَّةً ... بأيـدي رِجالٍ يَحْلُبون صَراها[2]
أَحَجَّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُناهُـمُ ... ولا اللهُ يُعْطِـي للعُصـاةِ مُناها
ولا كلَّ حَـلاَّفٍ تَقَلَّـدَ بيعـةً ... فأعْظَـمَ عهـدَ الله ثـم شَراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقِذٍ : لله بلادُها ما أشعرها ! . فقال : ما لي بشعرها علمٌ . فقال : عَلَيَّ بعُبَيْدة بن مَوْهبٍ وكان حاجبَه ، فقال : أنشدِيه فأنشدتْه : فقال : عُبيدة : هذه الشاعرة الكريمةُ ، قد وجب حقُّها . قال : ما أغناها عن شَفاعتِك ! يا غلامُ مُرْ لها بخمسمائة درهم ؛ واكْسُها خمسةَ أثواب أحدُها كِساءُ خزّ ، وأدْخِلْها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها : حَلِّيها . فقالت : أصلح اللهُ الأمير . أضرّ بنا العَريفُ في الصدقة ، وقد خَرِبت بلادُنا ، وانكسرتْ قلوبُنا ، فأخذ خِيارَ المال . قال : اكتبوا لها إلى الحكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعلْ أحدَها نَجيباً[3] ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعَزْلِ العريف الذي شكتْه . فقال ابن مَوْهَبٍ : أصلحَ اللهُ الأمير ، أأصِلُها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتْها [ هند] بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاص فكتبه عنّي ، ثم حدَّثني عن حمّاد الراوية قال : لمّا فَرَغتْ ليلى من شعرها أقبل الحَجّاج على جُلَسائه فقال لهم : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لا ؛ والله ما رأينا امرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشاداً . قال : هذه ليلى

---

1 الرز : الصوت تسمعه من بعيد .

2 الصرى هنا : بقية اللبن . والصرى : اللبن يبقى فيتغيّر طعمه . يحلبون صراها في ل : يحسنون غذاها .

3 النجيب : الكريم .

صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تكرَهينه أو سألكِ شيئاً يُعاب ؟ قالت : لا والله الذي أسأله المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ . فقال : إذا لم يكن فيرحَمنا الله وإيّاه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّةَ عن عبد الله بن محمد بن حَكيم الطائيّ عن خالد بن سَعِيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غلامٌ إذا هــزّ القناةَ سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي هُمامٌ .

## صوت

[من الخفيف]

سالَني الناسُ أينَ يَعْمِدُ هــذا ... قلتُ آتِي في الدّار قَرْماً سَرِيّا
ما قطعتُ البلادَ أسْرِي ولا يَمّـ ... ـمْتُ إلاّ إيّــاكَ يـا زكريّا
كَمْ عطـاءٍ ونائــلٍ وجزيــلٍ ... كان لِي منكـمُ هَنِيّــاً مَرِيّا

عروضه من الخفيف ، الشّعرُ للأُقَيْشر الأَسَديّ . والغناء لدَحْمان ، وله فيه لحنانِ ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق ، [ والآخر] ثقيلٌ أوّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنّه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ ، وأنّ لحن ابن بَلُوعٍ في الثالث ثاني ثقيل . وليحيى بن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

# [ 189 ] ـ ذكر الأقيشر[1] وأخباره

[ نسبه ]

الأُقَيْشِرُ : لَقَبٌ [غلب عليه][2] ؛ لأنّه كان أحمرَ الوجه أَقْشَرَ[3] ، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرِو بن أسد بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان يُكنى أبا مُعْرِض ، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عِدّة ، منها قوله : [من المتقارب]

فإنّ أبـا مُعْـرِضٍ إذ حَسا ... مـن الرّاحِ كأْساً على المِنْبَرِ
خَطيـبٌ لَبيبٌ أبـو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخَمْـرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّر عُمْراً طويلاً ، فكان أقعَدَ بني أَسَدٍ نَسَباً ، وما أخْلَقَه بأن يكون وُلد في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام ؛ لأنّ سِماك بن مَخْرَمَةَ الأسديّ صاحبَ مسجدِ سِماكٍ بالكوفة بناه في أيّام عمر ، وكان عُثْمانيّاً ، وأهلُ تلك المَحَلّةِ إلى اليوم كذلك . فيَرْوِي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب ، صلواتُ الله عليه ، لم يُصَلِّ فيه ، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . وسِماكٌ الذي بناه هو سِماكُ بن مَخْرَمَة بن حُمَيْن بن بَلْث بن عمرو بن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَدٍ ، والأُقيشر أقعَدَ[4] نسباً منه . وقال الأُقيشر في ذكر مسجد سِماكٍ شعراً .

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيّ الكوفيُّ قال أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيُّ عن محمد بن معاوية ، وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية . قال : الأُقَيْشِرُ من رَهْط خُرَيم بن فاتِكٍ[5] الأسديِّ . وخُرَيم إنّما نُسِب إلى جَدِّ أبيه فاتِكٍ ، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شدّاد] ابن عمرو بن فاتكٍ الأسَديّ ، وفاتكٌ ابن قُلَيْبِ بن عَمْرو بن أَسَدٍ .

[شعره في بني دودان]

والأُقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعرِضِ بن عمرو بن أَسَد . قال : وهو القائل لَمّا بنى سِماكُ بن مَخْرَمَةَ مسجده الذي بالكوفة ، وهو أكبر مسجدٍ لبني أَسَدٍ ، وهو في خِطَّة بني نَصْر بن قُعَيْنٍ : [من الرمل]

---

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 2/559–562 والخزانة 2 : 279–282 والإصابة 6 : 180 والمؤتلف 56 والمرزباني 369–370 . وقد صنع ديوانه الدكتور محمد علي دقه ، بيروت 1997 .

2 ل : به .

3 الأقشر : وصف من القشر وهو شدة الحمرة .

4 ل : أبعد .

5 خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدراً .

غَضِبتْ دُودانُ مِـن مَسْجِدِنا ... وبِــهِ يَعْرِفُهـــم كلُّ أَحَـدْ
لــو هَدَمْنـــا غُـــدْوةً بُنْيانَه ... لانْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأَبَدْ
اسْمُهـــم فيــه وهــم جيرانُه ... واسْمُه الدَّهْــرَ لعمرو بن أَسَدْ
كُلّمـــا صَلَّوْا قَسَمْنا أَجْرَه ... فلنــا النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ[1]

فحلَف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق ؟ قال قلت :

وبنـــو دُودانَ حَـــيٌّ سادةٌ ... حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ

فتركوه .

[كان خليعاً ماجناً مدمناً]

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال ، وأخبرني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سَلاّم قال : كان الأقيشر كُوفيّاً خَليعاً ماجناً مُدْمِناً لشُرب الخمر ، وهو الذي يقول لنفسه : [من المتقارب]

فــإنّ أبـــا مُعرِضٍ إذ حَسا ... مـــن الرّاح كأساً على المِنْبَرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبـــو مُعْـرِضٍ ... فصار خليعـــاً عـــلى المِكْبَرِ[2]
أحَـــلَّ الحـــرامَ أبو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخمرِ لم يَصْبِرِ
يُجِلّ اللِّئـــامَ ويَلْحى الكرامَ ... وإن أقصروا عنـــه لم يُقْصِرِ[3]

[يهجو عبسيّاً لمناداته بلقبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكوفيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ : أن الأُقيشرِ مرّ يُريدُ الحِيرَةَ ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عَبْسٍ ، فناداه أحدُهم : يا أُقيشر ، وكان يغضَب منها ، فزجَره الأشياخُ ، ومضى الأُقَيْشِر ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له : قِفْ معي ، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي : ولِمَ ذلك ، ثم انصَرِفْ ، وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزَؤك شيئاً ، قال : فافعَلْ . فأقبل به حتى أتى مجلسَ القوم ، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرَف الشابَّ ، فأقبل عليه وقال : [من الوافر]

أتدعوني الأُقَيْشِرَ ذلك اسمـــي ... وأدعوك ابنَ مُطْفِئـــةِ السِّراجِ

---

1 فلنا في ل : فلها .
2 المِكْبَر : الكبير في السن .
3 يُجِلّ في ل : يحب .

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجي خِدْنَها باللّيلِ سِرّاً ورَبُّ الناس يعلَمُ ما تُناجِي

قال قَعْنَبٌ في خبره : فلُقِّب ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفِئة السراج .

[تهاجيه مع أبي الضحاك التميمي]

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجَوابات ، ولم يَرْوِه الباقون : كان الأقيشر يَكْتَري بغلةَ أبي المَضاء المُكارِي فيركَبها إلى الخمّارين بالحِيرة . فركِبها يوماً ومضى لحاجتِه ، وعند أبي المَضاء رجل من تميمٍ يُكنى أبا الضحّاك ، فقال له : مَن هذا ؟ قال : الأُقيشر . فأخذ طَبَقَ المِيزان وكتب فيه : [من الوافر]

عَجِبْتُ لشاعرٍ مِن حَيٍّ سَوْءٍ ضَئيلِ الجسمِ مِبْطانٍ هَجِينِ

وقال لأبي المَضاء : إذا جاء فأَقْرِئه هذا . فلمّا جاء أقرأه . فقال له الأُقيشر : ممّن هو ؟ قال : مِنْ بني تميم . فكتبَ الأُقيشر تحت كتابه : [من الوافر]

فلا أسَداً أُسُبُّ ولا تَميماً وكيف يجوزُ سَبُّ الأكرمينِ

ولكنّ التَّميمِي حالَ بيني وبينَك يا ابنَ مُضْرِطة العَجِينِ[1]

فهرب إلى الكوفة فلم يَزِدْ على هذا .

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ : فجاء التميميّ فقرأ ما كتب ، فكتب تحته : [من البسيط]

يا أيّها المُبْتَغي حُشّاً لحاجتِهِ وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوعِ[2]

فلمّا قرأه قال : اللهم إنّي أستعديك عليه ، وكتب تحته : [من الوافر]

إنّي أتاني مقالٌ كنتُ آمَنُه فجاء من فاحشٍ في الناس مخلوعِ

عبدِ العزيزِ أبو الضحّاك كُنْيَتُه فيه من اللُّؤْمِ وَهْيٌ غير ممنوعِ

ولم تَبِتْ أُمُّهُ إلاّ مُطاحنةً وأن تُؤاجَر في سوق المراضيعِ

ينساب ماء البرايا في استها سَرِباً كأنّما انساب في بعض البلاليعِ[3]

مِنْ ثَمّ جاءت به والبَظْرُ حَنَّكَه كأنّه في استها تِمْثالُ يُسروعِ[4]

فلمّا جاءه جزِع ومشى إليه بقوم من بني تَميم ، فطلبوا أن يُكفَّ ففعل . وأمّا عبد الله بن

---

1 مضرطة العجين : كناية عن أنها خادم .

2 الحش : بيت الخلاء .

3 سربا : سائلا .

4 حنكه : أحكمه . واليسروع : دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد .

خَلَف فذكر عن أبي عَمْرو الشيباني أنّ الأُقيشر قال هذا في مِسْكِين .

والشعر الذي فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفيّاض ، وكان مَدّاحاً له .

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزِيّ عن [محمد بن] معاوية قال : غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَروانَ بشعرِ الأُقيشر : [من الخفيف]

قــرّب اللّهُ بالسلامِ وحيّــا ... زَكَريّــا بــنَ طَلْحةَ الفَيّاضِ

مَعْدنُ الضّيْفِ إنْ أَناخوا إليه ... بعدَ أَيْنِ الطلائـح الأنقاضِ[1]

ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذايا ... قــد براها الكَلالُ بعد اياضِ[2]

زادَه خالــدُ ابــنُ عــمّ أبيه ... مَنْصِباً كان في العُلا ذا انتقاضِ

فَــرْعُ تَيْم من تَيْمِ مُرّةَ حَقّاً ... قد قضى ذاك لابن طلحةَ قاضِ

فقال عبد الملك للجارية : وَيْحَكِ ! لمن هذا ؟ قالت : للأُقيشر . قال : هذا المدحُ لا على طَمَعٍ ولا فَرَقٍ ، وأشعرُ الناس الأُقيشر .

[الكميت يثني على شعره]

وذكر عبد الله بن خَلَفٍ أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لقِي الأُقيشر في سَفْرَةٍ ، فقال له : أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض ؟ فقال : [من الخفيف]

سالني الناس أين يَقْصِدُ هــذا ... قلتُ آتي في الدار قَرْمــاً سَرِيّا

وذكر باقِيَ الأبيات التي فيها الغناء ، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً ، ثم قال : ما كذبَ مَنْ قال إنّك أشعرُ الناس .

[كان عنيناً وزعم الفحولة]

أخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن ابن سلاّم قال : كان الأُقيشر عِنّيناً ، وكان لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه . فجلس إليه يوماً رجلٌ من قَيْس ، فأنشده الأُقيشر : [من الكامل]

---

1 معدن : اسم من عدن بالمكان إذا أقام به . الأين : التعب . والطلائح : جمع طيلح وطليحة ، وهو الذي أعياه السير . والأنقاض : جمع نِقض وهو المهزول من السير .

2 ساهمات العيـون : متغيراتها . وخوص : غائرات العيون ، الواحد : أخوص وخوصاء . ورذايا : مهزولات ، والواحد رذي ورذية .

ولقد أروحُ بِمُشْرِفٍ ذي شَعْرَةٍ عَسِرِ المَكَرَّةِ ماؤه يَتفَصَّدُ[1]
مَرِحٍ يطيرُ من المِراحِ لُعابُه وتكاد جِلْدَتُه به تتقدّدُ

ثم قال للرجل : أتُبْصِرُ الشعرَ ؟ قال نَعَمْ . قال : فما وصفتُ . قال : فرساً . قال : أفكنتَ لو رأيتَه رَكبتَه ؟ قال : إي واللهِ وأَثْنِي عِطْفَه . فكشَف عن أَيْره وقال : هذا وصفتُ ، فقُمْ فاركَبْه . فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له : قَبَحك اللهُ من جليسٍ ؛ سائرَ اليوم .

[يشرب بعد خروجه في جنازة]

ونسختُ من كتاب عبد الله بن خَلَفٍ : حدَّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال : ماتتْ بنتُ زيادٍ العُصْفُرِيّ ، فخرج الأُقيشر في جنازتها ، فلمّا دفنوها انصرف . فلَقِيه عابسٌ مولى عائذِ الله ، فقال له : هل لَكَ في غَداء وطِلاء[2] أتيتُ به من طِيزَناباذَ[3] ؟ قال نعم . فذهب به إلى منزله فغدّاه وسقاه ، فلمّا شرِب قال : [من الطويل]

فليتَ زِياداً لا يَزَلْنَ بَناتُه يَمُتْنَ وألقى كُلَّما عِشتُ عابسا
فذلك يومٌ غاب عنّيَ شَرُّه وأنجحتُ فيه بعد ما كنتُ آيِسا

[أخذه الشرط من حانة فرشاهم]

ونسخت من كتابه : حدَّثني أبو عمرو قال : شرِب الأُقيشر في بيت خمّار بالحِيرة ، فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه ، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرَب ، فما سبيلُكم عليّ ! قالوا : قد رأينا العُسَّ[4] في كَفِّك وأنت تشرَب . قال : إنّما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ لصاحب الدار ، فلم يَبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال : [من الرمل]

إنّما لِقْحَتُنا باطِيَةٌ فإذا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ[5]
لَبَنٌ أصفرُ صافٍ لونُه يَنْزِع الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ
إنّما نشربَ من أموالنا فسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ

---

1 ديوانه ص 61 رقم 15 وفي ديوان الحماسة لأبي تمام 356/4 :
ولقد غدوت بمشرفٍ يأفوخه عسر المكرة ماؤه يتفصّد
مرح يمجّ من المراح لعابه ويكاد جلد إهابه يتقدّد

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

4 العس : القدح العظيم .

5 اللقحة : الناقة الحلوب .

[عبد الملك يقول إنه شاعر بني أسد]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزِيّ عن محمد بن معاوية قال : دخل وَفْدُ بني أَسَدٍ على عبد الملك ابن مَروان ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بني أَسَد ؟ قالوا : إنّ فينا شعراءَ ما يَرضى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحداً . قال لهم : فما فعَل الأُقيشِر ؟ قالوا : مات . قال : لم يَمُتْ ، ولكنّه مشتغلٌ بعِشْقه ، وما أُبْعِدُ أن يكون شاعرَكم إلاّ أنّه يُضيع[1] نفسه . أليس هو القائلَ : [من السريع]

يا أيُّها السائـلُ عَمّا مَضى مِنْ عِلْمِ هـذا الزَّمن الذاهبِ
إن كنتَ تَبْغـي العِلمَ أوْ أهلَه أو شاهـداً يُخْبِرُ عن غائبِ
فـاعتبرِ الأرضَ بأسمائهـا واعتبرِ الصاحـبَ بالصاحبِ

[قال في جار طحان لم يقرضه]

وذكر عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جاراً للأُقيشِر طَحّاناً كان يُنْسِيء[2] الناسَ يُكْنى أبا عائشة . فأتاه الأُقَيشِر يسأله فلم يُعْطِه ، فقال له : [من المتقارب]

يُرِيدُ النساءَ ويأبـى الرجالَ فمـا لِي ومـا لأبي عائشَهْ
أدامَ لـه الله كَـدَّ الرِّجـالِ وأثكلـه ابنَتَـه عـائشَهْ

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً .

[يهجو بني هجيم ثم يكف]

نسختُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيديّ بخطّه : قال الهيثم بن عديّ حدَّثني عَطّاف بن عاصمِ بنِ الحَدَثانِ قال : مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأُقيشر ، فقال له : [من الطويل]

أبا مُعْرِضٍ كن أنتَ إن مُتُّ دافِني إلى جَنْبِ قبرٍ فيـه شِلْوُ المُضَلَّلِ
فعَلِّـي أنْ أَنجـو مـن النارِ إنّها تُضَرَّمُ للعبـدِ اللئيـمِ المُبَخَّلِ
بذلك أوصاهـا الإلـهُ ولم تَزَلْ تُحَشُ بأَوصالٍ وتُـرْبٍ وجَنْدَلِ[3]
وأنـت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلِتِي بحَزْمِك فاحْزُمْ يا أُقَيْشِرُ واعْجَلِ

فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميمٍ ثم أحد بني الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميمٍ . فقال الأُقيشر : [من الطويل]

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفْكِفُوا عن تَعَمُّدِي بـذُلٍّ فإنّـي لستُ بـالمتذلِّلِ

---

1 ل : يضع .

2 ينسيء الناس : يريد ينسيء الناس الدين أي يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

3 حشّ النار : أوقدها . الأوصال : المفاصل ، والجندل : الحجارة .

أيهــزَأ بــي العبدُ الهُجَيْمِيُّ ضَلَّةً ... ومثلي رمــى ذا التُّدْرَإ المتضلّلِ[1]
بداهيــةٍ دَهْيــاءَ لا يَسْتَطِيعُها ... شماريخُ من أركان سَلْمى ويَذْبُلِ[2]
وبالله لــولا أنّ حِلْمِيَ زاجِري ... تركتُ تميماً ضُحْكَةً كلِّ مَحْفِلِ
فكُفُّوا رمــاكم ذو الجلالِ بخِزْيَة ... تُصَبِّحُكم في كلِّ جَمْــعٍ ومنزِلِ
فأنتم لئــامُ النــاسِ لا تُنْكِرونه ... وألأمُكم طُــرّاً حُرَيْثُ بن جَنْدَلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجَيم واعتذروا إليه واستكفّوه فكفّ .

[شرب على غناء مع مقعد وأعمى]

أخبرني الأخفش قال حدَّثني أبو الفيّاض بن أبي شُراعةَ عن أبيه قال : شرِب الأُقيشر بالحِيرة في بيتٍ فيه خَيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب ، فطرِب الأُقيشر ، فسقاهم من شربه ، فلمّا انتشَوْا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم ، وقفزَ الخيّاط المُقْعَد يرقُص على ظلعه[3] . يجهَد في ذلك كلَّ جَهْدٍ . فقال الأقيشر : [من الطويل]

ومُقْعَدِ قــومٍ قد مشى من شَرابِنا ... وأَعْمــى سَقَيْنــاه ثلاثاً فأبصرا
شرابــاً كريحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيحُه ... ومَسْحوقِ هِنْدِيٍّ من المسكِ أذفرا[4]
من الفَتَياتِ الغُــرِّ من أرضِ بابلٍ ... إذا شَفَّها الحاني من الدَّنّ كبّرا[5]
لهــا من زُجاجِ الشام عُنْقٌ غريبة ... تأنّــق فيهــا صانــعٌ وتخيّرا
ذخائــرُ فوعــونَ التي جُبِيتْ له ... وكلٌّ يُسَمَّــى بالعَتِيــق مشهَّرا
إذا مــا رآهــا بعــد إنقاء غَسْلِها ... تــدور علينــا صائمُ القوم أفطرا

[قال في تفرّق النّدامى]

أخبرنا عليّ بن سليمان قال حدّثني سَوّار قال حدّثني أبي قال : كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدامى ، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدمائه إلى بعض [ النواحي] ، ومات بعضهم ، ونسَك بعضهم ، وهرَب بعضهم ؛ فقال في ذلك : [من الخفيف]

غُلِبَ الصَّبْرُ فاعترتْني هُمُــومٌ ... لفِــراقِ الثِّقاتِ مــن إخواني

1 ذو تُدْرأ : أي ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة .
2 الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل : جبلان .
3 الظّلع : العرج .
4 المسك الأذفر : البالغ الغاية في الجودة .
5 الحاني : بائع الخمر .

مات هـذا وغاب هذا وهذا ... دائـبٌ في تِـلاوةِ القُـرآنِ

ولقد كان قبـل إظهاره النُّسْـ ... ـكَ قديماً من أظرف الفتيانِ

[شعر له في بغل أبي المضاء]

وأخبرني أبو الحسن الأسَديّ عن العَنزيّ قال قال ابنُ الكلبيّ حدّثني سَلَمةُ بن عبد سُواع عن أبيه قال : كان الأُقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحِيرة ، ودرهمين للشراب ، ودرهماً للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضاء له بغلٌ يُكْريه ، وكان يُعطيه درهمين ويأخذ بغلَه فيركبه إلى الحيرةِ ، حتى يأتي بيت الخمّار فينزل عنده ويَرْبِطُه بلِجامه وسَرْجه ، فيقال إنّه أعطى ثمنَه في الكِراء ، ثم يجلس فيشرَب حتى يُمْسي ، ثم يركبه وينصرِف . فقال في ذلك : [من الكامل]

يـا بَغْلُ بَغْلَ أبي المَضاء تَعَلَّمَنْ ... أنّـي حلفـتُ ولليمـين نُذُورُ

لتُعَسِّفَنَّ وإن كَرِهْـتَ مَهامِهـاً ... فيمـا أُحِـبّ وكلٌّ ذاك يسيرُ[1]

بالرغْمِ يـا ولـدَ الحمارِ قطعتَها ... عمـداً وأنـت مُذَلَّـلٌ مصبورُ

حتـى تـزور مُسَمِّعاً في داره ... وترى المُدامـةَ بالأكُـفّ تدورُ

لا يَرفعـون بمـا يسوءك نَعْرةً ... وإذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ

[خدعته امرأة بأنها أمّ حنين الخمار]

قال : فأتى يوماً من الأيّام بيت الخمّار الذي كان يأتيه فلم يُصادفه فجعل ينتظره ، ودخلتِ الدار امرأةٌ عِبادِيّـة[2] ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجةٍ وأنا امرأته ، فما تُريد ؟ قال : نبيذاً . قالت بكَمْ ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وانتظِرْني . قال لا . قالت : فذلك إليك ، ومضتْ وتبِعها ، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج إليه بعضُ أهل الدار ، قالوا : وما يُجلِسُك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأة محتالة يقـال لها أُمّ حُنَيْنٍ من العباديّين . فعلِم أنّه قد خُدِع ، فانصرف إلى خَمّاره فأخبره بالقصّة وقال لـه : أنْسِئْني اليومَ[3] فاسْقِني ففعل . وأنشأ الأُقيشر يقول : [من الخفيف]

لم يُغَـرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوانا ... بعد أُخـت العِبـادِ أُمّ حُنَيْنِ

وَعَدتْنـا بدِرهمـين نبيـذاً ... أو طِـلاءً مُعَجَّلاً غيرَ دَيْنِ

---

1 عسف المفازة : أي قطعها بغير قصد ولا هداية .

2 عبادية : نسبة إلى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

3 الإنساء والنسيء : التأخير في الدين وفي العمر .

ثم ألــوتْ بالدرهمين جميعاً     يــا لَقَوْمِـي لِضَيْعةِ الدرهمينِ

وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ وزاد فيه : أنّ الخمّار كان يسمَّى بحُنَيْنٍ ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له : إنّها أُمّ حُنَيْنٍ الخَمّارِ الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه ، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التي تقدّمتْ ، وبعدها : [من الخفيف]

عاهدتْ زوجَها وقد قال إنّي     سوف أغـدُو لحاجتي ولدَيْنِي

فدَعَتْ كالحِصانِ أبيضَ جَلْداً     وافـرَ الأَيـرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ

قال ما أجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت     سوف أُعطيك أجْـرَه مرَّتينِ

فأبـدِإِ الآنَ بالسِّفـاحِ فلمّا     سافحتْـه أرْضَتْـه بالأُخْرَيَيْنِ

تَلَّهـا للجَبِـينِ ثُـمّ امتطاها     عالِـمُ الأَيْـرِ أفْحَجُ الحالبينِ[1]

بينما ذاك منهما وهـي تحوِي     ظهـرَه بالبَنــانِ والمِعْصَمَيْنِ

جاءها زَوْجُها وقد شام فيها     ذا انتصابٍ مُوَثَّـقَ الأَخْدَعَيْنِ[2]

فتأسَّى وقال وَيْــلٌ طويــلٌ     لِحُنَيْنٍ مــن عــارِ أُمِّ حُنَيْنِ

قال : فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له : يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أُمِّي ؟! . قال : أخذتْ منّي درهمين ولم تُعْطِني شَراباً . قال : والله ما تعرِفك أُمّي ولا أخذتْ منك شيئاً قطُّ ، فانظُرْ إلى أُمّي فإن كانت هي صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرف غيرَ أُمِّ حنين ، ما قالت لي إلاّ ذلك ، ولا أهجو إلاّ أُمّ حُنَيْن وابنها ، فإن كانت أُمّك فإيّاها أعْني . وإن كانت أُمّ حُنَينٍ أُخرى فإيّاها أَعني . فقال : إذاً لا يفرِّق الناسُ بينهما . قال : فما عَلَيَّ إذاً ! أترى دِرْهَمَيَّ يَضيعانِ ! فقال له : هَلُمَّ إذاً أغرمْهما لك وأَقِمْ ما تحتاج إليه ، لا باركَ الله لك ؛ ففعل .

[استكتبه العريان بن الهيثم من ملحه]

قال عبد الله وحدّثني أبو عمرو قال : كان العُريان بن الهيثم النَّخَعيّ صديقاً للأُقيشر ، فقال له : يا أُقيشر إنّي أُريد أن أمتدَّ إلى الشام فأَكْتِبْني[3] من مُلَحِكَ فأكتُبه . فخرج إلى الشام فأَصاب مالاً ، فبعث إلى الأُقَيْشِرِ بخمسين درهماً ، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه إذ وَضَع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأُقيشِر : [من الكامل]

وسأَلتَني يـومَ الرَّحيـلِ قصائداً     فَمَلأْتُهُــنَّ قصائــداً وكِتابا

---

1 تلها للجبين : صرعها . أفحج الحالبين : متباعد ما بينها .

2 الأخدعان : عرقان في جانبي العنق .

3 الإكتاب : الإملاء .

إنّي صَدَقتُك إذ وجدتُك صادقاً ... وكَذَبْتِنِــي فوجدتَنــي كذّابا

وفتحتُ بابــاً للخِيانةِ عامداً ... لَمّا فتحــتَ من الخِيانةِ بابا

وكان أبو العُريان على الشُّرطة ، فخافه الأُقيشر من هجاء ابنه . وبلَغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألاّ يُشَهّره ، فأَخذها وفعل .

[يهجو رجلاً من حضرموت]

قال أبو عمرو : وخطَب رجلٌ من حَضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبها وأمَّهاتها ، حتى جاء الأُقيشر فسأله عنها . فقال له : مِن [أيْن] أنت ؟ قال : من حَضْرَموتَ . فأنشأ يقول : [من الرمل]

حَضْرَمَوْتٌ فَتَّشَتْ أحسابَنا ... وإلينا حَضْرَمَوْتٌ تَنْتَسِبْ

إخوةُ القِـرْدِ وهم أعمامُه ... بَرِئتْ منكم إلى الله العَرَبْ

[يقول لعمته إمّا الصلاة أو الوضوء]

أَخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال قال أبو طالب الشاعر حدَّثني رجلٌ من بني أَسَدٍ قال : سَمِعتُ عَمّة الأُقَيشِر تقول له يوماً : اتّقِ الله وقُمْ فصَلِّ ، فقال : لا أُصَلّي . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبْرَمْتِني ، فاختارِي خَصْلةً مـن خَصْلتَيْنِ : إمّا أنْ أُصلّـي ولا أتطهّـر ، وإمّـا أن أتطهَّر ولا أُصلّي . قالت : قَبَحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصَلِّ بلا وضوء .

[خاف شرطياً فسقاه من ثقب الباب]

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثت أنّه شرِب يوماً في بيت خَمَّار بالحِيرة ، فجاء شُرَطِيٌّ من شُرَطِ الأَمير ليدخل عليه ، فغلّق الباب دونه . فناداه الشُّرَطيّ اسْقني نبيذاً وأنت آمِنٌ . فقال : والله ما آمَنُك ، ولكن هذا ثَقْبٌ في الباب فاجلِس عنده وأنا أُسقيك منه ، ثم وضع له أُنبوباً من قَصَبٍ في الثَّقْب وصَبّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِر . فقال الأُقيشر : [من الرمل]

سأَل الشُّرْطِــيُّ أن نَسْقِيَـه ... فَسَقينــاه بأنبـوب القَصَبْ

إنّمــا نشرَب مــن أموالنـا ... فسَلُوا الشُّرطِيَّ ما هذا الغضبْ

[أعطاه قيس بن محمد مالاً مراراً ثم منعه فهجاه]

أَخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن قَعْنَب بن المُحْرِز ، وحدَّثنا محمد بن خَلَف عن أبي أيّوب المدينيّ عن قَعْنَب بن الهَيثَم بن عَدِيّ قال : كان قيس بن محمد بن الأشعث ضريرَ البصر ، فأتاه الأُقَيشِر فسأله ، فأمَر قَهْرَمانَه[1] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جملةً ، ولكن مُرِ القَهْرمانَ أن

1 القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

يُعْطِيني في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَد . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين . فلمّا نفِدت الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الرابعةَ فسأله . فقال له قَيْسٌ : لا أبا لَكَ ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَراجاً علينا . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

أَلَم تَــرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ ابنَ محمد يقــول ولا تلقـاه للخيرِ يَفْعَلُ

رأيتُك أعمى العَيْنِ والقلبِ مُمْسِكاً وما خيرُ أعمى العينِ والقلب يبخَلُ

فلــو صَمَّ تَمَّتْ لَعْنَــةُ الله كلُّها عليه ومـا فيـه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِرِ لنجوتُ منه .

[كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن العَنَزِيِّ عن محمد بن معاوية قال : اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فقالوا : نجعَل بيننا أوّلَ مَن يَطْلُع علينا . فطلَع الأُقيشر عليهم وهو سكرانُ . فقال بعضهم لبعض : انظروا مَن حَكَمُنا . فقالوا : يا أبا مُعرِضٍ قد حَكَّمناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

إذا صَلَّيــتُ خمساً كلَّ يــومٍ فــإنّ الله يغفِــر لي فسُوقي

ولم أُشْرِك بــربِّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحَبْــلِ الوثيقِ

وهذا الحــقُّ ليس بــه خَفاءٌ ودَعْني مــن بُنَيّات الطَّريقِ[1]

[مدح غريب لمجوسيّ أعطاه مهر زوجته]

قال محمد بن معاوية : وتزوّج الأقيشر ابنةَ عَمٍّ له يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يُعطوه شيئاً ؛ فأتى ابن رأسِ البَغْل وهو دُهقان الصِّين وكان مجوسيّاً ، فسأله فأعطاه الصَّداقَ . فقال الأُقيشر : [من المتقارب]

كفاني المَجوسيّ مَهْرَ الرَّبابِ فِــدًى للمجوسيِّ خالي وعمّ

شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ المُشاشِ وأنّ أبـــاك الجوادُ الخِضَمّ[2]

وأنّك سيِّــدُ أهــلِ الجحيمِ إذا مــا تَرَدَّيْتَ فيمــن ظَلَمْ

تُجــاوِرُ قــارونَ في قَعْرِهــا وفِرْعَــوْنَ والمُكْتَنــى بالحَكَمْ

---

1 بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . وهي مثل : أي عليك بمعظم الأمر ودع الروغان مجمع الأمثال للميداني 473/1 .

2 فلان لين المشاش : إذا كان طيب النّحيزة عفيفاً عن الطّمع .

فقال له المجوسيّ : وَيْحَك ! سألتَ قومَكَ فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتُك ، فجزَيتني ، هذا القولَ ولم أُفْلِتْ من شِعْرِك وشَرِّك ! قال : أوَ ما ترضى أنْ جعلتك مع الملوك وفوق أبي جَهْلٍ ! .

[ذهب إلى عكرمة بن ربعيّ فلم يعطه فهجاه]

ثم جاء إلى عِكْرِمة بن رِبْعيٍّ التميميّ فلم يُعْطِه ، فقال فيه : [من المتقارب]

سألتُ رَبِيعةَ مَنْ شَرُّها أباً ثم أُمّاً فقالوا لِمَهْ

فقلتُ لأَعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَهْ

فقالوا لِعكْرِمةَ المُخْزِياتُ وما ذا يرى الناسُ في عِكْرِمَهْ

فإنْ يَكُ عبداً زَكا مالُه فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

[شرب بما معه وبثيابه]

قال ابن الكلبيّ : وشرب الأُقيشر في حانة[1] خمّار حتى أنفَد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقتْ[2] فلم يَبْقَ عليه شيء ، وجلس في تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِه مستدفئاً به . فمرّ رجلٌ به يَنْشُد ضالّةً ، فقال : اللهمَّ اردُدْ عليه واحفَظ علينا . فقال له الخمّار : تَخِنتْ عينُك ؛ أيَّ شيء يحفَظ عليك ربّك ؟ قال : هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البَرْد . فضحِك الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال : اذهَبْ فاطلُبْ ما تشرب به ، ولا تجئني بثيابك فإنّي لا أشتريها بعد ذلك .

[حواره مع شرطي وهو سكران]

قال ابن الكلبيّ : واجتاز الأُقَيْشِر برجلٍ يقال له هِشامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْث وهو سكرانُ ، فدعا به فقال له : أنت سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرْجَلاً ، ثم قال : [من الطويل]

يقولون لي انْكَهْ شَرِبتَ مُدامةً فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا[3]

فضحك منه ثم قال : فإنْ لم تكن سكرانَ فأخبرني كم تصلّي في كلِّ يوم . فقال : [من الوافر]

يسائلني هشامٌ عن صلاتي صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ

صلاةُ العصرِ والأولى ثَمانٍ مُواتِرةٌ فما فيهنّ لَبْسُ

وعند مَغِيبِ قَرْنِ الشمس وِترٌ وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ

وغُدْوةَ اثنتانِ معاً جميعاً ولمّا تبدُ للرائين شَمْسُ

---

1 ل : حانوت .

2 الغلق هنا : ضد الفك .

3 نكه فلان : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه واستنكهه : شم ريح فمه .

وبعدهمـــا لوقتهمـــا صَلاةٌ لِنُسْكٍ بـالضّحاء إذا نَبَسُّ[1]
أأحصيتُ الصلاةَ أيـا هشاماً فذاك مُكَدَّرُ الأخلاقِ جِبْسُ[2]
تَعَـــوَّد أن يُلامَ فليس يوماً بحامـــده مـــنَ الأقوام إنْسُ
قال : فضحِكَ هشام وقال : بلى قد أخبرتَنا يا أبا مُعْرِض ، فانْصرِفْ راشداً .

[استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي عبيدة قال : قدِم رجلٌ من بني سَلُول على قُتيبة بن مُسْلم بكتاب عامِله على الريّ وهو المُعَلَّى بن عمرو المُحاربيّ . فرآه على الباب قُدامةُ بن جَعْدَةَ بن هُبيرة المخزوميّ وكان صديقاً لقُتَيبة ، فدخل عليه فقال له : ببابك ألأمُ العرب ، سَلُوليٌّ رسولُ مُحارِبيٍّ إلى باهليٍّ . فتبسَّم قتيبةُ تبسُّماً فيه غيظٌ . وكان قدامة بن جعدة يُتَّهم بشرب الخمر ، وكان الأقيشر يُنادمه . فقال قتيبة : ادعوا لي مِرداس بن جُذامٍ الأسديّ فدُعِي . فقال له : أنشِدني ما قال الأُقيشر في قُدامة بن جعدة وهو بالحيرة . فأنشده [ قوله ] :

رُبَّ نَدْمـانٍ كريـــمٍ ماجدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَيْ مُضَرْ
قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها لم يُخالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ[3]
قلتُ قُـــمْ صَلِّ فصلَّى قاعداً تتغشّاه سماديـــرُ السَّكَـــرْ[4]
قَرنَ الظُّهـرَ مـــع العصر كما تُقْرَنُ الحِقَّـــةُ بالحِـقِّ الذَّكَرْ[5]
تَـــرَكَ الفجرَ فمـــا يَقرَؤها وقـرا الكَوثَرَ مـن بينِ السُّوَرْ
قال : فتغيّر لونُ وجهِ القُرَشيّ وخجِل . فقال له قتيبة : هذه بتلك ، والبادىء أظلم[6] .

[استنشده عبد الملك أبياته في الخمر ]

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُون قال حدَّثنا الكَسْرَويّ عن الأصمعيّ قال : قال عبد الملك للأقيشر : أنشِدْني أبياتَك في الخمر ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

تُرِيكَ القَذى من دونها وهي دونه لِوَجْـهِ أخيها في الإناء قُطوبُ

---

1 نبسّ : من معانيها دعوة الناقة للحلب ، ومنها ما يفيد العمل ، ومنها صوت الزجر للدابة للسّوق . أو عند سوق الغنم إلى الماء .
2 الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم .
3 هرها : كرهها .
4 السمادير هنا : شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر ، جمع سمدور .
5 الحقة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .
6 مثل ورد في مجمع الأمثال 496/3 «هذه بكل والبادي أظلم ، قاله الفرزدق حين سمع إجابة جرير على هجائه له قاله أوّلاً .

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأسِ وَرْدةٌ ... لهــا في عِظــام الشاربين دبيبُ

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعْرِضٍ ؛ ولقد أجدتَ وصفَها ، وأظنّك قد شَربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين إنّه لَيَريبني منك مَعْرفتُك بهذا .

[قصة له مع بعض ندمائه في حانة]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجلٍ من الأَزْد قال : كان الأُقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيُعطونه ، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم ، فأخذها وتوجّه إلى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له : أَقِمْ لِي ما أحتاج إليه ففعل ذلك ، وانضمّ إليه رُفَقاء له ، فلَم يَزَلْ معهم حتى نَفِدتِ الدّراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه ، فلمّا أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة : أصْعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأعْلِم الأُقَيشر انا لم نـأتِ اليومَ . فلمّا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له . فعلِم الأُقيشر أنّه لا فَرَج له عند صاحب الحانة إلاّ برَهْنٍ ، فطرح إليه ثيابه وقال له : أقِمْ لي ما أحتاج إليه ففعل . فلمّا أخذ فيه الشرابُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

يــا خليلَــيّ اسْقِيانِيَ كاسا ... ثــم كأساً حتّى أخِـرّ نُعاسا

إنّ في الغُرْفةِ التي فوق رأسي ... لأُناســـاً يخادِعـــون أُناسا

يشرّبون المُعَتّقَ الرّاحَ صِرْفـاً ... ثــمّ لا يَرفعـون بالزَّوْرِ راسا

فلمّا سمع أصحابه هذا الشعر فَدَّوه بآبائهم وأُمّهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك ، فصعِد إليهم .

[قصته مع عمّه بعدما أعطاه بشر بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن ابن مَهرويَه قال حدَّثني أبو مُسلم المُستَمْلي عن المدائنيّ قال : مدح الأُقيشر بِشْرَ بن مَروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمَنُ بن خُرَيم بن فاتك الأسديُّ ، فقال أيْمَنُ : هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جوفٍ خَرِبٍ . فأجابه بالبيت المذكور . وقال أبو عمرو أيضاً في خبره : فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمُّه فأخذ منه الألفَ الدِّرْهَمِ وقال : والله لأُخَلِّيك تُفْسِدها وتشرَب بها الخمر . قال : فتصنع بها ماذا ؟ قال : أكسوك واكسو عِيالَك وأُعِدُّ لك قوتَ عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له : [من الطويل]

أَبلغْ أبــا مَـرْوانَ أنّ عطاءَه ... أزاغَ بــه مَنْ ليس لِي بعِيالِ

قال : ومَن ذلك ؟ فأخبره الخبر . فأمر صاحبَ شُرطته أن يُحضر عمَّه وينتزع منه الألفَ الدرهم ويسلِّمها إليه ، وقال : خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم .

[مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به]

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : مرّ الأُقيشر بخَمّارة بالحِيرة

يقال لها دَومةُ ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً ، ثم قال لها جَوِّدي لي الشراب حتى أُجيد لكِ المَدح ففعلتْ . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا يـا دَوْم دامَ لك النَّعِيمُ وأسْمَرُ مِـلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـدُ الاسْرِ يَنْبِض حالبـاه يُحَـمُّ كأنّـه رجـلٌ سقيمُ[1]
يُرَوِّيـه الشرابُ فيَزْدَهِيـهِ ويَنْفُخُ فيـه شيطـانٌ رجيمُ

قال : فسُرّت به الخمّارة وقالت : ما قِيل فيَّ أحسن من هذا ولا أَسَرُّ لي منه .

[مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك]

أَخبرني أبو الحسن الأسديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : كان فاتك بن فَضالة بن شَريكٍ الأسدِيُّ كريمـاً على بني أُميّة ، وهو الوافدُ على عبد الملك بن مَروان قبل أن يَنهض إلى حرب ابن الزُّبير ، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم إليه ، وأن يُسْلِموا مُصْعباً إذا لقيه ويتفرّقوا عنه . وله يقول الأُقَيشِر في هذه الوِفادة : [من الكامل]

وَفَد الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بنِ شَرِيكِ

[انكسر المنبر من تحت الوالي التميمي فهجا قومه]

أَخبرني عليّ بن سُليمان الأخفش عن السُّكّريّ قال حدَّثني ابن حبيب قال : وَلِيَ الكوفةَ رجلٌ من بني تميم يقال له مَطَرٌ[2] ؛ فلمّا عَلا المِنبَر انكسرت الدَّرجةُ من تحته فسقط عنها ؛ فقال الأُقيشر : [من الكامل]

أَبَني تَميمٍ مـا لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ مـا يَستقِرّ قـرارُه يَتَمَرْمَرُ[3]
إنَّ المنابـرَ أَنكرتْ أَستاهَكم فادعُـوا خُزَيمـة يَسْتَقِرَّ المنبرُ

[يتهاجى مع قريظة بن قرظة]

أَخبرني محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : مرّ رجلٌ من مُحارِبٍ يقال له قُرَيظة بن يَقَظة بالأُقيشر الأَسَديّ وهو في مجلسٍ من مجالس بني أَسَد ، فسلَّم على الأُقيشر وكان به عارفاً . فقال له القوم : مَن هذا يا أَبا مُعْرِض ؟ وكان مخموراً ، فقال : [من الطويل]

ومَنْ لي بأنْ أَستطيعَ أن أذكرَ اسْمَه وأَعْيا عِقالاً أن يُطِيقَ لـه ذِكرا

قال : فضحِكَ القومُ وقالوا : سبحانَ الله ؛ أيُّ شيء تقول ؟ فقال : اسمُه ونَسَبُه أعظمُ من

---

1 الأسر : شدّة الخلق .

2 وهو مطر بن ناجية اليربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري وقد ورد هذا الاسم في شعر للأُقيشر ، الشعر والشعراء : 560/2 . انظر ديوانه ص 71 رقم 23 .

3 ديوانه ص 71 رقم 23 وفي الشعر والشعراء 560/2 : لا يستقرُّ قُعوده يتمرمر . ويتمرمر : يهتز ويضطرب .

أن أقدِر على ذكرهما في يومٍ ، فإنْ شئتُمْ سَميته اليومَ ونسبتُه غداً ، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليوم وسَمَّيته غداً . قالوا : هاتِ اسْمَه اليومَ . فقال : قُرَيظة . فقال رجل منهم : ينبغي أن يكونَ ابن يَقَظَةَ . فقال الأُقيشر : صدقتَ واللهِ وأصبتَ ، ولقد أثقلني اسْمُه حين ذكرتَه أن أقول نَعَمْ .

فبلغ قريظةَ قولُه وكان شاعراً فقال : [من الطويل]

لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقى ... ولكنّـــه بالمُخزِيـــاتِ طليقُ
كذاك إذا مــا كنــتَ غيرَ مُفيقِ ... وأنتَ حَقيقٌ يــا أُقَيْشِرُ أن تُرى[1]
تَسَفُّ مــن الصهباء صِرفاً تَخالُها ... جَنى النَّحلِ يُهْدِيـه إليكَ صديقُ

فبلغ الأُقَيْشِرِ قولُ المُحاربيّ وكان يُكْنى أبا الذيّال ، فأجابه فقال : [من الطويل]

عَدِمْـتُ أبا الذيَّالِ من ذِي نَوالةٍ ... لــه في بيوتِ العاهراتِ طريقُ
أبالخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرءاً ليس مُقْلِعاً ... وذلك رأيٌ لــو عَلِمْـتَ وثيقُ
سأشربُها ما دُمْتُ حيّاً وإن أمُتْ ... ففــي النَّفْسِ منهـــا زَفرةٌ وشهيقُ

[أعجب الرشيد بشعره في التوبة]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلاً يغنّـي[2] : [من البسيط]

إنْ كانتِ الخمرُ قد عَزّتْ وقد مُنِعتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقــد أُباكِرُهـــا صِرْفاً وأشْرَبُها ... أشْفــي بها غُلّتي صِرْفاً وأمْتَزِجُ[3]
وقــد تقــومُ على رأسي مُغَنِّيــةٌ ... لهــا إذا رَجَّعَتْ في صوتها غُنُجُ
وترفَــع الصوتَ أحياناً وتَخفِضُه ... كما يَطِنّ ذُبــابُ الرَّوْضةِ الهَزِجُ

قال : فوجَّه في أثر الصوت مَن جاءه بالرجل وهو يُرْعَد ، فقال : لا تُرَعْ فإنّما أعجبني حُسْنُ صوتِك . فقال : واللهِ يا أمير المؤمنين ما تغنَّيت بهذا الشعر إلاّ وأنا قد تُبْتُ من شرب النبيذ ، وهذا شعرٌ يقوله الأُقَيْشِرِ في تَوبته من النبيذ . فقال له الرشيد : وما حَمَلَكَ على تركه ؟ قال : خَشْيةُ الله . وإنّي فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيدُ بن ظَبْيان : [من البسيط]

جـــاءوا بقاقُـــزَّةٍ صَفْراءَ مُتْرَعـــة ... هل بين ذِي كبرةٍ والخمرِ من نَسَبِ[4]

---

1 في هذا البيت إقواء .

2 ديوانه ص 58 رقم 12 عن الأغاني .

3 في ديوان أبي محجن :

فقــد أباكرهــا ريّا وأشربهــا ... صرفاً وأطرب أحياناً فأمتزج

4 القاقُزّة : الصغيرة من القوارير .

بئس الشَّرابُ شراباً حــين تَشْرَبُه يُوهِي العِظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ
إنّي أخــافُ مَليكي أنْ يُعَذِّبَني وفي العشيرةِ أن يُزْري على حَسَبي

فقال له الرشيد : أنتَ وما اخترتَ أعلَمُ ، فأعِدِ الصوتَ ، فأعادَه . وأمر بإحضار المغنّين واستعادَه ، وأمرَهم بأخْذِهِ عنه فأخذوه ، ووصَلَه وانصرَف ، وكان صوتَ الرّشيد أيّاماً . هكذا ذكر إسماعيل بن يونُس عن عُمَر بن شَبَّة في هذا الخبر أنّ الأبيات للأُقيشر ، ووجدتُها في شعر أبي مِحْجَنٍ الثَّقفيّ له لمّا تاب من الشراب .

[خرج لغزو الشام فأنفق ثمن حماره في الفجور]

أخبرني عليٌّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال : كان القُباعُ ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، قد أخرج الأُقَيْشِرَ مع قومه لقتال أهل الشام ، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ ، فلمّا عبرَ جسْرَ سُورا[1] فوصل لقريةٍ يقال لها قنّين توارى عند خمّارٍ نَبَطِيٍّ يُبْرِز زوجتَه للفُجور ، فباع حِمارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثَمنه ويفجُر إلى أن قفَل الجيش ، وقال في ذلك : [من الطويل]

خرجتُ من المِصْرِ الحَوارِيِّ أهلُه بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ
إلى جَيْشِ أهلِ الشّامِ أُغْزِيتُ كارهاً سَفاهاً بلا سيفٍ حديد ولا نَبْلِ[2]
ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيــه حِمالــةٌ ورُمحٍ ضَعيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ
حَباني بــه ظُلْمُ القُباعِ ولم أجِدْ سوى أمرِه والسَّيرِ شيئاً من الفِعْلِ
فأزمعتُ أمْرِي ثم أصبحتُ غازياً وسَلّمتُ تسليمَ الغُزاةِ على أهلي
وقلتُ لَعَلّــي أنْ أُرى ثَمَّ راكباً على فرس أو ذا مَتــاعٍ على بَغلِ
جَوادِي حمــارٌ كان حيناً لِظَهْرِهِ إكافٌ وإشناق المَــــزادةِ والحبلِ
وقــد خــان عينيه بياضٌ وخانَه قوائمُ سَوْءٍ حين يُزْجَرُ في الوَحْلِ
إذا ما انتَحى في الماء والوَحْلِ لم تَرِمْ قوائمُه حتّــى يُؤَخَّــرَ بالحِمْلِ
أُنادِي الرِّفــاقَ بــارَكَ اللهُ فيكمُ رُوَيْدَكُمُ حتّى أَجوزَ إلى السَّهْلِ
فسِرْنا إلى قنّــين يومــاً وليلــةً كأنّا بَغايــا مــا يَسِرْنَ إلى بَعْلِ
إذا مــا نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ ساحةٍ سوى يابس الأنهارِ أو سَعَفِ النَّخْلِ

---

1 سورا : قرية بالعراق من أرض بابل ، وقد نسبوا إليها الخمر . وسوراء : موضع قرب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها .
2 أغزاه : حمله على الغزو .

مَرَرْنــا على سُوراءَ نَسْمَع جَسْرَها ... يَئِطّ نَقِيضاً عن سفائنِـهِ الفضلِ[1]
فلمّا بــدا جسرُ السَّراةِ وأَعرضت ... لنا سوقُ فُرَّاغِ الحديثِ إلى شُغْلِ
نزلنــا إلى ظِـــلٍّ ظليـــلٍ وباءةٍ ... حَلالٍ برغم القلطمان وما نفلِ[2]
يُشارِطُه مَـــنْ شاء كان بدرهمٍ ... عَرُوساً بما بـين السَّبيئة والنَّسْلِ
فأتبعتُ رُمْـحَ السَّوْءِ سمية نصله ... وبِعْتُ حماري واسترحتُ من الثِّقْلِ
تقول ظبايــا قـــل قليلاً ألا ليا ... فقلتُ لها إصوى فإنّي على رِسْلِ
مهـــرت لهـــا جرديقة فتركتُها ... بمرها كطَرْفِ العينِ شائلةَ الرِّجْلِ

وممّا يُغَنَّى فيه من شِعرِ الأُقَيْشِرِ : [من البسيط]

## صوت

لا أَشْرَبَـــنْ أبـداً راحاً مُسارَقَةً ... إلاّ مـــع الغُـــرّ أبنـاء البَطارِيقِ
أَفنى تِلادِي وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ ... قَـــرْعُ القَواقيزِ أفـــواهُ الأباريقِ[3]

الغناء لِحُنَينٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعمر الواديّ رملٌ بالبنصر عن لهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّل يُنسَب إلى حُنَينٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعاً . وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأُقيشر طويلةٍ ، أوّلُها : [من البسيط]

إِنِّي يذكِّـــرني هنـــداً وجارتَها ... بالطَّفِّ صوتُ حَمامات على نيقِ[4]

## صوت

[من الوافر]

دَعــاني دَعْوةً والخيلُ تَرْدِي ... فــلا أَدري أَباسْمِي أَمْ كَناني
وكانَ إجابَتـــي إيَّـــاهُ أَنِّي ... عَطَفْــتُ عليـه خَـوَّارَ العِنانِ

الشعر لابن الغَرِيزَة النَّهْشَلِيّ . والغناء ليحيى المكّيّ رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد جعل المُغنُّون معه هذا البيتَ ولم أَجِدْه في قصيدته ، ولا أدري أَهُوَ له أم لغيره : [من الوافر]

أَلا يـا مَن لِذا البَرْقِ اليَماني ... يلــوحُ كأنّه مِصْبـاحُ بانِ[5]

---

1 يئط : يصوّت . والنقيض : الصّوت .

2 الباءة : النكاح .

3 التلاد : المال القديم من تراث وغيره . والنشب : المال الثابت كالدار ونحوها . أو هو المال الأصيل من الناطق والصامت . القواقيز : ضرب من الرّواطيم وهو الكؤوس الصغيرة .

4 الطف : موضع بناحية الكوفة . النيق : حرف من حروف الجبل ، وأرفع موضع فيه .

5 الباني هنا : الداخل بأهله . وكأنه مصباح بانٍ مثل : يضرب فيما يبقى ليله ولا يزول .

# [ 190 ] ـ أخبار ابن الغريزة ونسبه

[ نسبه ]

كَثِيرُ بن الغَريزة التميميُّ أَحدُ بني نَهشلٍ . والغَرِيزةُ أُمّه . وهو مخضرمٌ ، أَدرك الجاهليّة والإسلام ، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَريزة في غَزاةٍ غزاها الأَقْرَعُ بن حابسٍ وأَخوه بالطَّالَقانِ[1] وجُوزَجانَ[2] وتلك البلادِ ، فأُصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالَقانِ فرثاهم ابنُ الغَريزة .

[قصيدته التي يرثي فيها قتلى يوم الطالقان]

أَخبرني الصُّوليّ عن الحَزَنْبَلِ عن ابن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : بعثَ عُمَر بن الخطّاب الأَقْرَع بن حابسٍ وأَخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقان وجُوزَجان وتلك البلادِ ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطّالقان ، فقال ابن الغَريزة النَّهْشليّ وقد شهِد تلك الوَقعة يَرثيهم ويذكر ذلك اليوم : [من الوافر]

سَقى مُـزْنُ السَّحابِ إذا اسْتهلّتْ ... مَصـارِعَ فِتْيـةٍ بـالجُوزَجانِ
إلى القَصْرَيْنِ مـن رُسْتاق خُوطٍ ... أَبادَهُـمُ هنـاكَ الأَقْـرَعانِ[3]
ومـا بـي أَنْ أَكونَ جَزِعْتُ إلاّ ... حنـينَ القلـبِ للبَـرْقِ اليَمانِي
ومَحْبُـورٍ بِرُؤْيَتِنا يُرَجِّـي الـ ... ـلقاءَ ولَـن أَراه ولـن يَراني
ورُبَّ أَخٍ أَصاب المـوتُ قَبْلِي ... بَكَيْتُ ولـو نُعِيتُ لـه بَكاني
دعـاني دعوةً والخيـلُ تَردي ... فمـا أَدْري أَباسْمِـي أَمْ كَنانِي[4]
فكـان إجابَتـي إيَّـاهُ أَنِّـي ... عَطَفْـتُ عليـه خَـوَّارَ العِنانِ[5]
وأَيَّ فَتًـى دَعَوْتَ وقـد تَوَلَّتْ ... بهـنّ الخيـلُ ذاتُ العنظوانِ[6]

---

1 الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .
2 جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .
3 القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها . يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .
4 ردت الفرس تردي : رجمت الأرض بحوافرها ، أو هو ضرب من السّير بين العدو والمشي .
5 خوّار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .
6 يقال : طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه .

وأيَّ فَتًى إذا ما مُتُّ تدعُو يُطَرِّفُ عنكَ غاشيةَ السِّنانِ
فإنْ أَهْلِكْ فلَم أَكُ ذا صُدُوفٍ عن الأَقْرانِ في الحَرْبِ العَوانِ[1]
ولَم أُدْلِجْ لأَطْرُقَ عِرْسَ جاري ولَم أَجْعَلْ على قَوْمي لِساني[2]
ولكنِّي إذا ما هايَجُوني مَنِيعُ الجارِ مُرْتَفِعُ البَنانِ
ويَكْرَهُني إذا استَبْسَلْتُ قِرْني وأَقضي واحداً ما قد قضاني
فلا تَسْتَبْعِدا يَوْمي فإنِّي سأُوشِكُ مَرَّةً أَنْ تَفْقِداني
ويُدْرِكُني الذي لا بُدَّ منه وإنْ أَشْفقْتُ من خوفِ الجَنانِ
وتَبْكيني نوائحُ مُعْوِلاتٌ تُرِكْنَ بدار مُعْتَركِ الزَّمانِ[3]
حَبائسُ بالعراقِ مُنَهْنِهاتٌ سَواجِي الطَّرْفِ كالبَقَرِ الهِجانِ[4]
أَعاذِلَتَيَّ مِنْ لَوْمٍ دَعاني ولِلرَّشَدِ المُبَيَّنِ فاهْدِياني
وعاذِلَتَيَّ صَوْتُكما قريبٌ ونَفْعُكُما بعيدُ الخَيْرِ واني
فَرُدّا الموت عنِّي إن أَتاني وَلا وأَبيكُما لا تَفْعَلانِ

## صوت

[من الكامل]

دارٌ لقاتلةِ الغَرانقِ ما بها غيرُ الوُحوشِ خلتْ له وخَلا لَها[5]
ظَلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّمِ ما بِهِ وهيَ التي فعلتْ بِهِ أَفعالَها

الشعر لأَعْشى بني تَغْلِبَ من قصيدة يمدَح بها مَسلَمة بن عبدِ الملك ويهجو جريراً ويُعِين الأَخطلَ عليه . ويُرْوى «رَبْعٌ لِقانصة الغَرانق» وهو الصحيحُ هكذا ، ويُغَنَّى «دارٌ لقاتلةٍ» لأَنَّه يقول في آخر البيت «خلَتْ له وخلا لها» . والغناء لعبد الله بن العَبّاس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانة وابن المَكّيّ . وفيه لُمخارِقٍ رملٌ من جميع أَغانيه .

1 الصّدوف : الإعراض .
2 الإدلاج : السير من أول الليل .
3 معترك : في ل : مغولة .
4 نهنه فلان دمعه : كفه . وسواجي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .
5 الغرانق والغرانيقَ : جمع غُرنوق وغِرنوق وغِرنيق وهو الشاب الناعم .

# [ 191 ] ـ أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

[ نسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيُّ : اسمه ربيعةُ . وقال ابن حَبيب : اسمه النُّعمان بن يحيى بن معاوية ، أَحدُ بني معاوية بن جُشَمَ بن بَكْرِ بن حُبَيب بن عمرو بن تَغلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة بن أَسَدِ بن رَبيعة بن نِزارٍ ، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وساكني الشام إذا حَضَر ، وإذا بَدا نزلَ في بلاد قومه بنواحي المَوْصِل وديار ربيعة . وكان نَصرانيّاً ، وعلى ذلك مات .

[قصته مع الحر بن يوسف]

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ قال حدَّثنا محمد بن حبيبَ عن أبي عمرو الشيبانيُّ قال : كان أعشى بني تَغلب يُنادم الحُرَّ بن يوسُف بن يحيى بن الحكَم . فشرِبا يوماً في بُستانٍ له بالمَوْصِل ، فسكِر الأعْشى فنام في البستان . ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه . واستيقظ الأعشى فأقبل ليدخلَ القبَّة ، فمانعه الخدَمُ ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُم على الحُرِّ مع جواريه ، فلطَمه خَصِيٌّ منهم ؛ فخرج إلى قومه فقال لهم : لطَمني الحُرُّ . فوثب معه رجلٌ من بني تَغلِب يقال له ابن أُدْعَجَ وهو شِهابُ بن هَمّام بن ثعلبة بن أبي سَعْدٍ ، فاقتحما الحائطَ[1] وهجَما على الحُرِّ حتى لطمه الأعشى ثم رجعا . فقال الأعشى : [من الوافر]

كأنّــي وابنَ أُدْعَجَ إذ دَخَلْنا ... على قُرَشِيِّـكَ الوَرَعِ الجَبانِ[2]

هِزبْـرا غابــةٍ وَقَصا حِمــاراً ... فَظَـــلاَّ حَوْلَــه يَتَناهشانِ[3]

أَنا الجُشَمِيُّ من جُشَمَ بنِ بَكْرٍ ... عَشِيّةَ رُعْـتُ طَرْفَـكَ بالبَنانِ

أيْ لطمتُك . وقوله «أَنا الجشميّ» أيْ مِثْلي يفعل ذلك بمثلِك .

فما يسطيع ذو مُلْـكٍ عِقابِي ... إذا اجترمتْ يَدِي وجَنى لِساني

عَشِيَّةَ غـاب عنك بنو هاشمٍ ... وعثمــانُ استُهــا وبنــو أَبانِ

تَــرُوحُ إلى مَنازِلهــا قُــرَيشٌ ... وأنــت مُخَيِّـــمٌ بــالزَّرَّقانِ

---

1 الحائط : البستان .

2 الورع : الضعيف الجبان .

3 وقص عنقها : كسرها ودقّها .

والزَّرَّقان : قريةٌ كانت للحُرِّ بسِنْجار[1] .

[مدح مدركاً الكنانيّ فأساء ثوابه فهجاه]

قال ابن حبيب : مدَح أعْشى بني تَغْلِبَ مُدْرِكَ بن عبد الله الكِنانيّ أحد بني أُقَيْشِر بن جَذِيمة بن كَعْب فأساء ثوابَه ؛ فقال الأعشى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي يــومَ أَمْدَحُ مُدْرِكاً ... لَكالْمُبْتَني حَوْضــاً على غيرِ مَنْهَلِ
أَمَرَّ الهَــوى دُوني وفَيَّـلَ مِدحَتي ... ولَــوْ لكَريــمٍ قُلْتُها لَم تُفَيَّلِ[2]

[شعره في شمعلة بن عامر]

قال ابن حَبيبَ : كان شَمْعَلَةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أَخُو بني فائدٍ وهم رَهط الفرس نَصرانيّاً وكان ظريفاً ، فدخل على بعض خُلفاء بني أُمَيّة ، فقال : أَسْلِمْ يا شمعلةُ . قال : لا والله أُسلم كارهاً أبداً ، ولا أُسلم إلاّ طائعاً إذا شئتُ . فغضِب فأمر به فقُطِعت بَضْعةٌ من فَخذِهِ وشُوِيَتْ بالنار وأُطعمها . فقال الأعشى بني تَغلب في ذلك : [من الطويل]

أَمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذِ منك تباشرتْ ... عُداكَ فلا عــارٌ عليك ولا وزرُ[3]
وإنّ أَميــرَ المؤمنــين وجَرْحَــه ... لَكالدَّهْرِ لا عــارٌ بما فعل الدّهرُ

[قال حين منعه عمر بن عبد العزيز]

وقال ابن حبيب قال أبو عمرو : كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تَغلِب ، فلمّا وَلِي عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَد إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئاً ، وقال : ما أَرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً ، ولو كان لهم فيه هم حقٌّ لَما كان لك ؛ لأنَّك امرؤٌ نصرانيٌّ . فانصرف الأعشى وهو يقول : [من الطويل]

لَعَمْري لقــد عاش الوليدُ حياتَــه ... إمامَ هُــدًى لا مُسْتَزادٌ ولا نَزْرُ
كأَنّ بنــي مَــرْوانَ بعدَ وفاتــه ... جلاميدُ لا تَنْدى وإنْ بَلَّها القَطْرُ

[شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان]

وقال ابن حبيبَ عن أبي عمرو : كانتْ بين بني شَيْبانَ وبين تَغْلِبَ حروبٌ ، فعاون مالكُ بن مسْمَع بني شَيبان في بعضها ثم قَعد عنهم . فقال أعشى بني تَغْلِبَ في ذلك : [من الطويل]

---

1 سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .

2 فيله : قبحه وخطأه .

3 الحُذَّة : القطعة من اللحم .

بنـــي أُمِّنـــا مَهْـلاً فإنّ نفوسَنا    تُميتُ عليكـم عَتْبَهـا ومَصالَها
وترعـى بـــلا جهـــلٍ قَرابَةَ بَيْنِنا    وبَيْنِكُـمُ لَمّـــا قَطَعْتُمْ وِصالَها
جـــزى اللهُ شيباناً وتَيْماً مَلامةً    جـــزاءَ المُسيءِ سَعْيَها وفِعالَها
أَبا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه    وتَعْجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَها
أأوقدتَ نارَ الحرب حتّى إذا بَدا    لنفسِكَ ما تجني الحروبُ فهالَها
نَزَعْتَ وقـــد جَرّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ    قَبيح مُهينٍ حيثُ ألقتْ حِلالَها[1]
أَلَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها    وكان صَفيـحُ المَشْرَفيِّ صلالَها[2]
أَجارتُنـــا حِلٌّ لكـــم أنْ تَناولوا    مَحارِمَهـــا وأَن تَميـــزُوا حَلالَها
كذبتم يَمِينُ اللهِ حتـــى تَعاوَرُوا    صُدورَ العـــوالي بيننـــا ونِصالَها[3]
وحتى ترى عينُ الذي كان شامتاً    مَزاحـــفَ عَقْرى بيننا ومَجالَها[4]

## صوت

[من الطويل]

ويَفْرَحُ بـــالمولود مـــن آل بَرْمَكٍ    بُغاةُ النَّدى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِط الآمـــالُ فيـــه لِفَضْلِهِ    ولا سِيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضلِ

الشعر لأَبي النَّضِير . والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع إسحاق . وقال حَبَشٌ : فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق . وقال حبشٌ : فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ آخَرُ بالوُسْطى ولقَضِيبَ وبَراقِشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

1 الحلال هنا : متاع الرحل .

2 الصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرفيّ : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران ، وذكر أنها في أماكن أخرى .

3 تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح . الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح .

4 المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف . وعقرى : جمع عقير .

# [ 192 ] ـ أخبار أبي النّضير ونسبه

أبو النَّضير اسمُه عُمَرُ بن عبد المَلِكِ ، بَصْرِيٌّ ، مولًى لبني جُمَحَ .

أخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مَهْرُوَيْه عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ عن إسحاق بن خَلَفٍ الشاعر قال : قلت لأبي النَّضِير بن أبي إلياس : لِمَن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيى اللاّحقيُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك .

[ انقطع إلى البرامكة فأغنوه ]

شاعرٌ من شعراء البصريِّين ، صالحُ المَذْهَبِ ، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين . وكان يغنِّي بالبصرةِ على جَوارٍ له مولَّدات ، ويُظْهِرُ الخَلاعة والمُجون والفِسق . ويُعاشر جماعةً ممّن يُعْرَف بذلك الشأن . وكان أبانُ اللاّحِقيُّ يُعاشره ثم تَصارَما ، وهجاه وهجا جواريَه وافترقا على قِلًى ، ثم انقطع أبو النَّضير إلى البرامكة فأَغْنَوْه إلى أن مات .

[قال إسحاق الموصليّ إنّه أظرف الناس]

أخبرنا ابن أبي الأزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قِيل لِي مَن أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه ، لقلتُ : أبو النَّضَيرِ .

[دخل على الفضل بن يحيى فهنّأه بمولود ارتجالاً]

أخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق ، وأخبرني محمد بن مَزْيدٍ عن حمّاد عن أبيه قال : وُلِد للفَضْلِ بن يحيى مولودٌ ، فوَفَد عليه أبو النَّضِير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً ، فلمّا مثَل بين يديه ورأى الناسَ يهنئونه نَثْراً ونَظْماً قال ارتجالاً : [من الطويل]

ويَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَرْمَكٍ ... بُغاةُ النَّدى والسَّيفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِطُ الآمالُ فيه لِفَضْلِهِ ... . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ثم أُرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقول . فقال الفضل يُلقّنه :

ولا سِيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

فاستحسن الناس بديهةَ الفضلِ في هذا ، وأمر لأبي النَّضير بصلةٍ .

[نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني بعض المَوالي قال : حضرتُ الفَضْلَ بن يحيى وقد قال لأبي النَّضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا : [من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدادَ في رأْسِ فَرْسَخ وجدتُ نسيمَ الجُودِ مِن آل بَرْمكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِدّاً . قال : أَفلأَجل ذلك أيّها الأَميرُ ضاقتْ عليَّ صِلَتُك وضاقت عنّي مكافأتُك وأَنا الذي أَقول : [من السريع]

تشاغَلَ النّاسُ ببُنْيانِهِمْ والفضلُ في بُنْيانِهِ جاهِدُ
كلُّ ذوي الفَضْلِ وأَهلِ النُّهى للفَضْلِ في تدبيره حامدُ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأَوَّلَ كما بلغ الأميرَ ، وإنّما قلتُ : [من الطويل]

إذا كنتُ مِن بَغْدادَ مُنْقَطِعَ الثَّرى وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمكِ

فقال الفضلُ : إنّما أَخَّرْتُ عنك لأُمازِحك ، وأَمَر له بثلاثين أَلْفَ درهمٍ .

[كتب إلى عنان وكان يهواها فأجابته]

أَخبرني ابن عَمّارٍ عن أبي إسحاق الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يَهْوَى عِنانَ جاريةَ النَّاطِفيّ ، وكَتَبَ إليها : [من الخفيف]

إنَّ لي حاجةً فرَأْيَكِ فيها لَكِ نفسي الفِدا مِنَ الأَوصابِ
وهْيَ ليستْ ممّا يُبَلِّغُه غيـ ـري ولا أستطيعُه بكتابِ
غيرَ أنّي أقولُها حين ألقا كِ رُوَيْداً أُسِرُّها من ثِيابي

فأَجابتْه وقالت : [من الخفيف]

أنا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أَهْوا هُ وقلبي مِنْ دونِهِ في حِجابِ
فإذا ما أردتَ أَمْراً فأَسْرِرْ هُ ولا تجعلَنَّه في كتابِ

قال : وقال أبو النَّضير فيها : [من الهزج]

**صوت**

أَنا واللهِ أَهْواكِ وأَهواكِ وأَهواكِ
وأَهوى قُبْلةً مِنْكِ على بَرْدِ ثَناياكِ
وأَهوى لكِ ما أَهْوى لِنَفْسِي وكَفى ذاكِ
فهَلْ يَنْفَعُني ذِلـ ـكِ يوماً حين ألقاكِ
أَنا واللهِ أَهْواك وما يَشْعُرُ مولاكِ
فإيّاك بأَنْ يَعْلَـ ـمَ إيّاكِ وإيّاكِ

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ .

[عابث مكتومة المغنية حين طلبت منه صوتاً]

حدَّثنا ابن عمّار عن الطَّلحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أَبو النضير يُغَنِّي غناءً صالحاً ، فغنّى ذاتَ يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : اطْرَحْ عليّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطِيبُ نفسي به مُحابِياً ، ولكنّي أَبيعك إيّاه . قالت : بِكَمْ ؟ قال : برأْس مالِه . قالت : وما رأسُ مالِه ؟ قال : ناكَني فيه الذي أخذتُه منه . فغطَّتْ وجهَها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمارُ .

[شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام]

أَخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيِّ عن أبي سُهَيْل قال : قال أَبو النضير ، وفيه غناءٌ لإبراهيم : [من المتقارب]

**صوت**

أيَصحو فُـؤادُكَ أَمْ يَطْـرَبُ ... وكيف وقد شَحَطتْ زينبُ

جـرى الناسُ قبـل أبي جعفرٍ ... زمانـاً فلم يُـدْرَ مَـنْ غَلَّبُوا

فلمّـا جـرى بأبـي جعفر ... بنـو تَغْلِـب سَبَقـتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفرٍ الذي عناه أبو النَّضِير هو عبدُ اللّٰه بن هشام بن عمرو التَّغْلبيّ الذي يذكره العَتَّابيُّ في شعره ورسائله ، وكان جواداً سَخِيّاً . وكان ابنُ هشامٍ وَلِي السِّنْدَ ، وفيه يقول أَبو النَّضير : [من الطويل]

أَلا أَيُّها الغيثُ الذي سحّ وَبْلُه ... كأنّك تَحْكي راحــةَ ابنِ هشامِ

كأنّــك تَحْكِيها ولكنّ جُودَه ... يــدومُ وقــد تأتــي بغيرِ دوامِ

وفيـك جَهامٌ ربَّمـا كان مُخْلِفاً ... وراحتُــه تَغــدُو بغير جَهامِ[1]

[كان يرى أنّ الغناء على تقطيع العروض]

أَخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أَبو النَّضِير يزعمُ أنّ الغِناء على تقطيع العَروض ، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أنْ يُغَنِّي ، وكان إبراهيم الموصليّ يُخالفه في ذلك ويقول : العَرُوض مُحْدَثٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه : [من الوافر]

سَكَتُّ عن الغِناء فلا أُمارِي ... بَصيـراً لا ولا غيـرَ البصيرِ

1 الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذي هراق ماءه .

مخافةَ أنْ أُجَنّنَ فيـه نَفْسي ... كما قــد جُــنَّ فيه أبو النَّضيرِ

[قاطعه أبان اللاحق وقال شعراً يهجوه]

أُخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أبو طَلحة الخُزاعيّ عن اللاَّحقيّ قال : كان جدّي أُبانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطىء دجلة بعد مُصارمته أبا النَّضير ، وكان القوم أصدِقاء له ولأبي النضير ، فذكروه . فقال جَدّي : إنْ حضَر انصرفتُ ، فأُمسكوا جَدّي فيه : [من الخفيف]

رُبَّ يــومٍ بشَطٍّ دِجْلــةَ لَــذٌّ ... ولَيــالٍ نَعِمــتُ فِيهــا لِذاذِ
غَيْبَـــةٌ لم تَطُــلْ عــليّ ومـاذا ... خيرُ قُــرْبِ المُطَرْمِــذِ المَلاَّذِ[1]
تــركَ الأشْرِباتِ ليس بَعــاطٍ ... لِرَساطُونِهــــا ولا الرّاقيـــاذِ[2]
وحكى الأحْمَقَ الذي ليس يَدْري ... أنَّ خيرَ الشرابِ هــذا اللذاذِ[3]
ضَـــلَّ رأْيٌ أَراه ذاك كما ضَـ ... ــلَّ غُــواةٌ لاذُوا بشَرٍّ مَــلاذِ
أنــت أَعْمــى فيما ادَّعَيْتَ كما لَسْـ ... ـتَ لِصَوْغِ الألحانِ بالأُسْتاذِ
كان ذنبــاً أَتوبُ منـــه إلى اللـ ... ــه اختيارِيكَ صاحباً واتِّخاذي
إنّ للهِ صــومَ شَهْرَيْـــنِ شُكْراً ... أنْ قَضى منــك عاجلاً إنْقاذي
لا لِديـــنٍ ولا لِدُنْيـا ولا يَصْـ ... ــلُحُ في علــم مـا ادَّعى بنَفاذِ

[يسأل حماد عجرد عن مجلس شرابه]

حدَّثني ابن عَمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْل قال : كتب أَبو النَّضير إلى حمّاد عَجْرد يسأل عن حاله في الشراب وشُرْبِهِ إيّاه ومَنْ يعاشِر عليه . فكتَبَ إليه حَمّادٌ : [من السريع]

أَبا النَّضيرِ اسْمَعْ كَلامي ولا ... تَجْعَلْ سوى الإنصافِ من بالكا
سألتَ عن حالي ، وما حالُ مَنْ ... لم يَلْــقَ إلاّ عابــداً ناسكا
يظْهِرُ لي ذا فمتـــى يَفْتَرِصْ ... شيئاً تَجِــدْه عاديــاً فاتِكا[4]

يعني حُرَيْثَ بن عمرو . وكان حَمّادٌ نزل عليه ، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهوراً بالزّندقة ، وكذلك حَمّادٌ هذا كان مشهوراً بها ، فنزل عليه لذلك .

---

1 المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنّع الذي لا تصحّ مودته .
2 العاطي : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل .
3 اللذاذ : مصدر لذذت الشيء لذاذة أي وجدته لذيذاً .
4 افترض الشيء : انتهزه وأصابه واغتنمه .

[كتب إلى حمدان اللاحقيّ يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجوه]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي طَلحة الخُزاعيّ عن أبي يحيى اللاحقيّ قال : كتَب أبو النضير إلى عمِّي حَمْدان بن أبان . وكان له صديقاً ، يشكو إليه عُمَرَ بن يحيى الزِّيادِيَّ وكان عَرْبَدَ عليه وشتَمه : [من مجزوء الرمل]

أقْــرِ حَمْدانَ سلامَ الـ ـلّهِ مِـن فَضْلٍ وقُلْ لَـهْ
يـا فَتًى لستُ بحمدِ الـ ـلّهِ أخْشى أنْ أمَـلَّـهْ
ذاك أنّ اللهَ قــد أنْـ ـهَلـه الظَّــرْفَ وعَلَّـهْ
وذُرا بيـت رَقَـاشٍ وعُلاهـا قــد أحَلَّهْ[1]
إنَّ شَتْمَ السِّفْلَـةِ الكَشْـ ـخان ذي القَرْنَيْنِ ضَلَّهْ[2]
ولَـوَ انّ القلبَ هاجى عُمَـراً يومـاً لَغَـلَّـهْ[3]
ذاك أنّ الله قــد أخـ ـزى ابنَ يحيـى وأذَلَّهْ
مَنْ يُهاجي رَجُـلاً يَسْـ ـتوعِبُ الجُـرْدانَ كُلَّهْ[4]
مـا يسيلُ الأيْـرُ إلاّ أدخــلَ الأيْــرَ وبَلَّهْ
وإذا عايَـنَ أيْــراً وافِــيَ الفَيْشَةِ غَلَّـهْ
هــذه قِصَّةُ مَـنْ قـد جعَـل المُـرْدانَ شُغْلَهْ

[أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوّجها وطلّقها]

حدَّثني عمِّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضِير قال : دخلتُ على الفَضْلِ بن الرَّبيع فقال : هل أحدثتَ بَعْدي شيئاً . قلت : نعم ، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجْتُها وطلَّقتها لغيرِ عِلَّةٍ إلاّ بُغْضي لها ، وإنّها لبيضاءُ بَضَّةٌ ، كأنّها سَبِيكةُ فِضَّةٍ . فقال لي : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ : [من مجزوء الكامل]

رَحَلتْ سُكَيْنةُ بالطَّـلاقِ فأَرَحْتُ من غُلِّ الوَثاقِ[5]

1 جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبني رقاش ، ونسبه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عقر مولى بني رقاش .
2 الكَشخان : الديوث الذي لا غيرة له على أهله .
3 غلة هنا : وضع الغل في عنقه أو يده .
4 الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام .
5 أراح فلان : وجد راحة .

رحلتْ فَلَمْ تَألَمْ لها نَفْسي ولم تَدْمَعْ مَآقي
لو لَمْ تَبِنْ بطَلاقِها لأبنتُ نفسي بالإباقِ
وشِفاءُ ما لا تَشْتَهيـهِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ

فقال : يا غُلامُ ، الدواةَ والقِرْطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأمَرَني فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلتُ له : أنتَ والله تُبْغِضُ بنتَ أبي العبّاس الطُّوسيّ . فقال : اسْكُتْ أخزاك الله ! ثم ما لبِث أن طَلّقها .

## صوت

[من الكامل]

ما بالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشيرتَها وفُرْقَةَ بَيْنِها فطوتْ لذلك غُلَّةً أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَر العَبْليّ . والغناءُ لأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجرى الوُسطى عن ابن المكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه إلى أحدٍ ، وقيل إنّه من منحول يحيى إلى أبي سعيدٍ .

# [ 193 ] ـ أخبار العبليّ ونسبه

[من مخضرمي الدولتين]

اسمُه عبدُ الله بن عُمَر بن عبد الله بن عليٍّ بن عديٍّ بن رَبيعةَ بن عبد العُزّى بن عبد شَمْسٍ بن عبد مَنافٍ ، ويُكْنى أبا عَدِيٍّ ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قريش ، ومن مُخضرمِيّ الدولتين ، وله أخبارٌ مع بني أُمَيّة وبني هاشمٍ تُذْكَر في غير هذا الموضع .

[سبب نسبه إلى العبلات]

ويقال له عبد الله بن عُمَر العَبْليّ ، وليس منهم ؛ لأنّ العَبَلات من وَلَدِ أُمَيّة الأصغر ابن عبد شمسٍ . سُمُّوا بذلك لأنّ أُمّهم عَبْلةُ بنت عُبيد بن حارِك بن قيس بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، وهؤلاء يقال لهم بَراجِمُ بني تَميمٍ ، وَلَدتْ لعبد شمس بن عبد مَنافٍ أُميّة الأصغر ، وعبد أُميّة ونَوْفَلاً ، وأمّه من بني عبد شمس ، فهؤلاء يقال لهم العَبَلات ، ولهم جميعاً عَقِبٌ . أمّا أُمَيّة الأصغرُ فإنّهم بالحجاز ، وهم بنو الحارث بن أُمَيّة ، منهم عليُّ بن عبد الله بن الحارث ، ومنهم الثُّرَيا صاحبةُ ابن أبي ربيعة . وأمّا بنو نَوفَل وعبدِ أُمّيّة فإنّهم بالشام كثيرٌ . وعبد العُزّى بن عبد شمس كان يقال له أَسَدُ البطحاء . وإنّما أدخلهم النّاسُ في العَبَلات لَمّا صار الأمرُ لبني أُمَيّة الأَكبرِ وسادوا وعَظُم شأْنهم في الجاهلية والإسلام وكَثُر أشرافُهم ، فجعلَ سائرَ بني عبد شَمْسٍ مَن لا يعلم قبيلةً واحدةً ، فسمَّوْهم أُمَيّة الصُّغْرى ، ثم قيل لهم العَبَلات لشُهرة الاسم .

وعليّ بن عَدِيٍّ جدُّ هذا الشاعر شهِد مع عائشة يومَ الجَمَلِ . وله يقول شاعر بني ضَبّة لعنةُ الله عليه : [من الرجز]

يا رَبِّ آكْبُبْ بِعَلِيّ جَمَلَهْ ولا تُبارِكْ في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلاّ عليَّ بن عَدِيٍّ ليس لَهْ

[مال إلى بني هاشم أيام الأمويين ثم خرج على المنصور]

فأمّا عبد الله بن عُمَرَ هذا الشاعر فكان في أيّام بني أُمَيّة يميل إلى بني هاشمٍ ويَذُمّ بني أُميّة ، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ ، فسَلِم بذلك في أيّام بني العبّاس ثم خرج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

[لم يعطه هشام فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهيرٍ عن مُصعَبٍ الزُّبَيريِّ قال : العَبْليّ عبدُ الله بن عمر بن عبد الله بن عليّ بن عَدِيّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمسٍ ، ويُكنى أبا عَدِيٍّ ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أُميّة . وقسَم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز ،

فلم يُعطِه شيئاً . فقال : [من الطويل]

خَسَّ حَظِّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بني مَخْزُومِ
فأفوزَ الغداةَ منهم بسَهْمٍ وأَبيعَ الأبَ الشريفَ بلُومِ

[استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه]

فلمّا استُخْلِف المنصور كتب إلى السَّرِيِّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ففعل . فلمّا قدِم عليه قال له : أنشِدْني ما قلتَ في قومِك ، فاستعفاه . فقال : لا أُعفيك . فقال : أَعْطِني الأمانَ فأَعطاه ، فأنشده : [من الكامل]

ما بال عَيْنِك جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها فطال بُكاؤها

حتى انتهى إلى قوله :

فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِيء الحَصى شَرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

فقال له : اخرُجْ عنّي لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قدِم المدينة ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه .

[أكرمه السّفاح وردّ حرمه وأمواله]

أخبرني عمّي عن الكُراني عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن أبيه قال : كان أبو عَدِيٍّ الذي يقال له العَبْليّ مجفوّاً في أيّام بني مَروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم ، فلمّا أفضتِ الدولة إليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بني أُميّة ، وكان الأمرُ في قتلهم جِدّاً إلاّ مَن هرَب وطار على وجهه ، فخاف أبو عديّ أن يقع به مكروه في تلك الفَوْرة فتوارَى ؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرَمَه وماله ، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح ، فدخل عليه في غُمار النّاس متنكّراً وجلس حَجْرةً[1] حتى تَقَوَّض[2] القوم وتفرّقوا ، وبقي أبو العبّاس مع خاصته . فوثب إليه أبو عَدِيّ فوقف بين يديه وقال : [من الوافر]

أَلا قُلْ للمَنازِلِ بالسِّتّارِ سُقيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفارِ[3]
فهل لك بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمى وأَتْراب لها شِبهِ الصِّوارِ[4]
أوانِسُ لا عَوابِسُ جافياتٌ عن الخُلُقِ الجميلِ ولا عَوارِي
وفيهنّ ابنةُ القُصَويِّ سَلْمى كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمةُ الإزارِ[5]

---

1 حجرة : ناحية .
2 تقوّض القوم إذا أنفضوا وانصرفوا .
3 الستار : اسم لعدة مواضع .
4 الصّوار : القطيع من البقر .
5 القصويّ : نسبة إلى قصي .

تلوثُ خِمارَها بأحَمَّ جَعْدٍ ... تُضِلُّ الفالياتُ بِهِ المَداري[1]
بَرَهْرَهَةٌ مُنَعَّمَةٌ نَمَتْها ... أبُوَّتُها إلى الحَسَبِ النُّضارِ[2]
فدَعْ ذِكرَ الشباب وعهدَ سَلْمى ... فما لكَ منهما غيرُ ادِّكارِ
وأهْدِ لهاشمٍ غُرَرَ القَوافي ... تَنَخَّلُها بعلمٍ واختيارِ[3]
لَعَمْرُكَ إنَّني ولُزومَ نَجْدٍ ... ولا أَلْقى حِباءَ بني الخيارِ[4]
لَكالْبادي لأبْرَدَ مُستَهِلٍّ ... بجَوْباءَ كبطنِ العَيْرِ عارِ[5]
سأَرْحَلُ رِحْلَةً فيها اعتزامٌ ... وجِدٌّ في رَواحٍ وابْتكارِ
إلى أهلِ الرسول غَدَتْ برَحْلِي ... عُذافِرَةٌ تَرامى بالصَّحارِي[6]
تَؤُمُّ المَعشَرَ الأبرارَ تبغي ... فَكاكاً للنِّساء من الإسارِ
أيا أهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ ... وخيرَ الواقفِينَ على الجِمارِ
أتُؤخذ نِسْوتي ويُحازُ مالي ... وقد جاهرتُ لو أغنى جِهاري
واذْعَرُ أن دُعِيتُ لعبد شَمْسٍ ... وقد أمسكتُ بالحَرَمِ الصَّوارِي[7]
بنُصْرةِ هاشمٍ شَهَّرتُ نفسي ... بداري للعِدا وبغير داري
بقُرْبَى هاشمٍ وبحقِّ صِهْرٍ ... لأحمدَ لفَّه طِيبُ النِّجارِ
ومنزلُ هاشم من عبد شمسٍ ... مكانَ الجِيدِ من عُلْيا الفَقارِ

فقال له السفّاح : مَنْ أنت ؟ فانتسَب له . فقال له : حقٌّ لعَمْرِي أعرِفه قديماً ومَوَدَّةٌ لا أجحَدها ، وكتب له إلى داوُدَ بن عليٍّ بإطلاق مَن حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامِه ، وأمر له بنفقة تُبَلِّغه المدينة .

[وفد على عبد الله بن حسن وأجازه هو وابناه وزوجه]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلَويّ عن موسى بن

1 تلوث : تلفّ . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : وهو ما فيه التواء وتقبض . والفاليات : من فلا الرأس .

2 البرهرهة : البيضاء ، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه .

3 تنخلها : تخيّرها .

4 الحباء : العطاء .

5 البادي : الخارج إلى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير .

6 العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .

7 الصواري : جمع صائرة وهي العاطفة أو المميلة .

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدَّثني أبي قال : قال سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ : إنّي لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبي عدِيّ الأمويّ الشاعر ، فقال : أعْلِمْ أبا محمد . فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهندُ بنت أبي عُبَيدةَ أمُّهما بمائتي دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .

[استنشده عبد الله بن حسن ممّا رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله]

وأخبرني حِرْمِيّ عن الزُّبير ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزُّبَير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْليّ إلى سُوَيْقَةَ[1] وهو طريد بني العبّاس ، وذلك بعَقِب أيَّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنشِدَني شيئاً ممّا رثيتَ به قومَك ، فأنشده : [من المتقارب]

تقـول أُمامـةُ لمّـا رأتْ ... نُشُوزِي عـن المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقِلّـةَ نومـي على مَضْجَعي ... لـدى هَجْعةِ الأعْيُنِ النُّعَّسِ
أبي مـا عَراكَ ؟ فقلتُ الهمومُ ... عَـرَوْنَ أبـاك فلا تُبْلِسي[2]
عَـرَوْنَ أبـاك فحبَّسْنَـهُ ... من الذُّلِّ في شَرِّ مـا مَحْبِسِ
لِفَقْـدِ العشيرةِ إذ نالَهـا ... سِهامٌ مـن الحَـدَثِ المُبْئِسِ
رَمَتْهـا المنـونُ بـلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُـكَّسِ[3]
بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ ... متى ما اقتضتْ مُهْجةً تَخلِسِ
فصَرْعاهُـمُ في نواحي البِلا ... دِ تُلْقى بـأرضٍ ولم تُرْمَسِ
كريـمٌ أُصيـب وأثوابُه ... مـن العـارِ والذَّامِ لم تَدْنَسِ
وآخَـرُ قـد طار خوفَ الرَّدى ... وكان الهُمـامَ فلم يُحْسَسِ
فكم غادروا من بَواكي العيو ... نِ مَرْضى ومن صِبْية بُـؤَّسِ
إذا مـا ذكرنَهُـمُ لم تَنَـمْ ... لِحَـرّ الهمـومِ ولم تَجْلِسِ

---

1 سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

2 عرون في ل : منعن . الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

3 النُصَّل : جمع ناصل ، وهو هنا السهم الذي سقط نصله ، والناصل أيضاً : ذو النصل . سهم نكس : هو الذي ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس .

يُرَجِّعْــنَ مثــلَ بُكاء الحَما ... م ِ في مأتَـم ٍ قَلِـقِ المَجْلِس ِ[1]
فــذاك الذي غالني فاعْلَمي ... ولا تسأليـــي فَتَستَنْحِسي[2]
وأَشياءُ قــد ضِفَنَّني بالبلادِ ... ولستُ لهـــنّ بمُسْتَحْلِس ِ[3]
أفــاض المَدامِــعَ قَتْلى كُدًى ... وقتـــلى بكُثْـــوة لم تُرْمَس ِ[4]
وقتـــلى بــوَجٍّ وباللاَّبَتَيـ ... ــنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أنْفُس ِ
وبالزَّابِيَيْنِ نفــوسٌ ثــوتْ ... وقَتْـلى بنهــرِ أبــي فُطْرُس ِ
أُولئـــكَ قــومٌ تداعتْ بِهِم ... نوائـــب مـــن زمـن مُتْعِس ِ
أذلَّتْ قِيـــادِي لِمَــن رامَني ... وأَلْزقـــتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِس ِ[5]
فمـــا أنْسَ لا أنْسَ قتلاهـمُ ... ولا عاش بعدَهُـــم مَنْ نَسي

قال : فلمّا أُتى عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمّه الحسنُ بن حسن بن عليّ عليهم السلام : أتَبْكِي على بني أُميّة وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد ! . فقال : والله يا عمٍّ لقد كنّا نَقَمْنا على بني أُميَّة ما نقَمْنا ، فما بنو العبّاس إلاّ أقلُّ خوفاً لله منهم ، وإنّ الحُجّة على بني العبّاس لأوجبُ منها عليهم . ولقد كانت للقوم أَخلاق ومَكارِمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذُ بالله من شرّك ، وبعث إلى أبي عَدِيّ بخمسين ديناراً ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كلٌّ واحد من محمد وإبراهيم ابنَيه بخمسين خمسين ، وبعثتْ إليه أُمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً ، وكانت منفعتُه بها كثيرة . فقال أبو عَدِيٍّ في ذلك : [من الوافر]

أقــام ثَــوِيُّ بيتِ أَبي عدِيٍّ ... بخير مَنــازِلِ الجيرانِ جارا[6]
تقوّض بيتُـــه وجَــلا طَرِيداً ... فصادفَ خيرَ دُور النّاسِ دارا[7]
وإنّــي إن نزلــتُ بدار قومٍ ... ذكرتُهُــمُ ولَــم أذْمُمْ جِوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه : أقسمتُ عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين ديناراً أُخرى فقد أشركني معكم في المدح ، فأعطوه خمسين ديناراً أُخرى عن هند .

1 قلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .
2 استنحس فلان الأخبار : طلبها وتتبّعها بالاستخبار .
3 ضفنني : نزلن بي . والمستحلس للشيء : الملازم له .
4 بكثوة في ل : ببكة .
5 الرغم : التراب . والمعطس : الأنف .
6 الثويّ : الضيف .
7 جلا عن بلاده : خرج .

[ولايته الطائف ثم فراره إلى اليمن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيُّوبَ المَدِينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال : قدِم أبو عَدِيٍّ العَبْلِيُّ الطائفَ والياً من قِبَلِ محمد بن عبد الله بن حسن[1] أيّام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَيْنة وجُهَيْنةَ وأَسْلَمَ فأخذ الطائف وأتى محمدَ بن أبي بكر العُمَريّ حتى بايع ، وكان مع أبي عَدِيٍّ أحدَ عشرَ رجلاً من ولد أبي بكر الصِّدِّيق ، فقَدِمها بين أذان الصُّبْح والإقامة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكّة ، فاستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبي زُهَيْر وخرج ليتلقَّى الحسنَ بالعَرْج ، فركب [الحسنُ] البحرَ ، ومضى أبو عديٍّ هارباً على وجهه إلى اليمن . فذلك حين يقول : [من الكامل]

هُيِّجْتَ للأَجْزاعِ حول عرابِ ... واعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ

وذكرتَ عهدَ مَعالِمٍ بِلِوى الثَّرى ... هيهاتَ تلك معالِمُ الأَحبابِ[2]

هيهاتَ تلك معالمٌ من ذاهبٍ ... أَمسى بحَوْضى أو بحَقْلِ قِبابِ[3]

قد حَلَّ بين أَبارقٍ ما إنْ له ... فيها مِنِ اخوانٍ ولا أَصحابِ[4]

شَطَّتْ نَواهُ عن الأَليف وساقَه ... لِقُرًى يَمانيةٍ حَمامُ كِتابِ[5]

يا أُختَ آل أبي عَدِيٍّ أَقْصِري ... وذَرِي الخضابَ فما أوانُ خضابِ

أَتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّم غالباً ... دهرٌ أضرَّ بها حديدُ النابِ

والحربُ تَعْرُك غالباً بجِرانها ... وتَعَضُّ وهي حديدةُ الأَنيابِ[6]

أم كيف نَفْسُكِ تَسْتَلِذُّ معيشةً ... أو تَنْقَعين لها أَلَذَّ شرابِ

[أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى]

وذكر العبّاس بن عيسى العُقَيْليّ عن هارون بن موسى الفَرَويّ عن سعيد بن عُقْبَة الجُهَنيّ قال : حضرتُ عبدَ الله بن عُمَر المكنيّ أبا عَدِيّ الأُمويّ يُنْشِدُ عبد الله بن حسن قولَه : [من المتقارب]

أَفاض المدامعَ قَتْلى كُدًى ... وقَتْلى بكُثْوةَ لم تُرمَسِ[7]

1 ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور .

2 الثرى في ل : السّرى .

3 حوضى وحقل قباب : موضعان .

4 الأبارق : جمع أبرق ، وهو غليظ فيه حجارة وطين ورمل مختلفة .

5 حمام كتاب : قدره وقضاؤه .

6 عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .

7 بكثوة في ل : بمكة .

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خَدِّه .

[قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أُميّة]

وقد أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ عن أبي سعيد مولى فائد قال : لمّا أتانا قتلُ عبد الله بن عليٍّ مَنْ قتل من بني أُميّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عديٍّ العبليُّ مُتوارِين في موضع واحد ، فلَحِقني من الجَزَعِ ما يلحق الرجلَ على عشيرته ، ولحِق صاحبيَّ كما لحقني ، فبكينا طويلاً ، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا ، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصَّلٍ [ما] لكلِّ واحدٍ منّا فيها ، قال : ثم أنشدَنيها ، فأخذتُها من فيه : [من المتقارب]

تقــول أُمامــةُ لمّــا رأتْ     نُشوزي عن المضجع الأنْفَسِ

[كره سبّ بني أمية عليّاً]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : كان أبو عديٍّ الأمويّ الشاعر يكرَه ما يجري عليه بنو أُميّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبِّه على المنابر ، ويُظهر الإنكارَ لذلك ، فشهِد عليه قومٌ من بني أُميّة بمكّة بذلك ونَهَوْه عنه ، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك : [من الخفيف]

شَرَّدوا بي عند امتداحي عَلِيّا     ورأوا ذاك فيَّ داءً دَوِيّــا
فورَبِّـي لا أَبْرَحُ الدَّهْرَ حتى     تُختَلى مهجتــي بحبِّــي عَلِيّا[1]
وبَنِيــهِ لحُــبِّ أَحمــدَ إنِّي     كنــت أحببتُهم بحبِّــي النبيَّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيا وشَرُّ الـ     ـحبِّ حُـبٌّ يكون دُنْياوِيّا
صاغني الله في الذُّؤابــة منهم     لا زَنيمــاً ولا سَنِيداً دَعِيّا[2]
عَدَوِيّــاً خالي صَرِيحاً وجَدِّي     عبــدُ شمس وهاشمٌ أَبَوَيّا
فسواءٌ عــليَّ لستُ أُبــالي     عَبْشَمِيّاً دُعِيــتُ أَمْ هاشِمِيّا

[فضل هشام بني مخزوم عليه]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمَريُّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال : وفَد أبو عديٍّ الأمويّ إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

عبدُ شمسٍ أبوك وهــو أبونا     لا نُناديكَ مــن مكــانٍ بعيدِ
والقرابـــاتُ بيننا واشجـاتٌ     مُحْكَماتُ القُوى بحَبْلٍ شديدِ

فأنشده إيّاها ، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قريشٍ فدخل فيهم ، وأمر لهم بمال

1 تختلى : تقطع .
2 الزنيم : الدعي بالملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

فضّل فيه بني مخزومٍ أخوالَه ، وأعطى أبا عديّ عطيّةً لم يرضَها ، فانصرف وقال : [من الخفيف]

خَسّ حَظّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ... ليتني كنــتُ مــن بني مخزومِ
فأفــوزَ الغـــداةَ فيهـــم بسَهْـمٍ ... وأبيــعَ الأَبَ الكريـــم بُلـومِ

غَنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللّذين أوّلهما :

عبـدُ شمس أبـوك وهـو أبونا

ابن جامع ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام : [من الخفيف]

ليلتي مـن كنودَ بالغَوْرِ عُـودِي ... بصَفــاء الهــوى مِــنُ امٍّ أُسيدِ
مـا سمعنـا ذاك الهـوى ونَسِينا ... عهـدةَ فارجعي بـه ثـمّ زِيدي
قـد تولّـى عصرُ الشباب فقيـداً ... رُبَّ جـارٍ يَبِــين غيرَ فقيـدِ
خَلَـقَ الثّوبُ مـن شَبابٍ ولِبْسٍ ... وجديـدُ الشّبّــابِ غيرُ جـديدِ
فاسْرِ عَنْك الهمـومَ حين تداعتْ ... بعَـلاةٍ مثـلِ الفَنِيــق وَخُودِ[1]
عَنْتَرِيسٍ تُـوفي الزِّمـــامَ بفَعْـمٍ ... مثــلِ جِـذْعِ الأشاءة المجرودِ[2]
وارْمِ جَـوْزَ الفَلا بها ثـم سُمْها ... عَجْـرَفِيَّ النَّجـــاءِ بالتوخيدِ[3]
وهِشامــاً خليفـــةَ الله فاعْمِدْ ... واصْرِمَــنْ مِـرَّةَ القَوِيّ الجليدِ[4]
تَلْقَـهُ مُحْكَـمَ القُوى أرْيَحِيّا ... ذا قِـرًى عاجلٍ وسَيْبٍ عتيدِ[5]
مَلِكــاً يَشْمَــلُ الرعيّـةَ منـه ... بأيـــاد ليست بـذات خُمودِ
أخضرُ الرَّبـعِ والجنابُ خَصِيبٌ ... أفْيَــحُ المُسْتَـــرادِ للمُسْتَرِيدِ[6]

---

1 أسر عنك الهموم : ألقها عنك . سروت الثوب : إذا ألقيته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب . العلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثير الوخد وهو السرعة في السير .

2 العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . الأشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .

3 جوز كل شيء وسطه . والفلا : واحدة فلاة . والنجاء : السرعة والعجرفة والعجرفية في السير : السرعة . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد .

4 المرة : قوة الخلق وشدته .

5 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . العتيد : الحاضر المهيأ .

6 أفيح الستراد للمستريد : واسع المطلب للطالب . وفيح المستراد : يراد به الكرم واتساع الجود .

ذكرتْ ناقتي البِطاحَ فحنَّتْ ... حين أنْ ورَّكتْ قبورَ ثمودِ[1]

قلتُ بعضَ الحنينِ يا ناقُ سَيرِي ... نحوَ برقٍ دعا لغيثٍ عميدِ

فأغذَّتْ في السَّيْرِ حتى أتتكم ... وهي قوداءُ في سَواهِمَ قُودِ[2]

قد براها السُّرى إليك وسَيرِي ... تحت حَرِّ الظَّهيرةِ الصَّيْخودِ[3]

وطوى طائدَ العَرائكِ منها ... غَوْلُ بِيدٍ تجتابُها بعدَ بِيدِ[4]

وأتتكم حُدْبَ الظُّهور وكانت ... مُسْنَماتٍ مَمَرُّها بالكَدِيدِ[5]

واطمأنّتْ أرضَ الرُّصافةِ بالخِصْـ ... ـبِ ولم تُلْقِ رَحْلَها بالصَّعيدِ

نزلت بامرىءٍ يرى الحمدَ غُنْماً ... باذلٍ مُتْلِفٍ مُفيدٍ مُعِيدِ

بذل العدلَ في القِصاصِ فأضحى ... لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديدِ

من بني النَّضْرِ من ذُرا مَنْبِتِ النَّضْـ ... ـرِ بأوْرى زَنْدٍ وأكرمِ عودِ

فهو كالقَلْبِ في الجَوانحِ منها ... واسطٌ سِرَّ جِذْمِها والعديدِ[6]

بين مَرْوانَ والوليدِ فبَخْ بَخْ ... للكريمِ المَجيدِ غيرِ الزَّهيدِ

لو جرى الناسُ نحوَ غاية مجدٍ ... لِرِهانٍ في المَحْفِلِ المشهودِ

لعَلاهُمْ بسابغَيْنِ من المجـ ... ـدِ على الناس طارفٍ وتليدِ[7]

إنّكُمْ مَعْشَرٌ أبى اللهُ إلاّ ... أنْ تفوزوا بدَرِّها المحشودِ

لم يَرَ اللهُ مَعْشَراً من بني مَرْ ... وانَ أوْلى بالمُلْكِ والتسويدِ

قادةٌ سادةٌ ملوكٌ بِحارٌ ... وبَهاليلُ للقُرومِ الصِّيدِ[8]

أرْيَحِيُّون ماجدون خِضَمّو ... نَ حُماةٌ عند ارْبِداد الجُلودِ[9]

---

1 يقال ورّك الجبل : إذا جاوزه . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام .

2 القوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة في السير .

3 الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .

4 الطائد : الثابت ، وفي ل : صائد . والعرائك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغَوْل البيد : بعدها .

5 الحدب : جمع حدباء وهي من الدواب التي بدت حراقفها . المسنمات : التي أعظم الكلأ أسنمتها . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

6 الجِذْمُ : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصه .

7 بسابغين في ل : بسامقين .

8 البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قَرْم وهو هنا السيد العظيم .

9 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء . اربداد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدة .

يقطَعــون النهــارَ بالرأيِ والحَزْ م ويُحيُــون ليلَهــم بالسُّجودِ
أهــلُ رِفْــدٍ وسُؤْدُدٍ وحَيــاءٍ ووَفــاءٍ بالوعـــدِ والمــوعودِ
ويَرَوْنَ الجِــوارَ مـــن حُرَم الله فمــا الجــارُ فيهمُ بوحيدِ
لــو بمجدٍ نــال الخُلودَ قَبيلٌ آلَ مَــرْوانَ فُزْتُــمُ بالخُلودِ
يا ابنَ خيرِ الأخيار من عبد شمسٍ يا إمــامَ الوَرى ورَبَّ الجنودِ
عبدُ شمسٍ أبوك وهــو أبونــا لا نُنادِيــك مــن مكــانٍ بعيدِ
ثم جَدِّي الأدْنى وعَمُّكَ شَيْخِي وأبــو شَيْخِــك الكريم الجُدودِ
فالقَرابــاتُ بيننــا واشجــاتٌ مُحْكَمــاتُ القُوى بحبـلٍ شديدِ
فأثِبْنــي ثَــوابَ مِثْلِكَ مِثْلي تَلْقَنــي للثَّــوابِ غيرَ جَحُودِ
إنّ ذا الجَــدِّ مَــنْ حَبَوْتَ بِـوُدٍّ ليس مَــنْ لا تَـوَدّ بالمجدودِ
وبِحَسْبِ امرئٍ من الخيرِ يُرجى كونُــه عنــد ظِلّك الممدودِ

[يندب فرقة بني أميّة]

وأمّا قصيدتُه التي أوّلُها : [من الكامل]

مــا بــالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنّه قالها في دولة بني أُميّة عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندُب بَيْنهم[1] ، وفيها يقول : [من الكامل]

واعتادها ذِكْرُ العَشيرة بالأَسَى فصَباحُهــا نــابٍ بهــا ومَساؤها
شَرِكُوا العِدا في أمرهم فتفاقمتْ منهــا الفُتُون وفُرِّقَــتْ أهواؤها
ظَلَّتْ هنــاكَ وما يُعاتِبُ بعضُها بعضاً فيَنْفَعَ ذا الرّجاء رجاؤها
إلاّ بمُرْهَفَــةِ الظُّبــاتِ كأنّها شُهُبٌ تَقِلُّ ، إذا هَوَتْ ، أخطاؤها[2]
وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكــون خِضابُهــا عَلَقَ النُّحور إذا تَفيضُ دماؤها[3]
فبذاكُــمُ أمستْ تَعاتَــبُ بينها فلقــد خَشِيتُ بأن يُحَمَّ فَناؤها[4]

---

1 أي يندب فرقتهم .
2 مرهفة الظبات : السّيوف .
3 العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازه . والزرقة في النصال شدّة صفائها .
4 يحم : يقضي .

سـاذا أؤمِّـلُ إنْ أُمَيَّةُ وَدَّعتْ ... وبقـاءُ سُكَّـان البلادِ بقاؤها

أهـلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنّدى ... وأُسودُ حَرْبٍ لا يَخِيـمُ لِقاؤها[1]

غيثُ البلادِ هُـمُ وهُـمْ أُمَراؤها ... سُرُجٌ يُضيءُ دُجى الظَّلامِ ضياؤها

فلئنْ أُمَيَّـةُ وَدَّعـتْ وتَتايَعَتْ ... لغَوايةٍ حَميتْ لهـا خُلَفاؤها[2]

لَيُوَدِّعَـنّ مـن البَرِيّـة عِزُّها ... ومـن البـلادِ جَمالُها ورجاؤها

ومـن البَلِيّـةِ أنْ بَقِيتَ خِلافَهمْ ... فَرْداً تَهيجُك دُورُهـم وخلاؤها

لَهْفـي على حـرب العَشيرة بَيْنها ... هَـلاَّ نَهـى جُهَّالَهـا حُلَماؤها

هَـلاَّ نُهًى تَنْهى الغَوِيّ عن التي ... يُخْشى عـلى سُلْطانهـا غَوْغاؤها

وتُقًـى وأَحـلامٌ لهـا مُضَرِيَّةٌ ... فيهـا إذا تَدْمـى الكَلومُ دواؤها

لَمّـا رأيـتُ الحربَ تُوقَدُ بينها ... ويَشُبُّ نـارَ وَقودهـا إذكاؤها

نوّهـتُ بالمَلِكِ المُهَيمِنِ دعوةً ... وَرَواحُ نفسي في البَلاء دُعاؤها[3]

لِيَـرُدَّ أُلْفتَهـا ويجمعَ أَمْرَها ... بخِيارِهـا فخيارُهـا رُحَماؤها

فأَجـاب ربِّـي في أُمَيّةَ دَعْوتي ... وحَمـى أُمَيّـة أَنْ يُهَـدّ بناؤها

وحَبـا أُمَيَّـةَ بالخلافـةِ إنّهمْ ... نُـورُ البـلادِ وزَيْنُها وبَهاؤها

فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِـىء الثَّرى ... شَرَفـاً وأفضلُ ساسةٍ أُمَراؤها[4]

وهي قصيدة طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .

## صوت

[من البسيط]

مَهْلاً ذَريني فإنّـي غالَني خُلُقِي ... وقـد أرى في بـلادِ اللهِ مُتَّسَعا

ما عَضَّني الدَّهرُ إلاّ زادَني كَرَماً ... ولا استكنتُ له إن خانَ أو خدَعا

الشعر لأبي جِلْدَةَ اليَشْكُرِيِّ من قصيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالك بن مِسْمَعٍ ، والغناء لعَلُّويَهْ رملٌ بالوسطى عن عمرو .

1 خام : نكص وجبن وضعف .

2 التتايع : التهافت والإسراع إلى الشيء ولا يكون التتايع إلاّ في الشر .

3 الرواح هنا : الارتياح والاستراحة .

4 الثّرى في ل : الحصى .

# [ 194 ] ـ أخبار أبي جلدة ونسبه

[ نسبه]

أبو جِلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذِ بن حُجْرِ بن عُبَيْد الله بن مَسلمة بن حُبَيِّبِ بن عَدِيٍّ بن جُشَمَ بن غَنْمِ بن حُبَيِّبِ بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائلٍ ، شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعَراء الدّولة الأُمَويّة ، ومن ساكني الكوفة . وكان ممّن خرَج مع ابن الأشْعَث فقتله الحجّاج .

[ كان مع الحجّاج ثم صار حرباً عليه]

أُخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمد بن العبّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال حدَّثني عمِّي عبد الله قال حدَّثني محمد بن حَبِيبَ ، وأُخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ من أخصّ النّاس بالحجّاج ، حتى إنّه بعثه وبعث معه عبدَ الله بن شدّاد بن الهادي الليثيَّ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلامُ ، فخطَب الحجّاج منه ابنتَه أُمَّ كُلْثوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضاً على الحجّاج . فلمّا أُتي الحجّاج برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سِرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرُج حتى أُتيتُ به مقطوعاً . فلما كان يوم الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفَّيْنِ ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

فقُلْ للحَوَارِيّــاتِ يبكين غيرَنا ... ولا تَبْكِنا إلاّ الكِلابُ النوابحُ[2]

بَكَيْـــنَ إلينـا خَشْيةً أن تُبيحَها ... رِماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارحُ

بكـــينَ لكيمــا يمنَعوهنّ منهمُ ... وتأبـــى قلوبٌ أضمرتْها الجوانحُ

ونادَيننــا : أيـــنَ الفِــرارُ وكنتمُ ... تَغارُونَ أن تبدُو البُرى والوشائحُ[3]

أأسلمتمونــا للعَـــدُوِّ على القَنــا ... إذا انْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطِحُ

فمـــا غـــار منكــم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا عَـــزَبٌ عَزّتْ عليه المَناكِحُ

قال : فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أَنِفوا وثاروا فشَدُّوا شَدّةً تضعضعَ لهم عسكرُ الحجّاج ، وثبت لهم الحجّاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرةُ له ، فجعل يقتُل الناس

1 الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

2 الحواريات : نساء الأمصار .

3 البرى هنا : الخلاخيل . واحدها برة . والوشائح جمع لوشاح .

بقيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لَما أحسنتَ في العفو ، ولقد خالفتَ اللهَ فينا وما أطعتَه . فقال له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إذا أثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزارَها﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ ، فأسِرْ ولا تقتُلْ ، ثم قال : أوِ امْنُنْ : فقال : أُولى لك[1] ! ألا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ النّاسَ جميعاً . قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ : فبلغني أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض عليّ أحدٌ كما حرّض أبو جلدةَ ؛ فإنّه نزل على سَرْحةٍ في وَسَط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزَعَ سَراوِيلَه فوضعه وسلَح فوقه والناسُ ينظرون إليه . فقالوا له : ما لَكَ ويلك أجُنِنْتَ ؟ ما هذا الفعل ! قال : كلُّكم قد فعلتم مثلَ هذا إلاّ أنّكم سترتموه وأظهرتُه . فشتَموه وحملوا عَلَيّ ، فما أنساهم وهو يَقْدُمهم ويرتجز : [من الرجز]

نحن جَلَبْنا الخَيْلَ من زَرَنْجا ... ما لَكَ يا حَجَّاجُ مِنّا مَنْجى[2]

لَتُبْعَجَنَّ بالسيوفِ بَعْجا ... أوْ لَتَفِرَّنَّ فذاك أحْجى[3]

فوالله لقد كاد أهلُ الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره .

قال وقال أبو جِلدة يومئذٍ : [من الوافر]

أيا لَهفي ويا حُزْني جميعاً ... ويا غَمَّ الفُؤاد لِما لَقِينا

تركْنا الدِّينَ والدُّنْيا جميعاً ... وخَلَّيْنا الحلائلَ والبَنِينا

فما كُنّا أُناساً أهلَ دِينٍ ... فنصبِرَ للبلاءِ إذا بُلِينا

ولا كنّا أُناساً أهلَ دُنْيا ... فنمنَعَها وإن لم نَرْجُ دِينا

تركنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ ... وأنْباطِ القُرى والأشْعَرِينا[4]

[ذم القعقاع بن سويد]

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدةَ مع القَعقاع بن سُويد المِنْقَريّ بِسِجِسْتان ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه : [من الوافر]

سَتَعْلَمُ أنّ رأيَك رأيُ سَوْءٍ ... إذا ظِلُّ الإمارةِ عنك زالا

1 أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .

2 زَرَنْج : قصبة سجستان .

3 البعج : الشق . أحجى : أجدر وأخلف .

4 عك : قبيلة . وطغام : أوغاد . الأشعرون : جمع أشعري نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة في اليمن .

وراح بنو أبيكَ ولستَ فيهم بذِي ذِكْرٍ يَزيدُهـــمُ جَمالا[1]
هناك تَذَكَّـرُ الأَسلافَ منهمْ إذا اللَّيــلُ القصيرُ عليك طالا

فقال له القَعْقاعُ : ومَتى يطول عليَّ الليلُ القصير ؟ قال : إذا نظرتَ إلى السماء مُربَّعةً . فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السماء إلاّ بقَدْر تربيع السِّجْن ، فقال : هذا والله الذي حذَّرنيه أبو جلدة .

[مدح مسمع بن مالك ورثاه]

قال : ووَلِيَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتان ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها ، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلُها : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأَمْسى حَبْلُها انْقَطَعا ولَيْتَ وَصْلاً لها من حَبْلِها رَجَعا
شَطَّتْ بهـــا غُرْبـــةٌ زَوْراء نازحةٌ فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بها قِطَعا[2]
ما قَـرّتِ العينُ إذ زالتْ فينفعَها طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ هَجَعا[3]
منعتُ نفسيَ مـن رَوْحٍ تعيش به وقد أكونُ صحيحَ الصَّدْرِ فانصدعا
غدتْ تَلُوم على مـا فاتَ عاذلتي وقبـلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَن مَنَعا
مَهْـلاً ذَريني فإنّي غالني خُلُقي وقـد أرى في بـلاد الله مُتَّسَعا[4]
فَخْرِي تليدٌ ومـا أنفقتُ أُخْلِفه سيبُ الإله وخيرُ المـال ما نَفَعا
ما عَضّني الدّهـرُ إلاّ زادني كَرَماً ولا استكنتُ له إنْ خان أو خدَعا
ولا تَلِينُ على العِـلاتِ مَعْجَمتي في النائبات إذا مـا مسّني طَبَعا[5]
ولا تُلَيِّن مـن عُـودِي غمائـزُه إذا المُغَمِّزُ منهـا لانَ أو خضَعا[6]
ولا أُخاتِـلُ ربَّ البيتِ غَفْلَتَه ولا أقول لشيءٍ فاتَ مـا صنَعا
إنّي لأَمدح أقواماً ذوي حَسَبٍ لم يجعلِ اللهُ في أقوالهـم قَذَعا[7]
الطيِّبـــين على العِـلاّتِ مَعْجَمَةً لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافهم نَبَعا

1 بذي ذكر في ل : بذي ذخر .
2 غربة زوراء : بعيدة .
3 زالت : فارقت .
4 غالني هنا : حبسني .
5 المعجمة : القوة والصلابة ؛ الطبع : الضعف والخور .
6 الغمائز : جمع غميزة من الغمز ، والغميزة : العيب .
7 القذع : الفحش في الكلام .

بني شِهابٍ بهــا أُعْنــي وإنّهمُ    لأكــرمُ النّاسِ أخلاقاً ومُصْطَنَعا

قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمَله وكساه وولاّه ناشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم توفّي مِسْمَعُ بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلدة يَرثيه : [من البسيط]

أقــولُ للنَّفْسِ تأساءً وتَعزيــةً    قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلَفُ

يا مِسمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ    إحْدى النّوائب بالأقوامِ واختلفوا

يا مِسْمَعاً لِعِراقٍ لا زعيـمَ لهـا    بمن تُرى يُؤْمَنُ المُسْتشرِفُ النَّطِفُ[1]

تلك العيــونُ بحيث المصر سادمة    تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجُرُفُ

قــد وسّدوك يميناً غير موسدة    وبذل جود لمـا أودى بك التلفُ

كنتَ الشّهابَ الذي يُرْمى العَدُوّ به    والبَحْرَ منه سِجالُ الجُود تغترفُ

[كان ينادم شقيق بن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه]

قال ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلدة يُنادم شقيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْل السَّدوسيّ أخا بِسْطامِ بن سَلِيطٍ ، وكان لها أخٌ يقال له ثعلبةُ بن سَليطٍ وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلدة : [من الوافر]

أُحِــبُّ عــلى لَذاذتنا شَقِيقاً    وأُبْغِضُ مثــلَ ثعلبــةَ الثَّقيلُ

لــه غَــمٌّ على الجُلَساء مُؤْذٍ    نَوافِلُــه إذا شربــوا قليــلُ

[قال شعراً في مسمع حين خصّ عشيرته بالمال]

قال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ : وفرّق مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعلبة عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا نِلْتَ مالاً قلتَ قيسٌ عَشيرَتي    تجــورُ علينا عامــداً في قَضائكا

وإنْ كانتِ الأُخْرى فبكرُ بن وائلٍ    بزَعْمِكَ يُخْشى داؤهــا بدوائكا

هُنالِكَ لا نَمْشي الضَّراءَ إليكمُ    بَنــي مِسْمَعٍ إنّا هنــاك أولئكا[2]

عسى دولةُ الذُّهْلَيْنِ يوماً ويَشْكُرٍ    تكُــرُّ علينا سَبْغــةً مــن عطائكا[3]

قال : فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووَصله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن ،

---

1 المستشرف : الظالم . والنطف : المريب .

2 الضراء : الشجر الملتف .

3 الدولة : العقبة في الحرب .

جذْمٍ يقال له الذُّهلانِ ، وجِذْمٍ يقال لـه اللَّهازم . فالذُّهْلانِ : بنو شَيْبانَ بن ثَعْلبة بن يَشْكُـرَ بن وائـلٍ ، وبنو ضُبَيعة بن رَبيعـة . واللّهازم : قيسُ بن ثَعلبة ، وتَيْمُ اللاَّتِ بن ثَعلبة ، وعِجْلُ بن لُجَيم ، وعَنَزةُ بن أَسَدِ بن ربيعة . قال الفرزدق : [من الطويل]

وأرضى بحُكْم الحَيِّ بكرِ بن وائلٍ إذا كان في الذُّهْلَيْنِ أو في اللَّهازمِ

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة . وأمّا حَنيفةُ فلم تدخُلْ في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وَسَط دار مُضَر ، وكانوا لا ينصرون بَكْراً ولا يستنصرونهم . فلمّا جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حَنيفة ومع بني عِجْلٍ بن لُجيم فتَلَهْزَمُوا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازنِ بن جُدَيٍّ بن مالك بن صعبٍ[1] بن عليٍّ ، فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفيّ السُّحَيْمِيُّ بعد ذلك في الإسلام : [من الطويل]

وجدنـا أبانـا كان حَـلّ ببَلْدةٍ سُوًى بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[2]

فلمّـا نـأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها أَقَمْنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ

فما أسلمتْنا بَعْدُ في يـوم وَقْعةٍ ولا نحن أغْمَدْنا السيوفَ على وِتْرِ

[كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه]

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابيِّ قال : كان لأبي جِلدة بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سَعْد ، وكان يشرَب الخمر ويُعَربِد على أبي جلدة ، فقال يهجوه : [من الطويل]

قُلْ لِذَوي سَيْفٍ وسَيْفٍ أَلَسْتُمُ أَقَلَّ بنـي سعدٍ حَصاداً ومَزْرَعا

كأنّكُمُ جِعْـلانُ دارِ مُقامـةٍ على عَذِراتِ الحَيِّ أصبحنَ وُقَّعا[3]

لقد نال سيفٌ في سِجِسْتانَ نُهْزةً تَطاوَلَ منها فوق ما كان إصْبَعا

أصابَ الزِّنا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ له سُرَّةٌ تُسْقى الشّرابَ المُشَعْشَعا[4]

فلولا هَوانُ الخمرِ ما ذُقْتَ طَعْمَها ولا سُفْتَ إبريقاً بكَفِّكَ مُتْرَعا[5]

كما لم يَذُقْهـا أنْ تكـونَ عزيزةً أبوك ولم يُعْـرَضْ عليها فيَطْمَعا

وكان مكانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه إذا مـا المُغَنّـي لِلَّذاذةِ أسْمَعا

---

1 ل : مصعب .

2 يقال : مكان سُوِي . وسواء : إذا كان وسطاً بين الفريقين .

3 العَذِرة : الغائط .

4 الشراب المشعشع : الممزوج بالماء .

5 ورد في تكملة شعر الأخطل : سُفت : والسوف : الشم .

[القعقاع يتهدده بالعزل حين أرجف به]

قال ابن حبيب : وكان أبو جِلدة قد استعمله القَعْقاع بن سُوَيْد حين تولّى سجِسْتان على بُسْتَ[1] والرُّخَّج[2] ، فأرجف الناسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم ، وكتب القعقاع إليه يَتَهدّده ؛ فكتب إليه أبو جِلدة : [من الطويل]

يُهَدِّدني القعقـاعُ في غير كُنْهِـهِ ... فقلتُ لـه بَكْرٌ إذا رُمْتَني تُرْسي

كأنّا وإيّاكُـمْ إذا الحربُ بيننا ... أُسودٌ عليها الزَّعْفرانُ مع الوَرْسِ[3]

تُـرى كمصابيح الدَّياجِي وُجُوهُنا ... إذا مـا لُقِينـا والهِرَقْلِيّةِ المُلْسِ[4]

هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا ... وتجري لكم طيرُ البَوارِحِ بالنَّحْسِ

وما أنتَ يا قَعْقاعُ إلاّ كمَنْ مضى ... كأنّكَ يوماً قد نُقِلتَ إلى الرَّمسِ

أَظُـنّ بِغالَ البُرْدِ تَسْرِي إليكمُ ... بـه غَطَفانِيّـاً وإلاّ فَمِنْ عَبْسِ

وإلاّ فبالبسّال يا لَكَ إنْ سَرَتْ ... به غيرَ مَغموزِ القَناة ولا نِكْسِ[5]

فعُمّالُنـا أَوْفـى وخيرٌ بَقِيّـةً ... وعُمّالُكم أهـلُ الخيانةِ واللُّبْسِ

ومـا لبني عَمْـرٍو عليّ هَوادةٌ ... ولا للرّبابِ غيرُ تَعْسٍ من التَعْسِ

قال : فلمّا انتهت هذه القصيدة إلى القَعقاع وجَّه برسولٍ إلى أبي جِلدة ، وقال : انظُر ، فإن كان كَتَب هذا الكتاب بالغَداةِ فاعْزِلْه ، وإن كان كتَبه بالليل فأَقِرْه على عَمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه . وكان أبو جلدة صاحبَ شرابٍ ، فقال للرسول : والله ما كتبتُه إلاّ بالعَشيّ . فسأله البَيِّنةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهِدوا له بما قال ، فأقرّه على عمله وانصرَف عنه .

[شبب ببنت دهقان فأهدي ليترك ذكرها]

قال ابن حبيب : ومرَّ أبو جِلْدة بقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدَّهاقين ، فرأى ابنته تُشْرِف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول : [من الخفيف]

إنَّ في القَصْرِ ذي الخِبا بَدْرَ تِمٍّ ... حَسَنَ الدَّلِّ للفُـؤادِ مُصيبا

وَلِعـاً بالخَلُـوقِ يأْرَجُ منه ... ريحُ رَنْـدٍ إذا اسْتَقَلَّ مُنِيبا[6]

---

1 بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحي كابل .

2 الرخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .

3 الورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب .

4 الهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل .

5 غمز القناة : عصرها وتليينها ، وهي كناية عن عدم الانقياد .

6 الخلوق : ضرب من الطيب . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

يَلْبَس الخَـــزَّ والمَطارِفَ والقَـ ـزَّ وعَصْباً مــن اليَماني قَشِيبا
ورأيــتُ الحبيبَ يُبرِزُ كَفّــاً مــا رآه المُحِبُّ إلاّ خَضِيبا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهْقانَ ، فأهدى له وبرّه وسأله ألاّ يذكر ابنته في شعرٍ بعد ذلك .

[هتف بمسمع بن مالك حين لم يمنعه قومه في ضيم]

قال ابن حبيب : ولَحِق أبا جِلْدَةَ ضيمٌ من بعض الوُلاة ، فهتَف بقومه فلم يقدِروا على منعِهِ منه ولا معونتِهِ رهبةً للسُّلْطان ، فهتَف بأعْلى صوتِه : يا مِسْمَعَ بن مالك ، يا أمير بن أحْمَرَ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

ولّمــا أنْ رأيتُ سَراةَ قومِـي سُكوتــاً لا يثوبُ لهم زعيمُ
هتفــتُ بِمسْمَعٍ وصَدى أميرٍ وقَبْرِ مُعَمَّــرٍ تلــكَ القرومُ[1]

قال : فأبكى جميعَ من حَضَر ، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كفَّ عنه . قال : وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشْكُرَ ، وكان سيِّداً جواداً ، وفيه يقول زِيادٌ الأعجمُ : [من السريع]

لــولا أميرٌ هَلَكــتْ يَشْكُرٌ ويَشْكُرٌ هَلْكَــى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابيِّ : كان أميرُ بن أحمرَ والياً على خُراسان في أيّام معاوية .

ومُعَمَّرٌ الذي عناه أبو جِلْدةَ معمَّر بن شُمَيْرِ بن عامرِ بن جَبَلَةَ بن ناعبِ بن صُرَيْمٍ ، وكان أميرَ سِجِسْتانَ ، وكان سيّداً شريفاً .

[خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوّجت غيره فقال شعراً]

وقال : خطَب أبو جِلْدَةَ امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَلِيعةُ[2] بنت صَعْب ، فأبَتْ أن تتزوَّجه وقالت : أنت صُعلوكٌ فقيرٌ لا تَحفَظ مالَك ولا تُلْفِي شيئاً إلاّ أنفقتَه في الخمر ، وتزوّجتْ غيره . فقال أبو جِلْدَةَ في ذلك : [من الكامل]

**صوت**

لّمــا خَطَبتُ إلى خَلِيعةَ نفسَها قالت خليعةُ ما أُرى لك مالا
أوْدى بمالي يــا خَلِيعُ تَكَرُّمِي وتَخَرُّقِــي وتَحَمُّـلي الأثقالا
إنِّي وَجَدِّكِ لو شَهِدْتِ مَواقِفي بالسَّفْحِ يــومَ أُجَلِّـلُ الأبطالا
سَيْفِي ، لَسَرَّكِ أنْ تكوني خادماً عندي إذا كَــرِه الكُماةُ نِزالا

الغناء لإبراهيم المَوصليّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى .

[ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا]

قال أبو سعيدٍ السُّكَّريّ وعُمر بن سعيد صاحب الواقديّ : إنّ أبا جِلْدَةَ كان في قريةٍ من

---

1 الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

2 ل : خليّة .

قُرى بُسْت يقال لها الخَيْزُرانُ ومعهم عمرو بن صُوحانَ أخو صَعْصَعَةَ في جماعةٍ يتحدّثون ويَشربون ، إذ قام أبو جِلدة لِيبول فضَرَطَ ، وكان عظيمَ البطن ، فتضاحكَ القومُ منه ، فسلّ سيفَه وقال : لأَضربنَّ مَن لا يَضرِط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي ، أمنّي تضحكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضَرطوا جميعاً غيرَ عمرو بن صُوحانَ . فقال له : قد علمتَ أنّ عبد القيس لا تضرط ولك بَدَلَها عشرُ فَسَواتٍ . قال : لا والله أو تُفْصِحَ بها ! فجعل عمرو يَجْثي وينحني فلا يقدر عليها ، فتركه . وقال أبو جلدة في ذلك : [من الطويل]

أمِنْ ضَرْطَةٍ بالخَيْزُرانِ ضَرَطْتُها ... تَشَدّد منّــي دارةٌ وتَلِــينُ[1]
فما هُوَ إلاّ السيفُ أو ضَرْطَةٌ لها ... يثــور دُخــانٌ ساطــعٌ وطنينُ

قال : ولعمرو بن صُوحانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرِيّ وطالت صُحْبته إيّاه فلم يظفَر منه بشيء : [من البسيط]

صاحبتُ عمراً زماناً ثم قلتُ له ... الْحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا
فإنْ صَبَرْت فــإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ ... وإنْ جَزِعتَ فقــد كان الذي كانا

[هجا زياداً الأعجم لهجوه بني يشكر]

قال ابن سعيد وحدَّثني أبو صالح قال : بلغ أبا جِلدة أنّ زياداً الأعجمَ هجا بني يَشكُرَ ، فقال فيه : [من الكامل]

لا تَهْجُ يَشْكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ ... غَرَضاً وأنت عن الأذى في مَعزِلِ
واعْلَمْ بأنّهمُ إذا مـا حُصِّلوا ... خيرٌ وأكرمُ من أبيك الأَعْزَلِ
لولا زعيمُ بني المُعَلَّى لم نَبِتْ ... حتّى نُصَبِّحَكم بجيشٍ جَحْفَلِ
تمشي الضَّراءَ رجالُهم وكأنّهم ... أُسْدُ العَرِينِ بكلّ عَضْبٍ مُنْصُلِ[2]
فاحْذَرْ زِيادُ ولا تكنْ ذا تُدْرأً ... عنــد الرِّجالِ ونُهْزةً للخُتَّلِ[3]

[مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقاً له]

وقال ابن حبيب : كان سليمان بن عمرو بن مَرثَد البَكريّ صديقاً لأبي جِلدَة ، وكان فارساً شُجاعاً ، وقتله ابن خازمٍ لشيء بلَغه فأنكره ؛ وفيه يقول أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتــاداً نديمــاً مُكَرَّراً ... نَمــاه سَراةٌ مــن سَراةِ بني بكرِ

1 بالخيزران في ل : الجبروان .
2 العضب : السيف القاطع . والمُنْصُل : اسم للسيف .
3 ذو تدرأ : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . النهزة : الفرصة . والختل : جمع خاتل .

فـلا تَعْـدُ ذا العَلْيا سُليمانَ عامداً     تَجدْ ماجداً بالجُودِ مُنْشَرِحَ الصدرِ
كريمــاً على عِلاَّتِهِ يبذُل النّدى     ويَشْرَبُهـا صهبـاءَ طَيِّبَـةَ النَّشْرِ
مُعَتَّقةً كالمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها الـ     ـزُّكامَ وتدعو المرءَ للجُودِ بالوَفْرِ
وتترك حاسي الكأسِ منها مُرَنَّحاً     يَمِيـدُ كما مـادَ الأثيمُ من السّكرِ
تلوحُ كعَيْنِ الدِّيكِ ينزُو حَبابُها     إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظى الجَمْرِ
فتِلك إذا نادمـتُ من آلِ مَرْثَدٍ     عليها نديماً ظلَّ يَهْرِف بالشِّعْرِ[1]
يُغَنِّيكَ تـاراتٍ وطوراً يَكُرُّها     عليـكَ بحَيَّـاكَ الإلهُ ولا يدري
تَعَـوَّد ألاَّ يَجْهَلَ الدَّهْـرَ عندها     وأن يبذُلَ المعروفَ في العُسْرِ واليُسرِ
وإنّ سليمانَ بن عَمْرِو بـن مَرْثَدٍ     تألَّى يميناً أنْ يَرِيشَ ولا يَبْرِي[2]
فهِمَّتُـه بَـذْلُ النَّدى وابْتِنا العُلا     وضربُ طُلى الأبطالِ في الحربِ بالبُتْرِ[3]
وفي الأمْنِ لا ينفكُّ يَحْسُو مُدامةً     إذا ما دجا ليلٌ إلى وَضَح الفَجْرِ

قال : فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال : هجاني أخي وما تعمَّد ، لكنّه يرى أنّ الناسَ جميعاً يُؤْثِرون الصَّهباء كما يُؤْثرها هو ، ويَشربونها كما يَشربُها . وبلغ قولُه أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه ، وحلَف أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرَهه ويُنكره . قال : قد عَلِمتُ بذلك وشَهِدتُ لك به قبل أنْ تعتذر ، وقَبِل عُذْرَه .

[سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إيّاه فهجاه]

وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدةَ الحُضَيْن بن المُنْذِرِ الرَّقاشيّ شيئاً فلم يُعْطِه إيّاه ، وقال : لا أُعطيه ما يشرَب به الخَمر . فقال أبو جِلْدة يهجوه : [من السريع]

يـا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شَمْسُه     بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْنِ
إنّ حُضَيْنـاً لم يَـزَلْ باخلاً     مُذْ كان بالمعروفِ كَزَّ اليَدَيْنِ

فبلغ الحضينَ قولُ أبي جِلدة ، فقال يُجيبه : [من السريع]

عَضَّ أبـو جِلْـدةَ من أُمِّهِ     مُعْتَرِضاً مـا جاوزَ الأسْكتَيْنِ[4]
بَظْـراً طويـلاً غاشياً رأسه     أعْقَـف كالمِنْجَـلِ ذا شُعْبَتَيْنِ

1 الهرف : الهذيان ، والهرف : مجاوزة القدر في المدح والثناء .
2 تألّى : حلف . يقال رشت فلاناً ، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه . وبراه : هزله وأضعفه . وهو مثل .
3 الطُّلى : الأعناق . والبتر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع .
4 الأسكتان : جانبا الفرج وهما قذتاه .

وقال أبو جلدة في حُضَيْنٍ أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنِّي يوم أُسْنِدُ حاجتي إليكَ أبا ساسانَ غيرُ مُسَدَّدِ[1]
فلا عالِمٌ بالغَيْبِ مِنْ أَيْنَ ضَرُّه ولا خائفٌ بَثَّ الأَحاديثِ في غَدِ
فليتَ المَنايا حَلَّقَتْ بي صُروفُها فلم أَطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ[2]
فلو كنت حُرّاً يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ لَقُمْتَ بحاجاتي ولَم تَتَبَلَّدِ
تَجَهَّمتني خوفَ القِرى واطَّرَحْتني وكنتَ قصيرَ الباعِ غير المُقَلَّدِ
ولم تَعْدُ ما قد كنتَ أهلاً لِمِثْلِهِ من اللُّؤْمِ يا ابنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

[تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً]

قال : فبلغ أبا جِلدة أنّ بني رَقاشِ[3] تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْن بن مُنْذِرٍ ، فقال : [من الطويل]

تُهَدِّدُني جهلاً رَقاشِ وليتَني وكلَّ رقاشيٍّ على الأرضِ في الحَبْلِ
فباسْتِ حُضَيْنٍ واسْتِ أُمٍّ رمَتْ به فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ في الزَّمَنِ المَحْلِ
وإنْ أنا لَم أَتْرُكْ رَقاشِ وجَمْعَهُمْ أذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
فشَلَّتْ يداي واتّبعْتُ سوى الهُدى سبيلاً ولا وُفِّقْتُ للخيرِ والفضلِ
عِظامُ الخُصى ثُطُّ اللِّحى مَعْدِنُ الخَنا مَباخيلُ بالأزْوادِ في الخِصْبِ والأَزْلِ[4]
إذا أُمِنوا ضَرّاءَ دهرٍ تَعاظَلُوا عِظال الكِلابِ في الدُّجنةِ والوَبْلِ[5]
وإنْ عَضَّهُمْ دهرٌ بنَكْبةِ حادثٍ فأَخْوَرُ عِيداناً من المَرْخِ والأَثْلِ[6]
أُسُودُ شَرًى وَسْطَ النَّديِّ ثَعالِبٌ إذا خَطَرتْ حربٌ مَراجِلُها تَغْلي

[شعره في دهقانة كان يختلف إليها]

أُخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : عَشِق أبو جِلْدةَ اليَشْكُرِيُّ دِهْقانةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها : [من الطويل]

1 أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر .
2 التصريد : قلة العطاء .
3 رقاش : مبنية على الكسر .
4 ثط جمع أثط وهو القليل شعر اللحية . المعدن اسم مكان من عدن أي أقام . الأزل : الضيق والشدة .
5 التعاظل : الملازمة في السفاد .
6 المرخ والأثل : ضربان من الشجر .

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ونازَعَنيها صاحبٌ لي مُلَوَّمُ[1]
أغَرُّ كأنّ البَدْرَ سُنَّةُ وَجْهِهِ لـه كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ[2]
يُضيء دُجى الظَّلْماء رَوْنَقُ خَدِّه وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ
وثَدْيانِ كالحُقَّيْن والمَتْنُ مُدْمَجٌ وجيدٌ عليه نَسْقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ
وبطنٌ طواه اللهُ طَيّاً ومَنْطِقٌ رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ[3]
به تَبَلَتْني واستَبَتْني وغادرتْ لَظًى في فُؤادي نارُها تَتَضَرَّمُ
أبِيتُ بها أهذِي إذا الليلُ جَنَّني وأُصْبِحُ مبهوتاً فما أتكلّمُ
فمَنْ مُبْلِغٌ قومي الدُّنا أنّ مُهْجَتي تَبِينُ ، لئن بانت ألا تَتَلَوَّمُ[4]
وعَهْدِي بها ، واللهُ يُصْلِحُ بالَها ، تجودُ على مَنْ يَشْتَهيها وتُنعِمُ
فما بالُها ضَنَّتْ عليَّ بوُدِّها وقلبي لها يا قوم عانٍ مُتَيَّمُ

قال : فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلمّا انتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخيرين غَضِبتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زَعَم ؟ إنْ كلمته كلمةً أبداً . أوَ كُلَّما اشتهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً ! أيْ أنا إذاً زانية . فصرَمته ، فلم يقدِر عليها وعُذّب بها زماناً ، ثم قال فيها لمّا يئس منها : [من الوافر]

صحا قلبي وأقْصَرَ بعد غَيٍّ طويلٍ كان فيه من الغَواني
بأنْ قصَد السبيلَ فباع جهلاً برُشْدٍ وارتَجى عُقْبى الزّمانِ
وخاف الموتَ واعتصَمَ ابنُ حُجْرٍ من الحُبِّ المبرِّح بالجَنانِ[5]
وقِدْماً كان مُعْتَرِماً جَمُوحاً إلى لَذّاته سَلِسَ العِنانِ[6]
وأقلَعَ بعد صَبْوَته وأضحى طويلَ اللّيلِ يَهْرِف بالقُرانِ
ويدعو اللهَ مجتهداً لكيما ينالَ الفَوْزَ من غُرَفِ الجِنانِ

[قال شعراً في يزيد بن المهلّب ثم تنصل منه]

قال ابن حبيبَ قال أبو عُبيدة : كان يزيد بن المهلَّب يُتَّهمَ بالنِّساء . فقال فيه أبو

1 ملوّم : يلومه الناس كثيراً .
2 سنة الوجه : دائرته أو صورة أو الجبهة والجبينان . المبسم : الثغر .
3 نيط بالحقو : علق به . والحقو : الكشح . وردف مفأم : سمين .
4 القوم الدنا : الأقربون . التلوّم : التلبث والانتظار .
5 حجر : من آباء الشاعر .
6 الاعترام هنا الشراسة والبطر .

جِلدة : [من الطويل]

إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ عيونُ رجالٍ واستلذُّوا المَضاجِعا[1]
سما نحوَ جارِ البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه يزيـدُ دبيباً للمعانـاة قابعا[2]
وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ إليـه أتاهـا بعـد ذلك طائعا

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقَتادةَ بن مُعْرِب . فقال أبو جِلدة :

أبا خالـدٍ رُكْني ومَـنْ أنا عبدُه لقـد غالنـي الأعداءُ عمداً لِتَغْضَبا
فـإنْ كنتُ قلتُ اللّذْ أتاك به العِدا فشَلَّتْ يدي اليُمْنَى وأصبحتُ أعْضَبا[3]
ولا زِلـتُ محمـولاً عـليَّ بَلِيّـةٌ وأمسيتُ شِلـواً للسِّبـاعِ مُتَرَّبا[4]
فـلا تَسْمَعَـنْ قـولَ العِدا وتَبَيَّنَنْ أبا خالـدٍ عُذْراً وإنْ كنتَ مُغْضَبا

[سئل عنه البعيث فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجوه به]

وقال ابن حبيبَ : قال رجلٌ للبَعِيثِ : أيُّ رجلٍ هو أبو جِلدة ؟ فقال : قَتادةُ بن مُعْرِب أعْرَفُ به حيث يقول : [من السريع]

إنّ أبـا جِلْـدةَ من سُكْرِه لا يعرِف الحـقَّ من الباطلِ
يـزدادُ غَيّـاً وانْهِماكاً ولا يسمَع قـولَ الناصحِ العاذلِ
أعيـا أبـوه وبنـو عَمِّـه وكان في الذِّرْوَة مِـنْ وائلِ
فليتَـه لم يَـكُ من يَشْكُرٍ فبئسَ خِدْنُ الرجـلِ العاقلِ
أعْمى عَـنِ الحقِّ بصيرٌ بما يعرِفـه كلُّ فتًـى جاهلِ
يُصْبِحُ سَكْرانَ ويُمْسي كما أصْبَحَ ، لا أُسْقِي مِنَ الوابلِ
شَدّ رِكابَ الغَيِّ ثـم اغتدى إلى التـي تُجْلَبُ مـن بابلِ
فالسِّجْنُ إنْ عاش لـه مَنْزِلٌ والسِّجْنُ دارُ العاجـزِ الخاملِ

[شعر له يناقض به قتادة بن معرب]

وقال أبو جِلدة يُجيبه : [من السريع]

قَبُحْتَ لـو كنتَ امرءاً صالحاً تَعْرِفُ مـا الحقُّ من الباطلِ

---

1 اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .
2 يستام عرسه : يطلب زوجته . القبع : تغطية الرأس بالليل لريبة .
3 الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .
4 المترّب : الملطخ بالتراب .

كَفَفْتَ عن شَتْمِي بلا إحنةٍ ... ولَـم تَـوَرَّطْ كفّـةَ الحابلِ[1]
لكنْ أبت نَفسُك فعلَ النُّهى ... والحَـزمِ والنّجْـدةِ والنائلِ
فتحتَ لِـي بالشَّتْم حتى بَدا ... مكنونُ غِشٍّ في الحَشا داخلِ
فاجْهَدْ وقُـلْ لا تَتْرِكْ جاهداً ... شَتْمَ امرىءٍ ذي نَجْدةٍ عاقلِ
تَعْذُلنـي في قَهْـوةٍ مُـزَّةٍ ... دِرْياقـةٍ تُجْلَـبُ مـن بابلِ
ولَـوْ رآهـا خَـرَّ مِنْ حُبِّها ... يَسْجُـدُ للشيطـانِ بالباطلِ
يـا شَرَّ بَكْـرٍ كلِّها مَحْتِداً ... ونُهْـزَةَ المختلِس الآكِـلِ
عِرْضَكَ وَفِّـرْهُ ودَعْني وما ... أَهـواهُ يـا أَحْمَقَ من باقلٍ[2]

[عربد عليه ابن عمّ له فاحتمله وقال شعراً]

قال ابن حبيب : كان أُبو جِلدة يشرَب مع ابن عمٍّ له من بَكْرِ بن وائل ، فسكِر نديمُه فعَرْبَدَ عليه وشتَمه ، فاحتمله أُبو جِلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

أبى لِيَ أَنْ أَلْحى نَديمي إذا انتشى ... وقـال كلامـاً سيِّئاً لي على السُّكْرِ
وَقاري وعِلْمِـي بالشَّرابِ وأَهلـِهِ ... وما نادمَ القومَ الكرامَ كذِي الحِجْرِ[3]
فلستُ بِـلاحٍ لي نديمـاً بزَلَّـةٍ ... ولا هَفْـوةٍ كانت ونحـن على الخمرِ
عرَكتُ بجَنْبي قول خِدْني وصاحبي ... ونحـنُ عـلى صَهْباءَ طَيِّبةِ النَّشْرِ[4]
فلمّـا تمادى قلـتُ خُذْها عَرِيقةً ... فإنّـك مـن قومٍ جَحاجِحَةٍ زُهْرِ
فمـا زِلْتُ أُسْقِيهِ وأَشرَب مثلَ ما ... سَقَيْتُ أَخِي حتّى بَدا وَضَحُ الفجرِ[5]
وأَيقنـتُ أنّ السُّكْـرَ طـارَ بلُبِّهِ ... فأَغرقَ في شَتْمِي وقـال وما يَدْرِي
وَلاكَ لِسانـاً كان إذْ كان صاحياً ... يقلّبـه في كلِّ فَـنٍّ مـن الشِّعْرِ

[شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشراب فأبى]

أَخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال : كان أَبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[6] في بَعْثٍ ، فشرِب بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه

1 كفة الحابل : حبالته التي يصيد بها .
2 إشارة إلى مثل «أعيا من باقل» .
3 ذو الحجر : ذو العقل .
4 عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته . والخدن : الصديق .
5 وضح الفجر : بياض الصُّبح .
6 تستر : مدينة بخوزستان .

كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخّج وكان مكتبُه هناك ، فأقام بها مدّة ، ثمّ لقي بها ذلك الرجلَ الذي نادَمه بتُستَر ذاتَ يومٍ ، فسلَّم عليه ودعاه إلى منزِله ، فأكلا ، ثم دعا بالشَّراب ليشرَبا ، فامتنع الرجلُ وقال : إنّي قد تركتُها لله . فقال أبو جِلدة وهو يشرَب : [من الطويل]

أَلا رُبَّ يــومٍ لي بِبُسْتَ وليلـةٍ ... ولا مِثْـلَ أيّامي المَواضي بتُسْتَرِ
غَنِيتُ بها أُسْقـي سُلافَ مُدامةٍ ... كريمَ المُحَيّا مِـنْ عَرانينِ يَشكُرِ
نُبادِرُ شُرْبَ الرّاحِ حتّى نَهِرُّها ... وتَتْرُكَنـا مثـلَ الصَّريعِ المُعَفَّرِ[1]
فذلك دهــرٌ قــد تولّى نعيمُه ... فأصبحتُ قد بُدِّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ
فراجَعني حِلْمِي وأصبحتُ منهج الـ ... ـشّرابِ وقِدْمـاً كنـتُ كالمتحيِّرِ
وكلّ أوان الحقّ أبصرتُ قَصْدَه ... فلستُ وإن نُبِّهتُ عنـه بمُقْصِرِ
سأَرْكُضُ في التَّقْوى وفي العِلْمِ بعدَما ... ركضتُ إلى أَمـرِ الغَوِيِّ المُشَهَّرِ
وباللهِ حَـوْلي واحْتِيـالي وقُوّتي ... ومَنْ عندَه عُرْفي الكثيرُ ومُنْكَري

[مرّ به مسمع بن مالك فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدةَ ، فوثَب إليه وأنْشأ يقول : [من الرجز]

يــا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يــا مِسْمَعُ ... أَنــتَ الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
فاصنَعْ كما كان أبــوك يَصْنَعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إنْ قبِل منك والله يا أَبا جِلدَة ناكَ أُمَّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنّك أمرتَه أن يصنَع كما كان أَبوه يصنع .

[مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فلمّا ردّه هجاه]

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطي [أبا جِلدة ، فقال فيه] : [من البسيط]

يسعى أُناسٌ لكَيْمــا يُدْرِكوكَ ولَوْ ... خاضُوا بِحارَكَ أَو ضَحْضاحَها غرِقوا[2]
وأنتَ في الحربِ لا رَثُّ القُوى بَرِمٌ ... عِنــد اللِّقــاءِ ولا رِعْديـدةٌ فَرِقُ[3]
كلُّ الخِلالِ التي يسعى الكرامُ لَها ... إنْ يَمدحوكَ بها يومــاً فقد صدَقوا

---

1 هرّه : كرهه .
2 الضحضاح : الماء القليل القعر .
3 رث القوى : ضعيفها . البرم : الضجر الملول . الرعديدة : الجبان .

ساد العِـــراقَ فحالُ الناسِ صالحــةٌ وسادَهــم وزمـــانُ النــاسِ مُنْخَرِقُ
لا خارجـــيٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفاً بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا

قال : ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه ، فلم يَلتفِتْ إليه وأَمَر أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرّضتَ لِلسان أبي جِلْدَةَ وخُبْثه . فقال : ومَنْ هو الكلبُ ؟ وما عسى أن يقول قبحه الله وقبَح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه . فبلغ ذلك من قوله أَبا جِلْدة فقال يهجوه : [من الطويل]

قَرى ضَيْفَه الماءَ القَراحَ ابنُ مسْمَعٍ وكان لئيمـــاً جـــارُه يَتَذَلَّلُ
فلمّا رأى الضيفُ القِرى غيرَ راهنٍ لديـــه تولَّـــى هاربـــاً يَتَعَلَّـــلُ
يُنادِي بأَعلى الصوتِ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ أَلا كُـــلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ
عَمِيدُكُم هَـــرَّ الضيوفَ فما لَكم ربيعـــةُ أُمسى ضيفكـــم يتحوَّلُ
وخفتُمْ بأَنْ تَقْرُوا الضيوفَ وكنتم زماناً بِكُم يَحْيا الضَّرِيكُ المُعَيِّلُ[1]
فمـــا بالُكُمْ بـــاللهِ أنتـــم بَخِلْتُمُ وقَصَّرتُمُ والضيفُ يُقْرى ويُنزَلُ
ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرى حين يُقْتَرى يقول إذا ولَّـــى جميلاً فيُجْمَلُ[2]
فمَهْـــلاً بني بَكْـــرٍ دَعُوا آل مِسْمَعٍ ورَأْيَهُـــمُ لا يَسْبِقُ الخيلَ مُحْثَلُ[3]
ودُونَكُـــمُ أَضيافكُـــمْ فتحدَّبُوا عليهـــمْ وواسوهُمْ فذلك أَجملُ
ولا تُصْبِحُـــوا أُحدوثـــةً مثلَ قائلٍ بـــه يَضرِبُ الأمثـــالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ
إذا ما التقى الرُّكْبانُ يوماً تذاكروا بَني مِسْمَعٍ حتَّـــى يُحَمُّوا ويَثْقُلُوا
فـــلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ وضَيْفَهُـــمُ سِيَّـــانِ أنَّى تَوَسّلوا
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواؤُهُمْ ومـــا فيهـــمُ إلاّ لئيـــمٌ مُبَخَّلُ
فلَـــوْ ببني شَيْبانَ حَلَّتْ رَكائبي لكان قِراهُـــمْ راهنـــاً حين أَنْزِلُ
أُولئـــك أَوْلى بـــالمَكارِمِ كلِّها وأَجْدَرُ يوماً أن يُواسُوا ويُفْضِلُوا
بني مِسْمَعٍ لا قـــرَّب اللهُ دارَكم ولا زال واديكم من الماء يُمْحِلُ
فلم تَرْدَعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنا إذا جعلـــتْ نـــارُ الحُروبِ تأَكَّلُ

---

1 المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .
2 يقترى في الأولى : تتبع وفي الأخرى : أضاف .
3 المحثل : الضاوي والدقيق السيء الغذاء .

# [ 195 ] ـ أخبار علويه ونسبه

[ نسبه ]

هو عليّ بن عبد الله بن سَيْف . وكان جَدُّه من السُّغْد[1] الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عَفّان واسترقّ منهم جماعةً اختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضَهم ، ولم يُعْتِق الباقين فقتلوه . وذكر ابن خُرْداذْبه . وهو ممّن لا يحصِّل قولَه ولا يُعْتَمَد عليه ، أنّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أُميّة ، والقولُ الأوّل أصحّ .

[مهارته في الغناء والضرب وسبب وفاته]

ويُكْنى عَلُّويَهْ أَبا الحسن . وكان مغنّياً حاذقاً ، ومؤدِّباً محسناً ، وصانعاً متفنّناً ، وضارباً متقدِّماً ، مع خِفّة رُوح ، وطِيبِ مُجالسة ، ومَلاحةِ نوادرَ . وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرّجه وعُني به جدّاً ، فبرعَ وغنّى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيّام المتوكّل ، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيْدَةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَوَيْهِ ، فبعَث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلاء ، فشرِب الطِّلاء واطَّلى بالدواء المُسْهِل ، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخارِق . فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْديّ ، فلا يَضُرُّه ذلك مع تقدُّمه وفَضْلِه .

[رأى إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قلت لأبي : أيّما أفضلُ عندك مُخارِقٌ أو عَلُّويَه ؟ فقال : يا بُنيّ عَلُّويَهْ أَعْرفُهما فهماً بما يخرُج من رأسِه وأعْلَمُهما بما يُغنّيه ويُؤدّيه ، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارِح جَواريَّ أو شاورني مَنْ يَسْتنصحني لَما أَشرتُ إلاّ بعلُّويَه ؛ لأنّه كان يؤدّي الغناء ، وصنَع صنعةً مُحْكَمَةً . ومُخارِقٌ بتمكّنِهِ من حَلْقه وكثرة نَغَمِه لا يُقْنَع بالأخذ منه ؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غِناءً واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنّهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطيبِ صوته وكثرة نَغَمِه .

حدَّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدَّثني أبي قال : اجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضَر عَلُّويَهْ فغنّى أصواتاً ، ثم غنّى من صَنْعته : [من الطويل]

---

1 السّغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بين بخارى وسمرقند .

## صوت

ونُبِّئْتُ ليــلى أرسلتْ بشفاعةٍ إليّ فهلاَّ نَفْسُ ليــلى شَفِيعُها

ولحنه ثاني ثقيل . فقال له إسحاق : أحسنتَ والله يا أبا الحسن ! أحسنتَ ما شئتَ ! فقام علّويَهْ من مجلسه فقبَّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سروراً شديداً ، ثم قال : أنت سيّدي وابنُ سيِّدي ، وأستاذي وابنُ أستاذي ، ولي إليك حاجةٌ . قال : قل ، فوالله إنّي أبلُغ فيها ما تُحِبّ . قال : أيّما أفضلُ عندك أنا أو مخارق ؟ فإنّي أُحِبُّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يُؤْثَر ويَحكيه عنك مَن حضَر ، فتُشَرِّفني به . فقال إسحاق : ما منكم إلاّ مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ ، فلا تُردْ أن ترى في هذا شيئاً . قال : سألتُك بحَقّي عليك وبتربية أبيك وبكلِّ حقٍّ تعظِّمه إلاّ حكمتَ . فقال : وَيْحَك ؛ والله لو كنتُ أستجيز أن أقولَ غيرَ الحقّ لقلتُه فيما تُحِبّ ، فأمّا إذ أبيتَ إلاّ ما ذكرتَ فهاكَ ما عندي : فلو خُيِّرتُ أنا مَنْ يُطارح جَوارِيَّ أو يغنِّيني لَما اخترتُ غيرَك ، ولكنّما إذا غنَّيْتُما بين يَدَيْ خليفةٍ أو أميرٍ غلَبَك على إطْرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضِب علّويه وقام وقال : أُفٍّ من رضاك ومن غضَبك ! .

[شاع له صوت كان الناس يظنّونه لإسحاق]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ مِنْ سُرّ مَنْ رأى قَدْمةً إلى بَغْدادَ ، فلَقِيتُ أبا محمد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى انتهى إلى ذكر الغِناء ، فقال : أيُّ شيء رأيتَ الناسَ يستحسنونه في هذه الأيّام من الأغاني ، فإنّ الناس ربّما لهِجوا بالصوت بعد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صَنعتك . فقال : أيّ شيء هو . فقلت : [من الطويل]

## صوت

أَلا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما بِقَلْبي الهـوى لَمّـا تَغَنَّيْتُما لِيا[1]

وأَبْكَيْتُماني وَسْطَ صَحْبي ولَم أَكُنْ أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

فضحِك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعَلّويه ، ولقد لَعَمْري أحسنَ فيه وجوَّد ما شاء .

لحن علّويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[أطعم أصحابه وغنّاهم]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأَبْزاريّ

---

1 دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة . (معجم البلدان 480/2) .

قال : أتيتُ علّويه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ الله بن صالح صاحبَ المُصَلَّى ، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجَ كَسْكَرِيّة[1] مُسَمَّنة وجِرابَيْ دقيق سَمِيذٍ[2] ، فسلّمتُه إلى غلامه ، وبعث إلى بِشْرِ بن حارثة : أطعمْنا ما عندك ، فلم يَزل يُطعمنا فضَلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصيب بن عمرو فحضَر ، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأَكَلْنا أَكْلَ مُعَذِّرِينَ[3] ، ثم قال : إنّي صنعتُ البارحةَ لحناً أعجبني ، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال : [من الكامل]

## صوت

هَزِئتْ عُمَيْرةُ أنْ رأتْ ظهري انْحَنى ... وذُؤابتــي عُلّتْ بمـــاء خِضابِ

لا تَهْزَئـــي منّــي عُمَيْرُ فإنّني ... مَحْـضٌ كريــمٌ شيبتي وشَبابي

لحن علُّويَهْ في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى . فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحاً . ثم استُؤذن لعَثْعَثٍ غلام أحمد بن يحيى بن مُعاذ ، فأَذِن له ، ومع عَثْعث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيِّدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ) ، فأُحِبّ أن تتفضّل وتطرَحه على عبدك عثعث . وهو : [من الطويل]

## صوت

فواحَسْرَتا لم أَقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أَتَمَتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

يقولون هذا آخرُ العهدِ منهمُ ... فقلتُ وهذا آخِرُ العهدِ من قلبي

لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها . وأوّل هذا الصوت : [من الطويل]

أَلا يا حَمامَ الشِّعْبِ شِعْب مُوَرّقٍ ... سقَتْكَ الغَوادِي من حمامٍ ومن شِعْبِ

قال : وإذا مع حُسَين رُقْعةٌ من مولاه : سَمِعتُك يا سيِّدي تُغَنّي عند الأمير أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن المَهْديّ : [من الطويل]

أَلا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما ... بقلبي الهَــوى لَمّــا تَغَنَّيْتُما لِيا

أُحِبُّ أنْ تطرَحه على عبدك حُسين . قال : فدعا بغلامٍ له يُسمَّى عَبْدَ آل فطرحه عليهما حتى أُحكماه ثم عرَضاه عليه حتّى صحّ لهما . فما أُعلمُ أنّه مرَّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه .

1 الفراريج الكسكرية : منسوبة إلى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة . وكانت قصبتها «واسط» .

2 السميذ : الحواريّ ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة .

3 المعذورون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل .

[وصف الواثق له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول : عَلُّويَه أصَحُّ الناسِ صَنْعةً بعد إسحاق ، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارِق . وأضربُ الناسِ بعد زَبْرَبٍ ومُلاحظ ، فهو مُصَلِّي كلِّ سابق قادرٍ ، وثاني كُلِّ أوّل واصلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال : وكان الواثقُ يقول : غِناءُ عَلّويَه مثلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يبقى ساعةً في السمع بعد سُكوته .

[خطّأ إسحاق لحناً غنّاه عند المعتصم فردّ هو عليه]

نسختُ من كتاب أبي العبّاس بن ثَوابة بخطّه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيّ قال : اجتمعتُ يوماً بين يَدَي المعتصم وحضر إسحاقُ الموصليّ ، فغنّى عَلُّويه : [من الطويل]

لِعَبْدَةَ دارٌ مــا تكلِّمنا الدارُ تلوح مَغانِيها كما لاح أَسْطارُ[1]

فقال إسحاق : أخطأتَ فيه ، ليس هو هكذا . فغضِب علّويه وقال : أُمُّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ . فقال إسحاق : وَشتَمَنا قَبحه الله ، وسكت وبانَ ذلك فيه . قال : وكان عَلُّويه أخذه من أبيه .

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال : كان علّويه أعسرَ وكان عُودُه مقلوبَ الأوتارِ : البَمُّ أسفلَ الأوتار كلّها ، ثم المَثْلَثُ فوقه ، ثم المَثْنى ، ثم الزِّير ، وكان عُودُه إذا كان في يدِ غيره مقلوباً على هذه الصفة ، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكونُ مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

[غنّى بشعر ابن أخته القاضي الخلنجي فعزله المأمون]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال كان الخَلَنْجيُّ القاضي ، واسمه عبد الله [بن محمد] ، ابنَ أخت علّويه المغنّي ، وكان تَيّاهاً صَلِفاً ، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشَّرْقيّة[2] ، فكان يجلس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك ، فإذا تقدّم إليه الخَصْمانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التي يُكْتَبُ فيها الدَّعاوى فألصقها في موضع دنّيته بالدِّبْق ومَكّن منها الدِّبْقَ . فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل

1 الأسطار : جمع سطر يشير إلى الكتابة .
2 الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربي من بغداد .

انكشف رأسُه وبقيتِ الدّنيةُ[1] موضعَها مصلوبةً ملتصقةً ، فقام الخَلَنْجِيّ مُغْضَباً وعلِم أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه ، فغطّى رأسَه بطَيْلَسانِه ، وقام فانصرف وتركها مكانَها ، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات : [من مخلع البسيط]

إنّ الخَلَنْجِيَّ مِـن تَتايُهه ... أثقـلُ بـادٍ لنـا بطَلْعَتِهِ
مـا إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُناسَبَةٌ ... بـين أُخاوينـه وقَصْعَتـهِ
يُصالح الخَصْمُ مَنْ يُخاصِمُه ... خوفـاً مـن الجَوْرِ في قَضيَّتِهِ
لـو لَـمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قانِصِهِ ... لطـارَ تِيهـاً عـلى رَعِيَّتِهِ[2]

قال : وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ ببَغْدادَ ، وعمِل له علُّويَه حكايةً أعطاها للزَّفانِين[3] والمُخنَّثين فأَخْرَجوه فيها ، وكان عَلُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة ، فوُلِّي جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ . فلمّا وَلِي المأمونُ الخلافة غنّاه علُّويه بشعر الخَلَنْجِيِّ فقال : [من الطويل]

بَرِئتُ منَ الإسْلامِ إنْ كان ذا الذي ... أَتـاكِ بـه الواشون عنّـي كما قالوا
ولكنّهـم لمّـا رأوكِ غَرِيَّـةً ... بهجـرِي تَواصَوا بالنميمةِ واحتالوا[4]
فقـد صِـرْتِ أُذْنـاً للوُشاةِ سميعةً ... ينالون من عِرْضِي وإن شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضي دِمَشْقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكُتِب إلى صاحب دِمَشْق بإشخاصه فأُشخِص وجلَس المأمون للشُّرْبِ وأحضر علُّويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أَنْشِدْني قولَك : [من الطويل]

بَرِئتُ من الإسلام إن كان ذا الذي ... أَتـاكِ بـه الواشون عنّي كما قالوا

فقال له : يا أميرَ المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيّ ، والذي أكرمك بالخلافةِ وورّثك ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلاّ في زُهْدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : اجْلِسْ فجلَسَ ، فناولَه قَدَح نبيذ كان في يده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما غيرت الماء بشيء قطّ مما يختلف في تحليله ، فقال لعلّك تريد نبيذ التمر أو الزَّبيب . فقال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرف شيئاً منها . فأخذ القَدَحَ من يده وقال : أَمَا والله لو شربتَ شيئاً

---

1 الدنيّة : غطاء الرأس .

2 اللدبق : الغراء . التدبيق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به .

3 الزفانون : الرقاصون .

4 غريّة : مولعة .

من هذا لضربتُ عنقك . وقد ظننتُ أنّك صادِقٌ في قولك كلِّه ، ولكن لا يتولّى لي القضاء رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انْصرِفْ إلى منزلك . وأَمر عَلّويه فغيَّر الكلمة وجعل مكانَها «حُرِمْتُ مُنايَ منك» .

[ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان علُّويه يغنّي بين يدي الأمين ، فغنّى في بعض غنائه : [من الرمل]

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنا ممّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه ، فقال للأمين : إنّما يُعَرِّض بك ويستبطىء المأمونَ في محاربته ؛ فأَمَر به فضُرِب خمسين سوطاً وجُرّ برجله ، وجفاه مدّةً ، حتى أَلقى نفسه على كَوْثَرٍ فترضّاه له وُردّ إلى خدمته ، وأَمر له بخمسة آلاف دينار . فلمّا قدِم المأمون تقرّب إليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُحِبّ . وقال له : إنّ المَلِكَ بمنزلة الأسَد أو النار ، فلا تتعرَّض لِما يُغضبه ، فإنّه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثمّ لا تقدِر بعد ذلك على تلافي ما فرَط منه ، ولم يُعطه شيئاً .

[غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته ]

ومثل هذا من فعل الأمين ، ما حدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ على الأمين فرأيته مُغْضَباً كالحاً ، فقلتُ له : ما لأمير المؤمنين ، تمّم الله سرورَه ولا نغّصه ، أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أَبوك الساعةَ لا رحِمه الله ! والله لو كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبَشتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ عِظامه . فقمتُ على رِجلي وقلت : أعوذُ بالله من سُخْطك يا أمير المؤمنين ! ومَنْ أَبي وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُه إيّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيه ، وغُنّيته الساعةَ فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبي غناءٌ إلاّ وأنا أُرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله : [من الوافر]

أَبــو المأمونِ فينا والأمينِ لــه كَنَفانِ منْ كَرَمٍ ولينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يُقدِّمِ المأمونَ في الشعر لتقديمه إيّاه في المُوالاة ، ولكنّ الشعر لم يَصحَّ وزنه إلاّ هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يَصِحَّ الشعرُ إلاّ هكذا أن يَدَعه إلى لعنة الله . فلَم أَزل أُداريه وأرفُق به حتى سكَن . فلمّا قدِم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحَك ويَعجب منه .

[مدحه عبد الله بن طاهر]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: سمعتُ أبي يقول: لو خُيِّرتُ لوناً من الطعام لا أَزيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرّاجة[1]؛ لأنّي إنْ زِدتُ في خَلِّها صارتْ سِكْباجةً[2]، وإنْ زدتُ في مائها صارت إسْفِيدباجةً[3]، وإنْ زدتُ في تَصْبيرِها بل في تَشْبيطها صارتْ مُطَجَّنَةً[4]. ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَما اخترتُ سِوى عَلُّويَه؛ لأنّه إنْ حدَّثني ألهاني، وإنْ غنّاني أشجاني، وإنْ رجعتُ إلى رأيه كفاني.

[حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني محمد بن محمد الأَبزاريّ قال: كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْفٍ أنا وعبدُ الوهّاب بن الخَصيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى، إذ دخل عليه حاجبه فقال له: علُّويَهْ بالباب، فأُذِن له فدخل. فقال له: لا تَحْمَدْني فإنّي لم يَجِئني رسولُ رجلٍ اليومَ، فعرَضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُك. فدعا له ببِرْذَونٍ ادْهَمَ بسَرْجِه ولِجامه فأهداه إليه، وجلسنا نشربَ وعلّويه يغني. فلمّا تَوَسّطْنا أَمرَنا جاء رسولُ عُجَيْفٍ[5] يطلبُه في منزله، فقالوا له: هو عند ابنه سَعيد. فأتاه الرسولُ فقال له: أجِبِ الأميرَ. فقلنا: هذا شيءٌ ليس فيه حِيلةٌ. وقد جاء الرسول وهو يغنّي: [من الطويل]

### صوت

أَلَم تَرَ أنّي يومَ جَوِّ سُوَيقةٍ بكيتُ فنادتْني هُنَيْدَةُ ماليا[6]

فقلتُ لها إنّ البكاء لراحةٌ به يَشتفي مَنْ ظَنّ أنْ لا تَلاقِيا

لحنُ علّويه في هذا رملٌ. والشعر للفَرَزدق. قال: فقام علّويه ثم قال: هُوَ ذا، أَمضي إلى الأمير فأُحدِّثه بحديثنا وأَستأذِنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم. فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنَيانِ[7] فيهما رماطونٌ[8]، فقال: جئتُ أشرَب عندكم، وآخُذُه وأنصرِف إلى إنسانٍ له عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعاذٍ أخا يحيى بن

---

1 الدُّراج: ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر.
2 السكباج: مرق يعمل من اللحم والخل.
3 الاسفيدباجة: لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى.
4 مطجنة: مقلوة بالطاجن.
5 هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قوّاد المعتصم.
6 جوّ سويقة: من جواء الصمّان.
7 المنى: مكيال يكيلون به السمن وغيره.
8 قد يكون صوابه (الرساطون) والرّساطون: ضرب من الشراب يتّخذ من الخمر والعسل.

مُعاذ) . فلم يَزَل عندنا حتّى همّ بالانصراف . فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيتُ منزلَ عليّ بن مُعاذ ، فقيل له : ابن الأبزاريّ بالباب : فبعث إليّ : إنْ أردتَ مَضاءَ فخُذْه (يعني غلاماً كان يغنّي) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنّما أُريدك أنت ، فأذِن لي فَدخلتُ . فقال : ألك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علّويه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدَّثته بالحديث . ودخل علّويه ، فقال لي : ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ : ما كنتُ لأَدَعَ بقيّةَ ليلتي هذه تضيع ، فما زال يُغنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

[فضّله عمرو بن بانة على نفسه]

حدَّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال حدَّثني أبي قال : قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صَنْعتُك أم صنعةُ علّويَهْ ؟ فقال : صنعةُ علّويه ، لأنّه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أُكذِبك يا أبا المُهنّأ والله ما أُحْسِنُ أن أصنَع مثلَ صنعةِ علّويَهْ : [من الطويل]

فواحسرتا لم أَقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أَتمتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

ولا مثلَ صنعتِه : [من الكامل]

هزِئتْ أُمَيْمَةُ أنْ رأتْ ظهري انحنى ... وذُؤابتي عُلّتْ بماء خضابِ

ولا مثلَ صنعته : [من الطويل]

أَلا يا حَمامَيْ قصرِ دُورانَ هِجْتُما ... لقلبي الهوى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات .

[غنّى في شعر هجاء فضربه الأمين]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدَّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال : كان بين علّويَه وبين عليّ بن الهَيْثم جوَنْقا شرٌّ في عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشرّ بينهما ، فغنّى علّويَه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب[1] في حاجةٍ ، فهجاه وذكر أنّه دَعِيٌّ . وكان جوَنْقا يَدّعي أنّه من بني تَغْلِب ، فقال فيه أبو يعقوب : [من الخفيف]

يا عليُّ بنَ هَيْثَمٍ يا جوَنْقا ... أنت عندي من الأَراقِم حَقّاً[2]

عربيٌّ وجَدُّه نَبَطِيٌّ ! ... فَدَبَنْقا لِذا الحديث دَبَنْقا

قد أصابتْك في التقرُّب عينٌ ... فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا

وإذا قال إنّني عربيٌّ ... فانتهِرْه وقل له أنت شفقا

1 هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخريمي .

2 الأراقم هنا : حيّ من تغلب .

وللخُرَيْميّ فيه أهاجٍ كثيرةٌ نَبطيّة . فغنّى علّويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين عليُّ بن الهيثم كابني ، وإذا استخفّ به فإنّما استخفّ بي . فقال الأمين : خُذوه ، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّةً ، وأمر بإخراجه . فطرَح علّويَه نفسَه على كَوْثرٍ فاستصلح له الفضلَ بن الربيع ، وترضّى له الأمينَ حتى رضي عنه ووهب له خمسة آلاف دينار :

[ادّعى أنّه لو شاء جعل الغناء كالجوز فردّ عليه إسحاق بما أخجله]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني مُخارِق قال : غَنّى علّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت : [من البسيط]

مَنْ صاحبَ الدَّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصَرُّفَه عَنـاً وللدَّهـرِ إحـلاءٌ وإمرارُ

ولحنه ثقيلٌ أوّل ، فاستحسنه الواثق وطرِب عليه . فقال علُّويَه : واللهِ لو شئتُ لجعلت الغِناء في أيدي الناس أكثرَ من الجَوْز ، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق ، فتضاحك ثم قال : يا أبا الحسن ، إذاً تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز ، ليتَك إذْ قَلَّلتَه صنعتَ شيئاً ، فكيف إذا كثَّرته ؟ . فخجِل علّويَه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجراً ، وما انتفع بنفسه يومئذٍ .

[ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني عبد الله الهشاميّ قال : قال لي عَلّويه : أَمَرنا المأمونُ أنّ نُباكره لنصطبح ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المَراكبيّ مولى عَرِيبَ ، فقال : أيّها الظالم المعتدي أما ترحَم ولا تَرِقّ ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في نومها في كلّ ليلة ثلاثَ مرّات . قال علّويه : فقلت أُمّ الخلافةِ زانيةٌ ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : استوثِقْ من الباب ، فأنا أعْرَفُ الناس بفضول الحُجّاب ، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيٍّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من دَجاج . فلمّا رأتْني قامت فعانقتْني وقبّلتني وقالت : أيَّ شيء تشتهي ؟ فقلت : قِدْراً من هذه القدور ، فأفرغتْ قِدْراً بيني وبينها فأكلْنا ، ودعتْ بالنبيذِ فصبّتْ رِطْلاً فشَرِبتْ نِصْفَه وسقتْني نصفَه ، فما زِلتُ أشرَب حتى كِدتُ أنْ أسكَرَ . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنّيتُ البارحةَ في شعرٍ لأبي العَتاهية أعجبني ، أفتسمَعُه منّي وتُصْلِحُه ؟ فغنّتْ : [من الطويل]

## صوت

عذِيرِي مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه صَفا لِي ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ

وإنّي لَمشتاقٌ إلى ظِـلِّ صاحبٍ يَرُوقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

فصيّرناه مجلساً . وقالت : قد بقي فيه شيء ، فلم أَزَلْ أنا وهي حتى أصلحناه . ثم قالت :

وأُحِبّ أن تغنّي أنت فيه أيضاً لحناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشربَ على اللّحنين مَلِيّاً . ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستخرجوني ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصفِّق وأُغنّي بالصوت ، فسمِع المأمون والمغنّون ما لم يعرِفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا عَلّويَه ورُدَّهُ[1] ، فردَدته عليه سبعَ مرّات . فقال لي في آخرها عند قولي :

يَروقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

يا عَلّويَه خُذِ الخلافةَ وأعطِني هذا الصاحبَ .

[سمع منه إبراهيم بن المهديّ صوتين فحسده]

لحنُ عَرِيبَ في هذا الشعر رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثاني ثقيلٍ ، وماخُوريّ . وقال العَتّابيّ حدّثني أحمد بن حَمْدون قال : غاب منّا علّويَه مدّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما الذي أحدثتَ بعدي من الصَّنْعة يا أبا الحسن ؟ قال : صنَعتُ صوتين . قال : فهاتِهما إذاً ؛ فغنّاه : [من الطويل]

## صوت

ألا إنّ لِي نَفْسَيْنِ نفساً تقولُ لي تَمَتَّعْ بليلى مـا بـدا لك لِينُها
ونفساً تقول استَبْقِ وُدَّكَ واتَّئـدْ ونَفْسَك لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهينُها

لحن علّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل . قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونُه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنّه لم يجدْ في الصوت مَطْعَناً ، فعدَل عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يدلّ على أنّ ليلى هذه كانت من لِينها مثلَ المُوم[2] بالبَنَفْسَج ، فسكَت علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه : [من الطويل]

## صوت

إذا كان لي شَيْئان يا أُمَّ مالكٍ فإنّ لِجاري منهما مـا تَخَيَّرا
وفي واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ أُراه لـه أهلاً إذا كان مُقْتِرا

والشعر لحاتم الطائيّ . لحنُ علّويه في هذين البيتين أيضاً خفيفُ ثقيلٍ . وقد رُوِي أنّ إبراهيم الموصِليّ صنَعه ونحله إيّاه ، وأنا أذكر خبرَه بعقِبِ هذا الخبر . قال أحمد بن حمدون : فأتى والله بما برَّز على الأوّل وأوفى عليه ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنعة وعجزِه عنها . فقال له : وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَك منهما واحدةً ؟ فخجِل علّويه

1 يقال : ردّ القول ترداداً إذا كرّره ، مثل ردّده .

2 الموم هنا : الشمع .

وما نطق بصوت بقيّة يومه . وحدّثني عمّي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر . ولفظُه أقلّ من هذا .

[نحله إبراهيم الموصليّ صوتاً فلم يظهره إلاّ أيّام المأمون]

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أن إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت فحدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المُرتجلِ وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال : قال إبراهيم الموصليّ يوماً : إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمِعه منّي أحدٌ بعد ، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفَع منك بأنْ أُلقيه عليك وأهَبَه لك ، وواللهِ ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به ، فانتحِله وادَّعِه . فلستُ أنسبُه إلى نفسي وستَكْسِب به مالاً . فألقى عليَّ قولَه : [من الطويل]

إذا كان لي شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ فإنّ لجاري منهما ما تخيَّرا

فأخذته وادَّعيته وستَرتُه طولَ أيّام الرشيد خوفاً من أن أُتَّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حدَث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسان وكان يخرج إلى الشَّماسيّة[1] دائماً يتنزّه ، فركِبتُ في زَلاّلٍ[2] وجئتُ أتْبعه ، فرأيتُ حَرَّاقةَ عليّ بن هشام ، فقلتُ للمَلاّح : اطْرَحْ زَلالي على الحَرّاقة ففعل ، واستُؤْذِن لي فدخلتُ وهو يشرَب مع الجواري ، وما كانوا يحجُبون جَواريهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ ، فإذا بين يديه مُتَيَّم وبَذْلُ [من] جَوارِيه ، فغنَّيته الصوتَ فاستحسنه جدّاً وطرِب عليه وقال : لِمَن هذا ؟ فقلتُ : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك ، ولم يَسمعه أَحدٌ قبلَك ، فازداد به عجباً وطَرَباً وقال لها : خُذِيه عنه ، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه ، فسُرَّ بذلك وطرِب ، وقال لِي : ما أَجِدُ لك مُكافأةً على هذه الهديّة إلاّ أن أتحوَّل عن هذه الحَرَّاقة بما فيها وأُسَلِّمه إليك أَجمَعَ . فتحوّل إلى أُخرى ، وسُلِّمَتِ الحَرّاقة بخزانتها وجميع آلاتها إليّ وكلِّ شيء فيها ، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضَيْعَتي الصالحيّة .

[غنّى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد]

حدَّثني جَحْظةُ قال حدَّثني ابن المكّيّ المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حُمَيْدٍ كاتبِ أبي الرازيّ وحدّثني به عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حُميدٍ كاتب أبي الرازي قال : غنّى علّويه الأعسرُ يوماً بين يَدَي المأمون : [من الطويل]

تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عُودَ أَراكةٍ لهنـدٍ فمَـنْ هذا يُبَلِّغه هِنْدا

فقال المأمون : أُطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعْرَف ، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل

1 الشماسية هنا : من ضواحي بغداد .

2 الزلال : ضرب من الزوارق .

الأَدَب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أحدٌ . فقال إسحاق بن حُمَيد : لّما رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدتُ في المسألة وطلبتُه ببغدادَ عند كلّ متأدِّب وذي معرفةٍ فلَم يَعْرِفه . وقلّد المأمون ابا الرازيّ كُوَرَ دِجْلَةَ وأنا أَكتُب له ، ثم نقله إلى اليَمامة والبَحْرَيْن . قال إسحاق بن حُمَيْد : فلمّا خرجنا ركِبت مع أبي الرازيّ في بعض اللّيالي على حِمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذي كنت أطلبُه ، فسألته عنها فذكر أنـّها للمُرقِّش الأكبر ، فحفِظْتُ منها هذه الأبيات : [من الطويل]

خليلَيَّ عُوجا باركَ الله فيكما ... وإنْ لم تكُنْ هندٌ لأرضِكما قَصْدا
وقُولا لها ليس الضَّلالُ أَجازَنا ... ولكنّنا جُزْنا لِنَلْقاكُمُ عمْدا
تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أَراكةٍ ... لهندٍ فمَنْ هذا يبلِّغه هندا
وأَنْطَيْتُه سيفي لكيما أُقِيمَه ... فلا أَوَداً فيه استبنتُ ولا خَضْدا[1]
ستَبْلُغُ هنداً إنْ سَلِمْنا قَلائصٌ ... مَهارِي يُقَطِّعن الفَلاةَ بنا وَخْدا
فلمّا أنَخْنا العيسَ قد طار سيرُها ... إليهم وجدْناهم لنا بالقِرى حَشْدا
فناولتُها المِسْواكَ والقلبُ خائفٌ ... وقلتُ لها يا هِندُ أَهْلَكْتِنا وَجْدا
فمدّتْ يداً في حُسْنِ دَلٍّ تَناوُلاً ... إليه وقالتْ ما أَرى مثلَ ذا يُهْدى
وأقبلتُ كالمُجتازِ أدّى رسالةً ... وقامتْ تَجُرّ المَيْسانيَّ والبُرْدا[2]
تَعَرَّضُ للحيّ الذين أريدهم ... وما التمست إلاّ لِتقتُلني عَمْدا
فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أَدماءَ خاذلٍ ... من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُراعٍ طَلاً فردا[3]

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ ورُوِيَتْ ، وأَمر علّويه فصنَع في البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه [. . .]

أغاني علّويه في هذه الأبيات : اللحن الأوّل في قوله :

تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكةٍ

غَنّاه عَلُّوَيه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر . ولحنُه الثاني الذي أَمره أنْ يصنَعه في :

---

1 أنطى : لغة في أعطى . الخضد : كسر العود من غير أن يبين .

2 الميساني : ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان .

3 الأدمة في الظباء والنوق : لون مشرب بياضاً . والخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد ، أو أقامت على ولدها . والطلا هنا : ولد الظبية .

خَلِيليَّ عُوجا بارك الله فيكما

رملٌ .

[دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غنّاه بشعر لابن هرمة]

حدَّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : عرَض عَلُّويه على المعتصم رُقعةً في أمر رِزقه وإقطاعه وهو يشرب دفَعها إليه من يده ، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغنّي : [من الكامل]

## صوت

إنّي اسْتحيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجتي    فإذا قرأتَ صحيفتي فتَفهَّمِ
وعليكَ عهدُ اللهِ إنْ خبَّرتَه    أحداً ولا أظهرتَه بتكلُّمِ

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك ، ثم وقَّع له فيها بما أراد .

الشعر لابن هَرمة كتَب به إلى بعض آل أبي طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابُه إلى السَّيالةِ[1] ، فكتَب إليه البيتَ الأوّل على ما رويناه ، والثاني غيّره المغنّون ، وهو : [من الكامل]

وعليكَ عهدُ الله إنْ أعلمتَه    أهلَ السَّيالةِ إنْ فعلتَ وإنْ لَمِ

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : عليّ عهدُ الله إنْ لَم أُعْلِمْ به عامل السَّيالةِ . [وكتب إلى عامل السَّيالة] : إنّ ابن هَرْمة وأصحاباً له سُفَهاء يشربون بالسَّيالة ، فارْكَبْ إليهم ، حتّى تأخذَهم ، فركِب إليهم ونَذِروا به[2] ، فهرَب ، وقال يهجو إبراهيم : [من الوافر]

كتبتُ إليكَ أستهدِي نَبيذاً    وأُدْلي بالمَودّةِ والحقوقِ
فخَبَّرْتَ الأميرَ بذاك جهلاً    وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[3]

حدَّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير . وقد ذكرتُهُ في أخبار ابن هَرْمة . والغناءُ لعَبادِلَ .

[غنّى هو ومخارق معرّضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني موسى بن هارون الهاشميّ قال حدَّثني أبي قال : كنتُ واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَيْر الوَحْشِ والخيلِ تُعْرَض عليه وهو يشرَب وبين يديه علّويه ومُخارِق يغنّيان ، فعُرِض عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أحمرُ ما رأيتُ مثلَه قطُّ ، فتغامز

1 السيالة : أرض في طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكّة .
2 نذر به : علم به .
3 الموق هنا : الحمق في غباوة .

عَلُّويَه ومُخارق ، وغنّاه علّويه : [من الرمل]

وإذا مـا شربوهـا وانتَشوْا وهبُـوا كلّ جَـوادٍ وطِمِرّْ[1]

فتغافل عنه . وغنّاه مُخارقٌ : [من الخفيف]

يَهَـبُ البيضَ كالظِّباء وجُرْداً تحت أجْلالِها وعِيسَ الرِّكابِ[2]

فضحِك ثم قال : اسكُتا يا ابْني الزّانيتين ، فليس يملِكه والله واحدٌ منكما . قال : ثم دار الدَّوْرُ ، فغنَّى عَلّويه : [من الرمل]

وإذا مـا شربوهـا وانتَشوْا وَهَبُـوا كلَّ بِغـالٍ وحُمُرْ

فضحِك وقال : أمّا هذا فنَعَمْ ، وأمَر لأحدِهما ببَغْلٍ وللآخرِ بحِمار .

[اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن محمد الأبزاريّ قال : كنّا عند زلبهزة النخّاس ، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفٌ ابتاعها من علّويه ، وذلك في شهر رمضانَ ، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصَّمد بن عليّ يقال له عبدُ الصَّمد ، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها ، فأعطى بها زلبهزَة أربعة آلاف دينارٍ فلم يَبِعْها منه ، وبقيتْ معه حتى تُوُفِّيتْ ، فغنّتنا أصواتاً كان فيها : [من الطويل]

أشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أهلِها إشارةَ محـزونٍ ولَـم تَتكلَّمِ
فأيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحَباً وأهـلاً وسَهْـلاً بالحبيبِ المُسَلِّمِ
وأبـرزتُ طَرْفي نحوَها لأُجيبَها وقلتُ لها قولَ امرىء غيرِ مُعْجِمِ
هنيئاً لكـم قَتْلي وصَفْوُ مَودّتي وقد سِيط في لحمي هواكِ وفي دمي[3]

الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . قال : فلمّا وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ : أقيموا عندي . فوجَّهتُ غلاماً معي وأعطيته ديناراً وقلتُ له ابْتَعْ فَراريجَ بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعَجِّلْ ، فجاء بذلك فدفعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألواناً ، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا ، فجاءنا وأقام ، وأفطرنا عند زلبهزة ، وشرب منّا مَن كان يستجيز الشرابَ ، وغنّى علّويه لحناً ذكر أنّه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل ، فاستغربه الجماعة ، وهو : [من السريع]

---

1 الطمِرّ : الجواد .

2 الجرد من الخيل : القصيرات الشعر . وعيس الركاب : النوق البيض .

3 سيط : خلط ومزج .

## صوت

يـا هندُ إنّ الناسَ قد أفسدوا ... وُدَّكِ حتـى عـزّني المَطْلَبُ
يـا ليتَ مَنْ يسعى بنا كاذباً ... عـاشَ مُهانـاً في أذًى يَتْعَبُ
هَبِيـهِ ذنبـاً كنتُ أذنبته ... قـد يغفِـر اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجاني وجـرتْ دَمْعَتي ... أنْ أرسلتْ هندُ وهِي تَعْتِبُ
مـا هكذا عاهدتَنا في مِنًى ... مـا أنـتَ إلاّ ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفـتَ لي بـالله لا نَبْتَغي ... غيرَكِ مـا عشتِ ولا نَطْلُبُ

قال : وقام عبدُ الصمد الهاشميّ ليبول . فقال علّويه : كلُّ شيء قد عرَفتُ معناه : أمّا أنت فصديقُ الجماعةِ ، وهذا يتعشّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربَّيتها وعلّمتها ، وهذا الهاشميّ أيْشٍ معناه ! . فقلتُ لهم : دعُوني أُحكُّه[1] وآخذ لزلبهزة منه شيئاً . فقال : لا والله ما أُريد . فقلت له : أنت أحمقُ ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أَخْذه . فقال : إنْ كان هكذا فنعَمْ . فقلت له : إذا جاء عبدُ الصَّمد فقُلْ لِي : ما فعلَ الآجُرُّ الذي وعدتني به . فإنّ حائطي قد مال وأخاف أن يقَع ، ودَعْني والقِصَّةَ .

فلمّا جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أمرتُه به ، فقلتُ : ليس عندي آجُرٌّ ، ولكن اصبِر حتّى أطلُب لك من بعض أصدقائي ، وجعلتُ أنظُر إلى الهاشميّ نَظَرَ مُتَعرِّضٍ به . قال الهاشميّ : يا غلامُ دواةً ورُقْعةً ، فأحضر ذلك . فكتَب له بعشرة آلاف آجُرّةٍ إلى عامل له ، وشربنا حتّى السَّحَرِ وانصرفنا . فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّي . ثم قلتُ : بكَم تَبيعه الآجُرَّ ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهماً الألفَ . قلت : فبِكم تشتريه منّي ؟ قال : بنُقْصان ثلاثة دراهم في الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً ، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودَجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر ، ودعونا علّويَه والهاشميّ ، وأَقمنا عند زلبهزة ليلَتنا الثانية . فقال علّويَه : نَعَمْ ! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى .

[هو مصلي كل سابق في الصنعة]

أُخبرني جحظة قال حدَّثني أَحمد بن حمدون قال حدّثني أبي قال : قال لنا الواثق يوماً : مَن أحذقُ الناس بالصَّنْعة ؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أضربُ الناس ؟ قلنا : ثَقِيفٌ . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَن أطيبُ الناس صوتاً ؟ قلنا : مُخارق . قال ثم مَن ؟ قلنا : علّويه . قال : اعترفتم له بأنّه مُصَلّي كلِّ سابقٍ ، وقد جمع

1 أحكه ، يريد أحتك به وأتعرض له .

الفضائلَ كلَّها وهي متفرّقةٌ فيهم ، فما ثَمَّ ثانٍ لهذا الثالث .

[غنّى المأمون في دمشق بما أغضبه]

وحدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ المُرْتَجِل قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ إلى عَلّويه أعوده من عِلّة اعتلّها ثم عُوفِي منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لي : كِدْتُ ، عَلِم الله ، أذهَب دَفْعةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى سلمني ووهب لي حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لمّا خرج إلى الشام ، فدخلْنا دمشق فطُفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أُميّة ويَتّبع آثارَهم ، فدخل صَحْناً من صُحونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخام الأخضر كلِّه وفيه بِركةُ ماء يدخُلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبّ إليها . وفي البركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربع زواياه أربعُ سَرَواتٍ كأنّها قُصّتْ بمِقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو قطُّ قدّاً وقَدْراً . فاستحسن ذلك ، وعزَم على الصَّبُوح ، وقال : هاتوا لي الساعةَ طعاماً خفيفاً ، فأُتِي ببَزْماوَرْدٍ[1] فأكَل ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل عليّ وقال : غَنِّني ونَشِّطْني ، فكأنّ الله عزّ وجلَّ أنساني الغناء كلَّه إلاّ هذا الصوت : [من السريع]

لـو كان حَوْلي بنو أُميَّةَ لَمْ تَنْطِقْ رجـالٌ أراهُمُ نَطَقوا

فنظر إليّ مُغْضَباً وقال : عليكَ وعلى بني أُمَيَّةَ لعنةُ الله ؛ ويلَكَ ! أَقُلتُ لك سُؤْني أو سُرَّني ! أَلَم يكن لك وقتٌ تذكرُ فيه بني أُميّة إلاّ هذا الوقتَ تعرِّض بي ! . فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ ، فقلت : أتلومُني على أنْ أذكر بني أُمَيّة ! هذا مولاكم زِرْياب عندهم يركَب في مائتي غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملِك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال : أوَلَم يكنْ لك شيءٌ تذكِّرني به نفسَك غيرَ هذا ! فقلتُ : هكذا حضَرني حين ذكرتُهم . فقال : اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي . فأنساني الله كلّ شيء أُحْسِنه إلاّ هذا الصوتَ : [من الكامل]

الحَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أكُنْ أرضـى دِمَشْقَ لأهلِنـا بَلَدا

فرماني بالقَدَح فأخطأني فانكسر القدح ، وقـال : قُمْ عنّي إلى لعنة الله وحرِّ سَقَرَ ، وقام فركِب . فكانت والله تلك الحالُ آخِرَ عهدي به ، حتى مرض ومات . قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كَمْ تُراني أُحْسِن ! أُغَنّي ثلاثةَ آلافِ صوت ، أربعةَ آلاف صوت ، خمسة آلاف صوت ، أنا والله أُغنّي أكثرَ من ذلك ، ذهب عَلِم الله كلُّه حتى كأنّي لم أعْرِفْ غيرَ ما غنَّيْتُ . ولقد ظننتُ أنّه لو كانت لي ألفُ رُوح ما نجتْ منه واحدةٌ منها ، ولكنّه كان رجلاً حليماً ، وكان في العُمْرِ بقيَّة .

---

1 البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

## نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

### صوت

[من السريع]

لــو كان حــولي بنو أُميَّةَ لَم ... تَنْطِــقْ رجــالٌ أراهُمُ نَطَقُوا
مِــنْ كلّ قَــرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه ... عــن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنخرِقُ[1]

الشعر لعبد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء لمَعْبَد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر ابن خُرداذبه أنّ فيه لدُكَيْنِ بن عبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

### صوت

[من الكامل]

الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ ومــا ... كانــت دمشقُ لأَهلِنــا بَلَدا
قادتْكَ نَفْسُك فاستقدتَ لها ... وأُريــتَ أمــرَ غَوايــةٍ رَشَدا

لعُمَرَ الواديِّ في هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكيّ . قال : وفيه ليعقوب الواديّ رملٌ بالبِنصر .

[اعترض على خطابه فأجاب]

حدّثني عمّي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهْبٍ الكاتبَ يحدّث : أنّ علّويَه كان يَصطبح في يوم خِضابه مع جواريه وحُرَمه ، ويقول : أجعلُ صَبُوحي في أحسن ما يكون عند جَوارِيَّ . فقيل له : إنّ ابن سِيرِينَ كان يقول : لا بأسَ بالخِضابِ ما لَم تُغَرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ . فقال : إنمّا كُرِه لئلاّ يَتَصنَّع به لَمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنّه شابٌّ وهو شيخ ، فأَمّا الإماء فهنّ مِلْكِي ، وما أُريد أنْ أغُرّهنّ .

قال الحسن : فتعالَلَ علّويَه على المعتصِم ثلاثةَ أيّامٍ متوالية واصطبح فيها ، فدعاني ، وكان صوتُه على جَوارِيه في شعر الأخطل : [من البسيط]

كأنّ عَطّــارةً باتــتْ تُطِيفُ بِهِ ... حتى تَسَرْبَلَ مثلَ الوَرْسِ وانْتَعَلا[2]

فقال لي : كيف رويتَه ؟ فقلتُ له : قرأتُ شعرَ الأخطلِ وكان أعلمَ النّاسِ به ، كان يختار

---

1 انخراق القميص : إشارة إلى جذب العفاة ، أو إلى إيثار غيره بثيابه .

2 مثل في ل : ماء .

«تَسَرْوَلَ» ويقول : إنّما وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر في قوائمه وبطنِه فكان كالسَّراويلِ ، لا أنّه صارَ له سِرْبالٌ . ولو قال : «تسربلَ» أيضاً لم يكن فاسداً ، ولكنّ الوجهَ «تسرولَ» .

[مدح إسحاق لحناً له]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ من سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُولِ غَيبة ، فدخلتُ إلى إسحاق الموصليّ ، فسلّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهينا إلى ذكر الغِناء ، فسألني عمّا يتشاغل الناس من الأصوات المُسْتَجادةِ[1] . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلَّهم مُغْرَمين بصوتٍ لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

أَلا يــا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما

فقال : ليس ذلك لي . ذاك لعَلّويَه . وقد لَعَمْرِي أُحسنَ فيه وجَوّدَ ما شاء .

[قال المأمون أبياتاً فغنّاه فيها فوصله]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدَّثني علّويَه قال : خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقْعة بخَطّه ، وهي : [من الطويل]

### صوت

خرجْنا إلى صَيْد الظِّباء فصادَني هناكَ غَــزالٌ أدعجُ العَيْنِ أحْوَرُ
غــزالٌ كأنّ البدرَ حَــلَّ جبينَه وفي خدّه الشِّعْرى المنيرةُ تَزْهَرُ
فصاد فُــؤادي إذْ رماني بِسَهْمِهِ وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ
فيا مَنْ رأى ظبياً يَصيدُ ومَنْ رأى أخــا قَنَصٍ يُصْطادُ قَهْراً ويُقْسَرُ

قال : فغنّيته [ فيها ] ، فأمَر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامة : لحن علّويَه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد .

[غنّى في مجلس الرشيد بما أغضبه]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدَّثني حمّاد عن أبيه قال : غَنّيتُ الرشيدَ يوماً : [من البسيط]

هما فَتاتانِ لَمّا يَعْرِفا خُلُقي وبالشَّبابِ على شَيْبِي يُدِلاّنِ

فطرِب وأَمَر لي بألفِ دينار . فقال له ابنُ جامع ، وكان أحسَدَ الناس : اسْمَعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده . ثم غنّى قولَه : [من الرمل]

---

1 ل : المستجدة .

ولقد قالـتْ لأتراب لها كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني وغدتْ تسعى إلى قُبَّتِها

فطرِب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعَةِ : [من المنسرح]

يَمشونَ فيها بكلِّ سابغةٍ أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ[1]

فاستحسنه وشرِب عليه وأَمَر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى عَلّويَه : [من الكامل]

وأرى الغَـــواني لا يُواصِلنَ امرءاً فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَظْر أُمّه ! تُغَنّي في مدح المُرْدِ وذمِّ الشّيب وسِتارتي منصوبةٌ وقد شِبْتُ ؛ كأنّك إنّما عرَّضتَ بي ! ثم دعا بمَسْرورٍ فأَمَره أن يأخذ بيده فيُخْرِجَه فيضربَه ثلاثين دِرّةً ولا يردّه إلى مجلِسِه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيّة يومنا ، وجفا علّويَه شهراً فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له .

## نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

### صوت

[من البسيط]

همـا فتاتانِ لَمّـا يَعْرِفـا خُلُقِي وبالشّبـابِ عــلى شَيْبِي يُدِلاّنِ
كلُّ الفَعالِ الذي يفعلنَـه حَسَنٌ يُضْنِي فؤادي ويُبْدي سِرَّ أَشجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَوْلِ شَيْخِكما مَهْلاً عــنِ الشَّيْخِ مهلاً يا فتاتانِ

لم يَقَعْ إليّ شاعرُه . فيه لابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنّيه . فدسَّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه ، وقيل : بل دسّ عليه ابنَ جامع .

[خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب]

أَخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دعاني الرشيدُ لّما حجّ ، فقال : صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغنّي صوتاً حسناً ، وهو : [من البسيط]

هُما فتاتانِ لّما يعرِفـا خُلُقِي وبالشباب على شيبي يُدِلاّنِ

وله أمٌّ ، فصِرْ إليها وأَقِمْ عندها واحْتَل حتّى تأخذَه . فجئتُ أستدلّ حتّى وقفت على بيتها ،

1 الدرع السّابغة : التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقتير : مسامير الدرع .

فخرجتْ إليّ فوهبتُ لها مائتي درهم ، وقلتُ لها : أُريد أن تحتالي على ابنِكِ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانيّ . فقالت : نَعَمْ ، وأَدْخَلتني دارَها ، وأمرتْني فصَعدتُ إلى عليّة لها ، فما لبِثتُ أنْ جاء ابنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتْك نفسي ؛ أُمُّك قد أصبحتِ اليومَ خاثرةً[1] مُغْرَمةً[2] ، فاحِبّ أن تغنّي ذلك الصوتَ :

هما فتاتان لمّـــا يعرفــا خُلقي

فقال لها : ومتى حدَث لك هذا الطَّرَب ؟ قالت : ما طَرِبتُ ولكنّني أحببتُ أن أتفرَّج من همٍّ قد لحِقني . فاندفع فغنّاه ، فما سمعتُ أُحسنَ من غِنائـه . فقالـت لـه أُمه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفتَ عنّي قِطعةً من همّي ، فأسألُك أن تُعيدَه . قال : والله ما لي نَشاطٌ ، ولا أُشتري غَمّي بفرَحـك . فقالتْ : أعـدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطِفاً[3] . قـال : ومـن أيـن لكِ درهم ؟ ومتى حدَث لكِ هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تَحتاج إليـه ، وأخرجتْ إليه درهماً فأعطته إيّاه ، فأخـذه وغنّاه مرّتين ، فدارَ لي وكاد يَسْتَوي . فأومأتُ إليها من فوقُ أن تَستزيده . فقالتْ : يا بُنَيّ بحقّي عليك إلاّ أعدتَه . فقال أظُنّ أنّكِ تريدين أن تأخذيه فتَصيري مغنّية . فقالت : نَعَمْ ! كذا هو . قال : لا ؛ وحقِّ القبر لا أعدتُه إلاّ بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهماً آخَر ، فأخذه وقال : أظنُّك والله تَزَنْدَقْت وعَبدت الكَبْشَ فهو ينقُد لكِ هذه الدراهمَ ، أوْ قد وجدتِ كنزاً . فغنّاه مرّتين ، وأخذتُه واستوى لِي . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ إلى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة ، فطرِب وضحِك وأَمر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بَدَلُ مائتي الدِّرهم .

## صوت

[من الرمل]

ولقد قالــتْ لأترابٍ لهـا ... كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبَعني ... وعَـدَتْ سَعْيـاً إلى قُبَّتِها
لم يُصِبْها نَكدٌ فيما مَضى ... ظَبْيةٌ تختـــالُ في مشْيَتِها

في هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشاميُّ أنّه لابن جامع المكّيّ ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ، وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غيرُ مُجَنَّس .

1 خاثرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة .
2 المغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .
3 الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبّيطي .

## صوت

[من مخلّع البسيط]

يمشون فيهـا بكـلّ سابغةٍ أُحْكِـمَ فيهـا القَتِيرُ والحَلَقُ
تعـرِف إنْصافَهُـمْ إذا شَهِدوا وصَبْرَهم حين تَشْخَصُ الحَدَقُ[1]

الغناء لابن مُحْرِز ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

## صوت

[من الكامل]

يَجْحَدْنَني دَيْني النهارَ وأقتضي دَيْني إذا وَقَـذ النُّعاسُ الرُّقَدا
وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرءاً فَقَد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

الشعر للأَعْشى . والغناء لمعبدٍ ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

## صوت

[من السريع]

أَيَّةُ حـالٍ يـا ابن رامِين حـالُ المُحِبِّينَ المَساكِينِ
تركتهم موتى ومـا مُوّتوا قد جُرِّعُوا منكَ الأَمَرَّيْنِ[2]
وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيّةٍ رَكْـبِ تَهـامٍ ويَمانِينِ
يا راعِيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مِـن رَوْعِ المُحِبِّينِ

الشعر لإسماعيل بن عَمّارٍ الأَسَدِيّ . والغناء لمحمد بن الأَشْعَث بن فجوة الزُّهْرِيِّ الكوفيّ ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى ، عن الهشاميّ وأَحمد بن المكّيّ .

---

1 يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق كناية عن الفزع وشدّة الخوف في الحرب .

2 لقي منه الأمرّين : أي الدواهي .

# [ 196 ] ـ نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره

[ نسبه ]

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيينة بن الطُّفيل بن جَذيمة بن عمرو بن خَلَف بن زبّان بن كَعْب بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة . أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن ابن حبيب .

[من مخضرمي الدولتين وكان ينزل الكوفة]

وإسماعيل بن عمّارْ شاعرٌ ، مُقِلٌّ ، مخضرمٌ من شعراء الدولتين الأُموية والهاشمية . وكان ينزل الكوفة .

[كان ممّن يختلف إلى ابن رامين وجواريه]

قال ابن حبيب : كان في الكوفة صاحب قِيانٍ يقال له ابن رامِين ، قَدِمها من الحجاز ؛ فكان مَن يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده : مثل يحيى بن زيادٍ الحارثيّ ، وشُراعة بن الزّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إياس ، وعبد الله بن العبّاس المفتون ، وعَوْنِ العِبادِيّ الحِيريّ ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِيِّ المغنّي . وكان نازلاً في بني أَسَدٍ في جِيران إسماعيل بن عمّار ، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده . ثم انتقل من جِواره إلى بني عائذ [الله][1] ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعد ما بينهما . وكان لابن رامين جَوارٍ يقال لهن سَلاّمةُ الزرقاء ، وسَعْدَةُ ، ورُبَيْحة ، وكنّ من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلاّمة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث : [من البسيط]

أمسى لِسَلاّمَةَ الزرقاءِ في كَبِدِي ... صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوالَ الدَّهرِ والأَبَدِ

لا يستطيعُ صَناعُ القـومِ يَشْعَبُه ... وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ في كبِدِ

[قصيدة له في جواري ابن رامين]

وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمّار : [من البسيط]

هَـلْ مِنْ شِفاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ ... صَبا وصَبَّ إلى رِئـم ابن رامينِ

إلى رُبَيْحـةَ إنّ اللهَ فَضّلهـا ... بحُسْنِهـا وسَمـاعٍ ذي أَفانينِ[2]

وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حسنٌ ... ولَثْغةٌ بعدُ [في] زايٍ وفي سينِ

نَفْسي تأبّى لكـمْ إلاّ طَواعِيةً ... وأنتِ تأبَيْنَ لُؤمـاً أَنْ تُطيعيني

1 عائذ الله : حي من العرب .

2 السماع : الغناء .

وتلكَ قِسْمةُ ضيزى قد سمعتِ بها … وأنـت تَتْلِينَها مـا ذاك في الدِّينِ
إنْ تُسْعِفِيني بذاك الشيء أرضَ به … وإنْ ضَنَنْتِ بـه عنّـي فَزَنِّيني
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـد تلبَّس بي … من الجَوى فانفُثِي في فيّ وارْقِيني
نَعَمْ شِفاؤكَ منهـا أن تقولَ لهـا … أضْنَيْتني يـوم دَيْرِ اللُّجّ فاشْفِيني[1]
يـا ربِّ إنَّ ابـنَ رامِينٍ له بَقَرٌ … عِـينٌ وليس لنـا غيرُ البراذينِ
لـو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ … يرضى به منكَ غيرَ الرَّبْرَبِ العِينِ[2]
لا أنْسَ سَعْدةَ والزَّرْقاءَ يومَ هُما … باللُّجِّ شَرْقِيَّهُ فـوق الدَّكاكينِ[3]
يُغَنِّيانِ ابـنَ رامـينٍ على طَرَبٍ … بالمِسْجَحـيّ وتشبيـبِ المحبِّينِ[4]
أذاك أَنْعَـمُ أم يـومٌ ظَلِلتُ به … فِراشِي الوَرْدُ في بُسْتان شُورِينِ
يَشْوِي لنا الشيخُ شُورِينٌ دَواجِنَه … بالجَرْدَنـاجِ وسحّاج الشقابينِ[5]
نُسْقى طِـلاءً لِعمْـرانٍ يُعَتِّقُه … يَمْشِي الأصِحّاءُ منـه كالمجانينِ
يُزِلُّ أقدامَنـا مـن بعد صِحّتها … كأنّها ثِقَـلاً يُقْلَعْنَ مـن طِينِ
نمشِي وأرجُلُنـا مطويّـةٌ شَللاً … مَشْيَ الإوَزِّ التي تأتـي من الصينِ
أو مَشْيَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دليلَ لهم … سِوى العِصِيِّ إلى يـومِ السَّعانينِ
في فِتيةٍ من بَني تَيْمٍ لهوتُ بهم … تَيمِ بـن مُـرّةَ لا تَيْمِ العَدِيِّينِ
حُمْرُ الوُجوهِ كأنّا من تَحَشُّمنا … حسناءُ شمطاء وافتْ من فِلَسْطِينِ
ما عائذُ الله لولا أنتِ من شَجَني … ولا ابـنُ رامينَ لولا ما يُمَنِّيني
في عائذ الله بيتٌ مـا مررتُ به … إلاّ وُجِئْتُ عـلى قلبي بسكّينِ[6]
يا سَعْدَةُ القَيْنةُ الخضراءُ أنتِ لنا … أُنْسٌ لأنّكِ في دار ابن رامينِ[7]
ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الأُسْدَ تُؤْنِسني … حتى رأيتُ إليكِ القلبَ يدعوني
لولا رُبَيْحةُ ما استأنستُ ما عَمَدتْ … نفسي إليك ولو مُثِّلتِ من طينِ

---

1 دير اللج : بالحيرة .
2 الربرب : القطيع من حمر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء .
3 الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .
4 المسجحيّ : الغناء المنسوب لابن مسجح .
5 الجردناج : من أنواع الشواء . الشقابين : جمع شقبان وهو طير نبطي .
6 وجئت : ضربت .
7 الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

[باع ابن رامين سلامة في حجّه فقال هو شعراً]

قال : وحجّ ابن رامينَ وحجّ بَجواريه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحِجاز ، فاشترى منه سَلاّمة الزَّرْقاء بمائة ألفِ درهمٍ . فقال إسماعيل بن عمَّار : [من السريع]

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينِ ... حالُ المُحبِّين المساكينِ
تركتَهم مَوْتى وما مُوِّتوا ... قد جُرِّعوا منك الأَمَرَّينِ
وسِرْتَ في ركبٍ على طِيَّةٍ ... رَكْبِ تَهامٍ ويَمانينِ
حَجَجْتَ بيتَ اللهِ تبغي به الـ ... ـبرَّ ولم تَرْثِ لمحزونِ
يا راعِيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ ... وَيْلَكَ من رَوْعِ المُحِبِّين
فرّقتَ قوماً لا يُرى مِثْلُهم ... ما بين كُوفانٍ إلى الصِّينِ[1]

[مات له ابن فرثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا السكَّريّ عن محمد قال : كان لإسماعيل بن عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات ، فقال يرثيه : [من الكامل]

يا مَوْتُ ما لكَ مُولَعاً بِضِراري ... إنّي عليكَ وإنْ صَبَرْتُ لزاري[2]
تعدو عليّ كأنّني لك واترٌ ... وأؤول منكَ كما يؤولُ فِراري
نَفْسُ البعيدِ إذا أردتَ قريبةٌ ... ليستْ بناجيةٍ مع الأقدارِ
والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه ... يوماً يصيرُ لحُفْرة الحَفَّارِ
لَمّا غَلا عَظْمٌ به فكأَنَّه ... من حسن بنْيته قَضيبُ نُضارِ[3]
فجَّعْتني بأعَزِّ أَهلي كُلِّهم ... تعدو عليه عَدْوَة الجبَّارِ
هَلاَّ بنفسي أو ببعض قَرابَتي ... أوقعتَ أَوْ ما كنتَ للمُختارِ
وتركتَ ربتي التي مِنْ أجلِها ... عِفْتُ الجِهادَ وصِرْتُ في الأَمصارِ

[رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثني السكريّ عن محمد بن حبيبَ قال : قال رجلٌ من بني أَسَدٍ كان وَجْهاً ، لإسماعيلَ بنِ عَمّار : هَلُمَّ أركَبْ معكَ إلى يوسفَ بن عُمَر ، فإنّه صديقٌ ، حتى أُكَلِّمه فيك يستعملُك على عملٍ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دَعني حتى يحولَ الحولُ . فنظر إسماعيلُ إلى عمّال يوسف يُعَذَّبون ، فقال في ذلك : [من الوافر]

---

1 كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .
2 يقال : فلان زارٍ على فلان إذا كان عاتباً ساخطاً غير راض .
3 النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

رأيتُ صَبيحةَ النَّيْروزِ أمـراً فظيعـاً عـن إمارتهم نَهاني
فَـرَرتُ من العِمالةِ بعد يَحْيى وبعـد النَّهْشَليّ أبـي أبانِ
وبعـد الزور وابن أبي كَثِيرٍ وفيقـدِ أشْجَعٍ وأبـي بِطانِ
فحابِ بها أبا عُثمانَ غيري فمـا شأنُ الإمارةِ لي بشانِ
أُحـاذِرُ أنْ أُقَصِّرَ في خَراجي إلى النَّيْروزِ أو في المِهْـرَجانِ
أُعَجَّـلُ إنْ أتى أجلي بوقتٍ وحَسْبي بالمُجَرِّحـةِ المِتانِ[1]
فما عُذْري إذا عَرّضتُ ظهري لألفٍ من سِياطِ الشّاهِجانِ[2]
تُعَـدُّ ليوسفٍ عدّاً صحيحاً ويحفَظُهـا عليـه الجالدانِ
وأُسْحَبُ في سَراويـلي بقَيْدِي إلى حَسّانَ مُعْتَقَـلَ اللِّسانِ
فمنهم قائـلٌ بُعْـداً وسُحْقاً ومنهـم آخَـرانِ يُفَدِّيانِ
كفاني مـن إمارتهم عَطائي وما أُحْذِيتُ من سَبَق الرِّهانِ[3]
كفاني ذاك منهـم مـا بَقِينا كما فيمـا مَضى لي قد كفاني

[شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه : إنّه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسةَ بن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مغنّيةٌ يؤدِّبها ، ويَصنعها[4] ليُهْدِيها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار : [من الخفيف]

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِكِ بُوبا مُخطِئـاً في تحيَّتي أو مصيبا
مـا رأينا قتيلَ حـيٍّ حبا القا تـلَ بالوِتْرِ أنْ يكـونَ حبيبا
غيرَ ما قد رُزِقْتِ يا بُوبَ منّي فهنيئـاً وإنْ أتيـتِ عجيبا
غيرَ مَـنٍّ به عليكِ وإنْ كُنْـ ـتُ بقَـدْرِ القِيانِ طَبّاً طبيبا
بنـتُ عَشْرٍ أديبـةٌ في قُرَيْشٍ بَخْ فأَكْـرِمْ بهـم أباً ونَسيبا
أُدِّبتْ في بنـي أُمَيّـةَ حتّى كَمَلَتْ في حُجورهـم تأديبا

قال : ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام . فقال إسماعيل بن عمّار : [من الهزج]

ألا حُيِّيتِ عنّـا ثُـ ـمَّ سَقْياً لكِ يـا بُوبَهْ

---

1 المجرحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع الجلد .

2 الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .

3 أحذيت : أعطيت . والسبق : ما يجعل من المال رهناً على المسابقة وغيرها .

4 صنع الجارية : ربّاها وأحسن تغذيتها .

وأَكْـــرِمْ بِكِ مُهْداةً وأَحْبِبْ بِــك مَطْلوبَهْ
وواهاً لك مـــن بِكْرٍ وواهـــاً لـــكِ مثقوبَهْ
وواهـــاً لـــك مُلْقاة وواهـــاً لك مكبوبَهْ
لقـــد عايَـــنَ مَنْ يَلْقا كِ من حُسْنِكِ أُعجوبَهْ
ويا وَيْـــلي ويـــا عَوْلي فنَفْسي الدَّهْرَ مكروبَهْ
عـــلى هَيْفـــاءَ حَوْراء على جَيْـــداءَ رُعْبوبَهْ[1]
إذا ضاجَعها المَـــوْلى فقـــد أدركَ محبـــوبَهْ

[هجاؤه لجارية له كان يبغضها]

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بن عمّار جاريةٌ قد ولدَتْ منه ، وكانت سيئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر ، وكان يُبْغِضها وتُبغضه ، فقال فيها : [من المتقارب]

بُلِيـــتُ بزَمَّـــرْدَةٍ كالعَصـــا أَلَصَّ وأَخبـــثَ مِـــن كُنْدُشِ[2]
تُحِبُّ النساءَ وتأبـــى الرجـــالَ وتمشي مـــع الأَسْفَهِ الأَطْيَشِ
لهـــا وجـــهُ قِرْدٍ إذا ازَّيَّنَتْ ولونٌ كَبَيْضِ القَطـــا الأَبْرَشِ[3]
ومِـــن فوقِـــهِ لِمَّـــةٌ جَثْلَـــةٌ كمثلِ الخوافي مِـــنَ المَرْعَشِ[4]
وبطـــنٌ خَواصِـــرُه كالوِطـــا بِ زادَ على كَرِشِ الأَكْرَشِ[5]
وإنْ نَكَهتْ كِـــدتُ من نَتْنِها أَخِـــرُّ على جانِـــبِ المَفْرَشِ[6]
وثَـــدْيٌ تدلَّـــى على بطنِهـــا كقِرْبَـــةِ ذي الثَّلَّةِ المُعْطِشِ[7]
وفَخْـــذانِ بينَهمـــا بَسْطَـــةٌ إذا مـــا مشتْ مِشْيَةَ المُنْتَشي[8]
وساقٌ يُخَلْخِلُهـــا خاتـــمٌ كساق الدَّجاجـــةِ أو أَحْمَشُ[9]

---

1 رعبوبة : بيضاء ناعمة .

2 الزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خَلقاً وخُلقاً . كندش : لقب لص معروف وقيل إنه العقعق . والعقعق : طائر ، تضرب العرب به المثل في الخبائث وسوء الخلق .

3 البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .

4 الجثلة : الكثيرة الملتفة . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء .

5 الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . والأكرش : عظيم البطن .

6 نكه : تنفس على أنف آخر .

7 الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ويروى الشطر الأول في الحماسة (وثدي يجول على نحرها) .

8 يروى الشطر الأول في الحماسة : (وفخذان بينهما نفنف) أي مهواة بينهما .

9 أحمش : أي دقيق .

وفي كلِّ ضِرْسٍ لهـا أَكْلَـةٌ أَصَلُّ مـن القبر ذي المُنْبَشِ[1]
ولَمّـا رأيـتُ خَـوا أنفها وفيهـا وإصْلالَ ما تحتَشي[2]
إلى ضامرٍ مثـلِ ظِلْفِ الغَزالِ أشَدَّ اصفـراراً مـن المِشْمِشِ
فَرَرتُ مـنَ البيتِ من أجلها فِـرار الهَجـينِ من الأعمشِ
وأبـردُ مـن ثَلْـجِ ساتيدَما إذا راح كالعُطُـبِ المُنْفَشِ[3]
وأَرْسَحُ مـن ضَفْـدَعٍ عَثّةٍ تَنِقُّ على الشَّطِّ مـن مَرْعَشِ[4]
وأَوْسَعُ من باب جَسْرِ الأميرِ تُمِـرُّ المَحامِـلَ لم تَخدِشِ
فهـذي صِفاتِـي فلا تَأْتِها فقد قلتُ طَرْداً لها كَشْكِشي[5]

[هجا جاراً له مسجدٌ قرب داره]

وقال ابن حبيبَ: كان في جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء الناس ويعذُله، وكان إسماعيل له مُغضباً. فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دارَ إسماعيل وحسَّنه وشيَّده، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستّر والصلاح منهم عامَّةَ نهارِهم، فلا يقدِر إسماعيل أن يشرَب في داره ولا يدخُل إليه أحدٌ ممّن كان يألَفه من مغنٍّ ومغنّية أو غيرِهما من أهل الرِّيبة. فقال إسماعيل يهجوه. وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة: [من الطويل]

بَنـى مسجداً بُنْيانُـه من خِيانةٍ لَعَمْري لَقِدْمـاً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّانِ لَمّـا تَصَدَّقتْ جَـرَتْ مَثَـلاً للخائنِ المتصدِّقِ
يقولُ لهـا أهلُ الصَّلاح نصيحةً لكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصدَّقي

[استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف]

وقال ابن حبيب: وُلِّي العَسَسَ[6] رجلٌ غاضريٌّ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه، فطافوا إلى الغَداة. فلمّا أصبح غدا على الوالي مُسْتعدياً على الغاضريّ. فقال له الوالي، وكان رجلاً من هَمْدانَ: ماذا صنَع بك؟ فأنشأ يقول: [من السريع]

عَسَّ بنـا ليلَتَـه كُلَّهـا ما نحـن في دُنْيا ولا آخِرَهْ
يأمُـر أشيـاخَ بنـي مالكٍ أن يحرُسوا دون بني غاضِرَهْ

---

1 الأكلة: داء يقع في العضو.
2 أصل: أنتن. الخواء: الهواء بين الشيئين.
3 ساتيدما: جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند. العطب: القطن.
4 الرسح: قلة لحم الفخذين والعجز. العثة: المحقورة والضئيلة الجسم. مرعش: مدينة بين الشام وبلاد الروم.
5 الكشكشة هنا: الهرب.
6 العسس: الحراس.

والله لا يرضى بذا كائناً    من حُكْمِ هَمْدانَ إلى الساهِرَهْ[1]

قال فقال له الوالي : قَدْ لَعمري صَدَقتَ ، ووظّف على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنَوائب[2] بينهم .

[كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلمّا مات رثاه]

وقال ابن حبيبَ : كان إسماعيل بن عمّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ ، وكان إليه مُحسناً ، وكان يُنادمه . فوَلِي خالد بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه ، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه ، ثم لم يَلبَثْ خالد أنْ مات في عمله ، فورد نَعْيُه الكوفةَ في يوم فِطْرٍ . فقال إسماعيل بن عمّار يَرثيه : [من الخفيف]

ما لِعَيْني تَفِيضُ غيرَ جَمُودِ    ليس تَرْقا ولا لها من هُجودِ
فإذا قَرّتِ العيونُ استهلّتْ    فإذا نِمْنَ أُولعتْ بالسُّهودِ
أَلِنَعْيِ ابنِ خالدِ خالدِ الخَيْـ    ـرات في يومِ زِينةٍ مشهودِ
سَنَحتْ لِي يومَ الخميسِ غداةَ الـ    ـفِطْرِ طيرٌ بالنَّحْس لا بالسُّعودِ
فتعَيَّفتُ أنّهنّ لأَمرٍ    مُفْظِعٍ مّا جَرَيْنَ في يومِ عيدِ[3]
فنعتْ خالدَ بنَ أَرْوى وجَلَّ الـ    ـخطبُ فِقْدانُ خالدِ بن الوليدِ

[سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه]

وقال ابن حبيب : كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرباس ، فكان يُؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كلّ حال ، ثم سعى به أنّه يذهبَ مذهبَ الشُّراة[4] ، فأُخِذ وحُبِس . فقال يهجوه : [من البسيط]

مَنْ كان يحسُدني جاري ويَغْبِطني    مِنَ الأَنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباسِ
فقرَّب الله منه مثلَه أبداً    جاراً وأَبْعَدَ منه صالحَ النّاسِ
جارٌ له بابُ ساجٍ مُغْلَقٌ أبداً    عليه من داخلٍ حُرَّاسُ أَحْراسِ[5]
عَبْدٌ وعبدٌ وبنْتاهُ وخادِمُه    يدعُون مثلَهمُ ما ليس من ناسِ
صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خامَرَهُمْ    وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باسِ

1 الساهرة : الأرض أو الفلاة .
2 نوائب : جمع نيابة بمعنى نوبة .
3 عيافة الطير : زجرها .
4 الشراة : الخوارج .
5 الساج : ضرب من الشجر ينبت في الهند .

ـــه بَنُــونَ كأطْبـــاءِ مُعَلَّقةٍ في بطن خِنزيرةٍ في دار كَنَّاسِ[1]
إن يُفتَحِ البابُ عنهم بعد عاشرةٍ تظنُّهم خرجــوا من قَعْرِ أرماسِ[2]
فليتَ دارَ ابــنِ دِرْباسٍ مُعَلَّقةٌ بالنَّجْمِ بــينَ سَلاليم وأَمْراسِ[3]
فكــان آخِــرَ عَهْدِي منهمُ أبداً وابتعـــتُ داراً بغِلْماني وأفْراسي

قال : وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَ بِرْذَوْني وبَغْلي وجَــوادِي وحِمارِي
كُنَّ في الناس وأُبدلْـ ــتُ غداً جاراً بجارِ
جارَ صِدْقٍ بابنِ دِرْبا سٍ وإلاّ بِعْتُ دارِي
فَتَبدّلْــتُ بـــه مِنْ يَمَنٍ أو مــن نِزارِ
بَدَلاً يَعْرِف مـا اللّـ ـهُ ومـا حَقُّ الجِوارِ
لـــو تَبَدَّلْــتُ سِواهُ طاب ليـــلي ونَهارِي
واسْتَرَحْنا مــن بَلايا هُ صغــارٍ أو كبارِ
لـــو جَزَيْناهُ بها كُنّـ ـنا جميعاً في فَجارِ[4]
أو سكَنْتنا كان ذُلاًّ داخــلاً تحت الشِّعارِ[5]

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدى عليه السلطان ، وذكَرَ أنّه من الشُّراة ، وأنّهم مجتمعون عنده ، وأنّه من دُعاة عبد الله[6] بن يحيى وأبي حَمزة المُختار . فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له مُعانٌ : [من السريع]

أَبْلِــغْ مُعانــاً عنّــي وإخوتَه قــولاً وما عالِمٌ كمَنْ جَهِلا
بأنَّنـــي والمُصَبِّحــات مِنًــى يعــدُون طَـوْراً وتـارةً رَمَلا
لخائــفٌ أنْ يكــونَ وُدُّكُمُ إيّــايَ بعـــد الصفاء قد أَفَلا
أئنْ عَرانـــي دَهْــري بنائبةٍ أُصبحَ منهــا الفــؤادُ مشتعلا

---

1 الأطباء : جمع طبي ، وهي حلمات الضرع .
2 ل : ديماس .
3 أرماس : واحدها مرس وهي الحبال .
4 فجار : اسم للفجور .
5 الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .
6 هو عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضرموت ، خرج في أيام مروان بن محمد وآخرون ، فغلبوا على اليمن والحجاز ، ثم قتلوا أخيراً .

حاولتـمُ الصُّرْمَ أَوْ لعلّكُـمُ ظَنَنتُـمُ مـا أَصابنـي جَللا
لا تُغْفِلونا بنـي أخـي فلقدْ أَصبحتُ لا أَبتغي بكـم بَدَلا
تمسَّكوا بالذي امتسكتُ به فإنّ خيرَ الإخـوانِ مَنْ وَصَلا

قال : فكتب إليه ابنُ أخيه : [من السريع]

يا عَمِّ عُوفِيتَ من عذابِهِم النُّـ ـكْرِ وفارقـتَ سِجْنَهم عَجِلا
كتبتَ تشكو بني أَخيك وقد أرسلَ مَـنْ كان قَبْلنا مَثَلا
«أبْدَأْهُمُ بالصُّراخِ يَنْهزموا» فأنـت يا عَـمِّ تبتغي العِلَلا[1]
زعمتَ أَنّا نـرى بلاءك في دارِ بـلاءٍ مُكَبَّـلا جَلَلا
يا عَـمِّ بئس الفِتْيانُ نحن إذاً أمّا وفي رِجْلك الكُبُولُ فلا
عليَّ إنْ كنتَ صادقـاً حِجَجٌ للبيتِ عامَيْنِ حافيـاً رَجُلا
بُعِّدَ عنكَ الهمومُ فارْجُ من الـ ـلَّهِ خَلاصاً وأَحْسِنِ الأَمَلا

[أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل]

قال : وثمّ وَلِي الحكَمُ بن الصَّلْتِ فأَطلقَه وأَحسَنَ إليه ، فلم يَزَل يشكره ويمدحه . ثم عُزِل الحكم بعد ذلك ؛ فقال إسماعيل فيه : [من المنسرح]

تباركَ اللّهُ كيـف أَوْحشتِ الـ ـكوفـةُ أَنْ لَم يَكُنْ بهـا الحَكَمُ
الحَكَـمُ العَـدْلُ في رعيّتِهِ الـ ـكاملُ فيـه العفـافُ والفَهَمُ
فأَصبح القصرُ والسَّريـرانِ والـ ـمِنْبَرُ كالكـلّ مـن أبٍ يَتِمُ[2]
يُـذْرِي عليـه السريرُ عَبْرتَـه والمِنْبَـرُ المَشْرَفيُّ يَلتـدِمُ[3]
والناسُ من حُسْنِ سيرةِ الحَكَمِ بـ ـنِ الصَّلْتِ يبكـون كُلّما ظُلِموا
مثلُ السّكارى في فَرْطِ وَجْدِهِمُ إلاّ عَـدُوًّا عليـه يُتَّهَـمُ
يـومَ جَرى طائـرُ النُّحوسِ لهم يُنْزَعُ منـه القِرْطـاسُ والقَلَمُ
فأرغـمَ اللّهُ حاسِديـهِ كما أرغـمَ هُودَ القُرودِ إذْ رَغِمُوا[4]

---

1 أصل هذا المثل «أبدأهم بالصراخ يفروا» . ذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوّف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجنّي ليرضى من الآخر بالسكوت . يضرب للظالم يتظلّم ليسكت عنه . مجمع الأمثال للميداني 178/1 .

2 القصر في ل : القبر .

3 اللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

4 الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، كان محرماً عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت .

نِي سَبْتِهم يـوم نابَ خَطْبُهُم والله مِمّـن عصـاهُ ينتقمُ
إنّـا إلى الله راجِعـون أمـا لِلنّـاسِ عهـدٌ يُوفى ولا ذِمَمُ
حَـوْلٌ علينـا ، وليلتانِ لنا من لَـذّةِ العيش ، بئسَما حَكَمُوا
لا حُكْـمَ إلاّ للهِ يُظْهِـرُه يَقْضي لِضيزائهـا التّي قسَموا
مـاذا تُرَجِّي مـن عَيْشِها مُضَرٌ إنْ كان من شأنِها الذي زَعَموا

[ذم ولاية خالد القسريّ]

وقال ابن حبيب : سمِع إسماعيل بن عمّار رجلاً يُنْشِدُ أبياتاً للفرزدَق يهجو بها عُمَر بن هُبيرة الفَزاريَّ لمّا وَليَ العراقَ ويعجَب من وِلايته إيّاها ، وكان خالدٌ القَسْرِيُّ قد وَلِي في تلك الأيّام العراق ، فقال إسماعيل : أعْجَبُ واللهِ ممّا عجب منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبيرة ، [ وهو] ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه ، ولايةُ خالدِ القَسْرِيِّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ ، ثم قال : [من الكامل]

عَجِب الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رأى عنهـا أُمَيَّـةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ
فلقدْ رأى عَجَبـاً وأُحْدِثَ بعده أمـرٌ تطيرُ لـه القلوبُ وتفزَعُ
بَكتِ المنابرُ مـن فَزارةَ شَجْوَها فـالآن من قَسْرٍ تَضِجّ وتجزَعُ
فملوكُ خِنْـدِفَ أضْرَعونا للعِدا للهِ دَرُّ مُلوكِنـا مـا تَصْنَعُ[1]
كانـوا كقاذفـةٍ بَنِيهـا ضَلّةً سَفَهاً وغيرُهُـمُ تَـرُبُّ وتُرْضِعُ

[شعر له في عينه وقلبه]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيُّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن سعيد بن أُسيد العامريّ قال حدَّثني محمد بن أَنَسٍ الأَسَدِيُّ قال : جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار ، وإذا هو يفتِل أصابعَه متأسِّفاً ، فقلتُ : عَلامَ هذا التأسُّف والتلهُّف ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

عينـايَ مشؤومتان وَيْحَهما والقلـبُ حَـرّانُ مُبْتَلَى بهما
عرَّفتـاه الهـوى لِظُلْمِهما يـا ليتَني قبـلَ ذا عَدِمْتُهما
هُما إلى الحَيْـن دَلَّتا وهمـا ذَلّ على مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهما[2]
سأعْذِرُ القلبَ في هـواه وما سَبَّبَ كلَّ البَـلاء غيرُهما

---

1 أضرعونا : أذلونا وأخضعونا .

2 ذل الدمع : هان .

## صوت

[شعر للأعشى وشرحه] [من المتقارب]

فكَعْبةُ نَجْـرانَ حَتْمٌ عليـ ـكِ حتّى تُناخي بأبوابِها
نَزورُ يَزيدَ وعبدَ المَسيحِ وقَيْساً هـمُ خيرُ أربابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها[1]
وبَرْبَطُنـا دائـمٌ مُعْمَلٌ فأيُّ الثلاثـةِ أزْرى بِها[2]
إذا الحَبِرَاتُ تَلَوّتْ بهم وجَرُّوا أسافـلَ هُدَّابِها[3]
فلمّـا التقَيْنا على آيـةٍ ومَـدّتْ إليّ بأسبابِها[4]

عروضُه من المتقارب . الشعرُ للأعشى يمدحَ بني عبد المَدانِ الحارثيّين من بني الحارث بن كَعب . والغناء لحُنَيْن ، خفيفُ ثقيل بالوسطى في مَجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك . وزعم عمرو بن بانة أنّه خفيف ثقيلٍ . وزعم أبو عبد الله الهشاميّ أنّ فيه لابن المَكّيّ خفيف رملٍ بالوسطى أوّلُه : [من المتقارب]

تُنازِعني إذ خلـتْ بُرْدَها[5]

ومعه باقي الأبيات مخلَّطةً مقدَّمةً ومؤخَّرة . والكعبةُ التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بِيعةٌ بناها بنو عبد المَدان على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاة للكعبة ، وسمَّوها كعبةَ نَجْران ، وكان فيهـا أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبيّ ﷺ ودعاهم إلى المُباهلة ، وقيل : بل هي قُبّة من أَدَمٍ سمّوها الكعبـةَ . وكان إذا نـزل بهـا مستجيـرٌ أُجير ، أو خائفٌ أَمِن ، أو طالـبُ حاجةٍ قضيتْ ، أو مسترفدٌ أُعطِي ما يريده . والمُسْمِعاتُ : القِيانُ . والقُصَّاب : أوتار العيدان . وقال الأصمعيّ : قلت لبعض الأعراب : أنْشِدْني شيئاً من شعرك . قال : كنتُ أقول الشِّعر وتركتُه . فقلت : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّني قلت شعراً وغنّى فيه حَكَمٌ الواديّ وسمعته فكاد يذهَل عقلي . فآليتُ ألاّ أقولَ شعراً ، وما حرّك حَكَمٌ قصَّابَه إلاّ توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخلِدي بها في النّار .

* * * *

1 في ديوان الأعشى : «وشاهدنا الورد» . والجلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . قُصّاب : جمع قاصب وهو الزامر . والقصّاب : الأوتار كما قال أبو عبيدة .

2 البربط : العود . والمزهر : العود أيضاً .

3 الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .

4 آية في ل : آلة .

5 تمام البيت : مفضلة غير جلبابها .

# الفهرس